مؤسسة عبد العزيز بن باز الخيرية

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله (١٠)

تعليقات

سماحة الشيخ العلامة

عبد العزيز بن عبد الله بن باز

رحمه الله



على مقدمة

تفسير القرآن العظيم

مع تفسير سورة الفاتحة

للحافظ ابن كثير رحمه الله

سلسلة شروحات وتعليقات سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله (١٠)

التعليق

على

مقدمة تفسير القرآن العظيم مع تفسير سورة الفاتحة

للحافظ ابن كثير رحمه الله

تعليق

سماحة الشيخ العلامة

عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رحمه الله

إعداد

مؤسسة عبدالعزيز بن باز الخيرية

بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله والصَّلاة والسَّلام على رسول الله، وعلى آله وصحبه، وبعد:

فيطيب «**لمؤسسة الشيخ عبدالعزيز بن باز الخيرية**» أن تضع بين يدي القارئ الكريم تعليق سماحة الشَّيخ عبد العزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ على مقدمة تفسير القرآن العظيم مع تفسير سورة الفاتحة للحافظ ابن كثير رَحِمَهُ اللَّهُ، ضمن سلسلة إصداراتها لتعليقات وشروح سماحته على كتب أهل العلم.

وكتاب الحافظ ابن كثير في التفسير ـ كما لا يخفى ـ يُعدُّ من أشهر وأوثق كتب التفسير عند أهل السنة والأثر، وقد كان لسماحة الشيخ رَحِمَهُ اللَّهُ عناية فائقة بهذا الكتاب، وتعليقات نافعة، حيث قرأ عليه أكثر من مرة.

وأصل هذه التعليق تفريغ لمواد صوتية للشيخ جرت خدمتها العلمية، وفق منهجية التفريغ الصوتي المعتمدة في لائحة اللَّجنة العلمية في المؤسسة، وقد تضمنت هذه المادة فوائد نافعة حول علم التفسير، والمفسرين من الصَّحابة، والتَّابعين، ومن بعدهم من الأئمة، وبيان أفضل طرق التفسير.

كما اشتملت هذه المادة على تعليقه: على تفسير سورة الفاتحة متضمنًا تعليقات بشأن تصحيح الأسانيد وتصويبها، وبيان ما اشتملت عليه السورة من أحكام.

وقد بُدِئ بقراءة هذا التفسير على سماحته رحمه الله في الجامع الكبير في مدينة الرياض فجر يوم الأربعاء، الرابع من شهر الله المحرم من عام ألف وأربعمائة وستة للهجرة، على صاحبها أفضل الصَّلاة والسَّلام، وكان القارئ: هو الشيخ عبدالعزيز بن شبيب حفظه الله.

نسأل الله تعالى أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه الكريم، ونافعًا لعباده، وأن يجعله من العلم النافع الذي يجري أجره على سماحة شيخنا، وأن يجزيه عن الإسلام والمسلمين خير الجزاء، وأن يضاعف له به الأجر والمثوبة.

كما نسأله تعالى أن يكتب الأجر والمثوبة لكلِّ من تسبب في إخراج هذه المادة، وعلى رأسهم سماحة مفتي عام المملكة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله آل الشَّيخ «**رئيس مجلس أمناء المؤسسة**» حفظه الله ووفقه لكل خير.

كما نسأله سبحانه أن يكتب الأجر لكلّ من قرأ هذه التعليقات ونشرها، إنه سميع مجيب.

وصلَّى الله على نبيِّنا محمَّد وعلى آله وصحبه وسلَّم.

مؤسسة الشيخ
عبد العزيز بن باز الخيرية
للتواصل مع المؤسسة على العنوان التالي:
الإيميل: info@binbazfoundation.sa
هاتف: ٠١١٤٣٥٤٤٤٤

مقدمة الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ

قال الشَّيخ الإمام الأوحد، البارع الحافظ المتقي، عماد الدِّين أبو الفداء إسماعيل ابن الخطيب أبي حفص عمر بن كَثير الشَّافعيّ رحمه اللهُ تعالى، ورضي عنه.

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٢-٤] وقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ۝١ قَيِّمًا لِّيُنذِرَ بَأْسًا شَدِيدًا مِّن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا ۝٢ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدًا ۝٣ وَيُنذِرَ ٱلَّذِينَ قَالُوا۟ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۝٤ مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: ١-٥].

وافتتح خَلْقه بالحمد، فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ [الأنعام: ١] واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنَّة وأهل النَّار: ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ [الزُّمَر: ٧٥].

ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ [القصص: ٧٠]، كما قال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ

ٱلۡخَبِيرُ ﴿١﴾﴾ [سَبَإ: ١].

فله الحمدُ في الأولى والآخرة، أي: في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله، كما يقول المصلِّي: «**اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الحَمْدُ مِلْءَ السَّمَوَاتِ وَمِلْءَ الأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ**»(١) ولهذا يُلْهَم أهل الجنَّة تسبيحَه وتحميده، كما يُلْهَمون النَّفَس.

قال الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله:

تسبيحه بالنصب؛ لأنه مفعول به منصوب،يعني: أنَّ هذا يكون لهم لذَّة، نعيم، يُلْهمونه، مثلما أن الإنسان يتلذَّذ بالتَّنفس ويرتاح بالتَّنفس لما فيه من الرَّاحة له، فهكذا أهل الجنَّة من نعيمهم أنَّهم يحمدون الله، ويثنون عليه سبحانه، ويسبحونه ويمجدونه لعظيم إنعامه، فقد أعطاهم النِّعم التي لا حدَّ لها نِعمٌ لا تنتهي في دار لا تبيد ولا تهلك ولا تزول؛ ولهذا يُلْهمون التَّسبيح والتَّهليل والتَّحميد والتَّكبير، كما يُلْهمون النَّفس، ويتلذَّذون بذلك ويرتاحون لذلك لما فيه من الثَّناء على المنعم والمتفضل بنعم لا تحصى، ولا تنتهي.

قال المؤلف رحمه الله:

«أي: يسبحونه ويحمدونه عدد أنفاسهم لما يرون من عظيم نعمه عليهم، وكمال قدرته وعظيم سلطانه، وتوالى مِنَنه ودوام إحسانه إليهم، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ يَهۡدِيهِمۡ رَبُّهُم بِإِيمَـٰنِهِمۡۖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهِمُ ٱلۡأَنۡهَـٰرُ فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿٩﴾ دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَـٰنَكَ

(١) جزء من حديث أخرجه مسلم برقم (٤٧٦) من حديث عبدالله بن أبي أوفى رضي الله عنه، ومن حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، برقم (٤٧٧)، ومن حديث ابن عباس رضي الله عنهما، برقم (٤٧٨).

ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾﴾ [يُونس: ٩-١٠].

والحمد لله الذي أرسل رسله: ﴿مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِۚ﴾ [النِّساء: ١٦٥] وختمهم بالنَّبِيِّ الأُمِّيِّ العربيِّ المكيِّ الهادي لأوضح السُّبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن، من لدن بعثته إلى قيام السَّاعة، كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٥٨﴾﴾ [الأعراف: ١٥٨]».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أنَّهُ رسول الأمَّة إلى يوم القيامة ليس بعده نَبِيٌّ، فهو خاتم الأنبياء وخاتم الرُّسل بإجماع أهل العلم قاطبة؛ ولهذا أجمع الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ ومن بعدهم من أهل العلم على أنَّ كل من ادّعى النُّبوة أو الرِّسالة بعده فهو كافر حلال الدم والمال لا نزاع في ذلك.

فهو رسول الله إلى الأمَّة من حين بعث إلى أن تقوم الساعة عليها، مهما كانت حضارتها، ومهما كان ملكها، ومهما كانت كثرتها عليها اتِّباع هذا النَّبِيِّ الكريم ﷺ، في أي مكان كانت في المشرق، أو المغرب، أو الجنوب أو الشمال، أو بين السماء والأرض، أو في أي مكان، على الجن والأنس جميعًا أن ينقادوا لهذا الشَّرع الذي جاء به، ويُصدِّقوه عليه الصَّلاة والسَّلام، وأن يعبدوا الله وحده بما جاء به من الشَّرع ليس لهم الخروج عن ذلك، أينما كانوا، وعلى أي صفة كانوا ما دامت عقولهم موجودة، ما داموا مكلَّفين، وإن كانوا في غاية من الثروة،

وفي غاية من الحضارة، وإن وصلوا إلى أي اختراع من الاختراعات، وإن طاروا في السَّماء، وإن غاصوا في البحار، يجب عليهم أن يكونوا عبيدًا لله، متَّبعين لشريعته، ليس لهم الخروج عن ذلك: ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعراف: ١٥٨] ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبإ: ٢٨] ﴿تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَـٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفرقان: ١] فهو رسول الله إلى العالمين، لا رسولَ غيره من حين بعث إلى أن تنتهي هذه الدُّنيا عليه الصَّلاة والسَّلام.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ﴾ [الأنعام: ١٩] فمن بلغه هذا القرآن من عَرب وعَجَم، وأسودَ وأحمرَ، وإنس وجان، فهو نذير له؛ ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ﴾ [هود: ١٧] فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده، بنص الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَـٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤﴾ [القلم: ٤٤].

قال رسول الله ﷺ: «**بُعِثْتُ إِلَى الأَحْمَرِ وَالأَسْوَدِ**»[(١)] قال مجاهد: يعني: الإنس والجن، فهو صلوات الله وسلامه عليه رسولُ الله إلى جميع الثَّقلين: الإنس والجن، مُبَلِّغًا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَـٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾ [فصلت: ٤٢].

---

(١) جزء من حديث أبي ذر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في الخصال الخمس التي خصَّ بها نبيِّنا محمَّد ﷺ من بين سائر الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، وهذا اللَّفظ: أخرجه الإمام أحمد (٥/ ١٤٥، ١٤٧، برقم ٢١٣٣٧، ٢١٣٥٢)، والدارمي برقم (٢٤٧٠)، وقد صححه الحاكم في المستدرك برقم (٣٥٨٧)، ووافقه الذهبي على التصحيح. ينظر: التلخيص مع المستدرك (٢/ ٤٦٠).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

■ **سؤال: ماذا يعني: تفسير الأحمر والأسود على قول مجاهد؟**

● **الجواب:** يعني أصناف الخلق، كأن مجاهدًا يشير إلى أنَّ السَّواد قد يغلب على الجن يحتمل هذه الإفادة؛ لأنَّ خِلقَتهم غير خلقت الإنس هم أقبح، كما قال في الوصف: ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٦٥﴾﴾ [الصَّافات: ٦٥] كأنه يشير لهذا؛ ولكن كلام الله أبلغ، كلام الله أبلغ ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريات: ٥٦] ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا﴾ [الأعرَاف: ١٥٨] ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾﴾ [الرَّحمٰن: ١٣].

فهو مبعوث إليهم جميعًا سواء كانوا سودًا أو حمرًا أو بيضَا، المقصود: والله أعلم، من كلام مجاهد، يعني: أنَّ الجنس الأسود حتى في بني آدم السُّود كثيرٌ في أفريقيا وفي جهات أخرى، هو مبعوث إلى جميع أنواع النَّاس أسود أو أحمر، جميل أو دميم، جن أو إنس، أي لون كانوا، فكلام الله أعم من كلام مجاهد.

فالمقصود: جنس الأسود، وجنس الأحمر، جن وأنس، ما عندنا بصيرة في ألوان الجن، فهو رسول الله إليهم سواء كانوا سودًا أو بيضًا، أو ملونين على أي شكل كانوا، كما أنه رسول الله إلى الإنس على أي شكل كانوا من جمال، ودمامة، وسوادٍ وبياضٍ وحُمرةٍ وغير ذلك.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنَّهُ نَدَبهم إلى فَهمه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ﴿٨٢﴾﴾ [النِّسَاء: ٨٢] وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾﴾ [صٓ: ٢٩] وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ﴿٢٤﴾﴾ [محَمَّد: ٢٤].

فالواجبُ على العلماء الكشفُ عن معاني كلام الله، وتفسيرُ ذلك، وطلبُه من مظانه، وتَعلُّمُ ذلك وتعلِّيمُه، كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ﴿١٨٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ١٨٧]، وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عِمرَان: ٧٧].

فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنزل عليهم، وإقبالهم على الدُّنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتِّباع كتاب الله».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

لَا حول ولا قوَّة إلَّا بالله، أقولُ: وما أشبه اللَّيلة بالبارحة، وما أكثرُ إعراض الأمَّة عن هذا الكتاب العظيم، وما أخطره، فقد أعرض النَّاس إلَّا من شاء ربك عن كتاب الله وتعلُّمه وتعليمه والحكم به والتَّحاكم إليه، وتنفيذ أوامره، وترك نواهيه حتى ولو وجد حفظ له، ولو وجد جمع من النَّاس حافظين لكتاب الله، لكن المهم أن يعمل به،

وأن يدعى إليه، وأن ينكر على من خالفه، وأن يحكم في الناس، فلو حفظ الناس كلهم كتاب الله، ولم يعملوا به، لم ينفعهم ذلك.

فالمقصود من الحفظ، والمقصود من القراءة، والمقصود من التَّفسير، والمقصود من العلم كله: العمل، فاليهود، والشَّيطان إبليس من أعلم النَّاس، ومع ذلك هم من أكفر النَّاس، وأبعد النَّاس عن الهدى، وهكذا علماء السُّوء من هذه الأمَّة عندهم علوم؛ ولكنهم ضيعوها بعدم العمل، والإلحاد والفساد، وإيثار الدُّنيا على الآخرة، فلا ينفع علم بلا عمل، ولا حفظ بلا عمل، لابد من علم يتبعه العمل، وحفظ يتبعه العمل.

فواجب الأمَّة علماء، ومتعلِّمين، وعامَّة أن يعملوا ويتفقهوا ويتعلموا، وأن ينفذوا أوامر الله، ويقفوا عند حدود الله، ويبتعدوا عن محارم الله، وأن ينشروا كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ، وأن يُلزموا النَّاس بالعمل، فعلى الولاة أن يلزموا، وعلى العامَّة أن يلتزموا، هذا هو الطَّريق، وهذا هو الذي سلكه خير الخلق محمَّد ﷺ ثم صحابته بعده، خير الخلق بعده.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فعلينا أيُّها المسلمون أن ننتهي عمَّا ذمَّهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به، من تَعَلُّم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهُّمه وتفهيمه، قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الحديد: ١٦-١٧].

ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلَها تنبيه على أنَّه تعالى، كما يُحيي الأرض بعد موتها، كذلك يُلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذُّنوب والمعاصي، واللهُ المؤمل المسئول أن يفعل بنا ذلك، إنَّه جوادٌ كريمٌ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعنى لا تيأسوا، المعنى لا تيأسوا، فكما أن الأرض تكون ميتة خامدة، هامدة لا شيء فيها من نبات، ثمَّ يُنزل الله المطر فتحي، وتظهر فيها ألوان النبات، والخيرات، فهكذا الإنسان قد يقسو قلبه بسبب الأخلاط، أو بسبب الاشتغال بالعاجلة، أو بأسباب أخرى.

ثمَّ يَتدبَّر كتاب الله، ثمَّ يُقبل على كتاب الله، ثمَّ يعتني بالشَّرع المطهر، فيحيا قلبه، وينتبه من غفلته، ويزول الرَّان الذي على قلبه، ويَمّن اللهُ عليه بالتَّوبة، فتعود إليه الحياة من جديد، ويعود إليه النَّشاط من جديد، وتعظيم أوامر الله وخشيته، يعود إليه ذلك من جديد، لمّا منَّ الله عليه بالتَّوبة، والعناية بكتاب الله، والإقبال عليه، تزول القسوة، ويحل محلها اللِّين، ويزول السَّواد، والرَّان، ويحل بعده البياض، والخشوع والطمأنينة، وتزول الغفلة، ويحل محلها الانتباه، واليقظة، والفكر، ويزول الكسل، ويحل محله النشاط والعمل.

هكذا فلا ييأس الإنسان؛ بل متى أحسَّ بالقسوة بسبب المعاصي فليبادر بالتَّوبة، وليبادر بالرجوع إلى الله، والانطراح بين يديه، والانكسار، والذل، وسؤاله التَّوفيق والهداية، ثمَّ يُقبل على القرآن تدبرًا، وتعقلًا، وعملًا، فبهذا تزول القسوة، وتزول الظلمة، وتزول الغفلة، ويزول السَّواد ويحلُّ محلَّ ذلك اليقظة، والانتباه، والخشوع

واللِّين، وليبادر إلى أمر الله ﷻ.

كما تزول عن الأرض ما فيها من موت وهمود، وتكسر أشجار، وضياع الأوراق، إلى غير ذلك، فتنبت من جديد فيها الأشجار، وينبت فيها العشب، ويحصل فيها الخير الكثير، بعدما أنزل اللهُ المطر الذي هو سبب الحياة.

▪ **سؤال:** **أحسن الله إليك حديث: «إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ، كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ، اسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ إِيمَانَكُمْ»**(١) صحيح؟

● **الجواب:** لا أتذكر... أقول: ما أتذكر صحته؛ لكن معناه موجود في حديث علي الذي روي مرفوعًا عنه وموقوفًا، في الفتن، ما المخرج منها؟ قال: «**كِتَابُ الله فِيهِ نَبَأُ مَا قَبْلَكُم...**» وفيه: «**لَا يَخْلُقُ مِن كَثْرَةِ الرَّدِّ**»(٢) يعني: القرآن، والإيمان كذلك، ومن هذا قول معاذ لأصحابه: «**اجْلِسْ بِنَا نُؤْمِنْ سَاعَةً**»(٣) وهذا له شواهد.

والمقصود: أنَّ الإنسان يغفل ويضعف، ويضعف إيمانه، ويقسو قلبه، ويكون مثل الثوب الخلق الذي لا يفيد شيئًا، ثمَّ بعد الانتباه واليقظة، والمراجعة والتوبة، والإقبال على كتاب الله، يستيقظ هذا

---

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير، كما في مجمع الزوائد (١/ ٧٢، برقم ١٥٨)، وقال: إسناده حسن، وصححه الحاكم في المستدرك، في كتاب الإيمان، برقم (٥) ووافقه الذهبي في التلخيص (١/ ٤٥) ولفظه عندهما: عن عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما: «**إِنَّ الإِيمَانَ لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ الخَلِقُ، فَاسْأَلُوا الله أَنْ يُجَدِّدَ الإِيمَانَ فِي قُلُوبِكُمْ**».

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٠٦) قال: هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث حمزة الزيات وإسناده مجهول، وفي حديث الحارث الأعور مقال.

(٣) ذكره البخاري تعليقًا بين رقمي (٧ و٨)، وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه في كتاب الإيمان والرؤيا، باب [٦] (٧/ ٢١٨ برقم ١٢)، وفي كتاب الزهد باب [٢٠] (٥/ ١٨٦ برقم ٥).

الإيمان، وينشط هذا الإيمان لما يقع في القلب من ذكر الله وتعظيمه، وتذكر عظمته وحقه على عباده، فينشط هذا الإيمان الذي قد ضعف في القلب، واخلولق في القلب.

▪ **سؤال:** هل الآية تحتمل المعنيين، «أنَّ الله يحي الموتى» و«أنَّهُ يحي الأرض بعد موتها»؟

● **الجواب:** كذلك فيه كلا الأمرين، يضرب اللهُ الأمثال لهذا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وهذا، فكما تموت القلوب، ثمَّ تحي، كما تموت الأرض، ثمَّ تحي، هكذا القلوب تموت وتحي، وهكذا النَّاس يبعثون من قبورهم، كما يبعث الله في الأرض الحياة بعد المطر.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قال: قائل: فما أحسنُ طرق التفسير؟

فالجواب: إن أصحّ الطُّريق في ذلك أن يُفَسَّر القرآن بالقرآن، فما أُجْمِل في مكان، فإنه قد بسط، وَفُسِّر في موضع آخر، فإن أعياك ذلك، فعليك بالسنة، فإنَّها شارحة للقرآن وموضحة له».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

على قوله: «في أحسن الطرق» أي شيء أحسن! استفهام وسؤال؟ يعني: أن أحسن ما يفسر به كتاب الله، هو كتاب الله، الآيات تفسر بالآيات؛ لأنَّ القصة أو الحكم قد يذكر في بعض السُّور مختصرًا، ثم يذكر في مكان آخر مبسوطًا مطولًا، فعلى المفسِّر، وعلى قارئ القرآن التدبر والتعقل حتى يستفيد من الآيات المبسوطة ما يزيل عنه الإشكال في الآيات المختصرة.

وهكذا فيما يتعلَّق بقصص الرُّسل والأنبياء، وأهل الجنَّة والنَّار، فإذا راجع طالب العلم مواضع تلك القصص، ومواضع تلك الأحكام المكررة اتضح له منها ما يفسِّر ما قد يُشكل عليه، فإذا بقي عليه شيء فعنده السنة، تفسر القرآن وتبيِّن معناه وما قد يخفى والحمد لله.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«بل قد قال الإمام أبو عبدالله محمَّد بن إدريس الشَّافعي رحمه الله تعالى: كل ما حكم به رسول الله ﷺ، فهو مما فهمه من القرآن، قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِمَآ أَرَىٰكَ ٱللَّهُ ۚ وَلَا تَكُن لِّلْخَآئِنِينَ خَصِيمًا ﴿١٠٥﴾﴾ [النِّسَاء: ١٠٥] وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَـٰبَ إِلَّا لِتُبَيِّنَ لَهُمُ ٱلَّذِى ٱخْتَلَفُوا۟ فِيهِ ۙ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [النّحل: ٦٤] وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٤٤﴾﴾ [النّحل: ٤٤].

ولهذا قال رسول الله ﷺ: «**أَلَا إِنِّي أُوتِيتُ القُرآن وَمِثْلَهُ مَعَه**»(١) يعني: السنة، والسنة أيضًا تنزل عليه بالوحي، كما ينزل القرآن إلَّا أنَّها لا تتلى، كما يتلى القرآن، وقد استدل الإمام الشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ وغيره من الأئمة على ذلك بأدلة كثيرة ليس هذا موضع ذلك.

والغرض أنَّك تطلب تفسيرَ القرآن منه، فإن لم تجدْه فمن السنة، كما قال رسولُ الله ﷺ لمعاذ حين بعثه إلى اليمن: «**فَبِمَ تَحْكُم؟**» قال:

---

(١) جزء من حديث المقداد بن معدي يكرب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أخرجه الإمام أحمد (٤/ ١٣٠، برقم ١٧٢١٣)، وأبو داود برقم (٤٦٠٤) قال الشَّيخ الأرناؤوط في تعليقه على المسند: رجاله رجال الصحيح غير عبدالرحمن بن أبي عوف الجرشي، فمن رجال أبي داود والنسائي وهو ثقة (٣٧/ ١٠٧ تحت رقم ١٧٦٣٧).

بكتاب الله، قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟**» قال: بسنة رسول الله، قال: «**فَإِنْ لَمْ تَجِدْ؟**» قال: أجتهد رأيي، قال: فَضَرَبَ رَسُولُ الله ﷺ فِي صدره، وقال: «**الحَمْدُ لله الَّذي وَفَّقَ رَسُولَ، رَسُولِ الله لِمَا يُرْضِي رَسُولَ الله**»(١).

وهذا الحديث في المسند، والسنن بإسناد جيِّد، كما هو مقرر في موضعه».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا الذي قاله المؤلف في أثر معاذ قال به ابن القيم في حكم التوفيق على...(٢).

▪ **سؤال: يوجد عليه تعليق للشَّيخ مقبل بن هادي على حديث معاذ أقرأه يا شيخ؟**

● **الجواب:** نعم. يقول: حديث معاذ رواه أبو داود، من طريق الحارث بن عمرو ابن أخي المغيرة، قال البخاري: في التاريخ الكبير عن أصحاب معاذ عن معاذ، روى عنه أبو عوف، ولا يصح ولا يعرف إلَّا بهذا مرسل انتهى(٣).

ورواه ابن ماجه(٤) وفي سنده محمَّد بن سعيد المصلوب في

---

(١) رواه الإمام أحمد (٥/ ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٤٢، برقم٢٢٠٦٠، ٢٢١١٤، ٢٢١٥٣)، وأبو داود برقم (٣٥٩٢)، والترمذي برقم (١٣٢٧) من طرق عن ناس من أصحاب معاذ عن معاذ به.

(٢) موضع النقاط كلام غير واضح، ولعله تمام كلام ابن القيم: «فسدده الله في إصابة ـ الحق ـ» ينظر: إعلام الموقعين في فصل حديث معاذ في القياس وقد حكم ابن القيم بصحة الخبر وشهرته، فوافقه سماحة الشَّيخ، ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (٦/ ٢٥٢، ٢٤/ ٢٢٩).

(٣) ينظر: التاريخ الكبير (٢/ ٢٧٧) ترجمة رقم ٢٤٤٩.

(٤) أخرجه ابن ماجه برقم(٥٥).

الزندقة، وهو من رؤوس الكذَّابين، وقد اختلف النَّاس في هذا الحديث، فمنهم من يقول: إن سنده جيِّد كالحافظ ابن كثير، وشيخه ابن تيمية[١]، ويؤيد ذلك ابن القيم في إعلام الموقعين، والشوكاني في إرشاد الفحول[٢].

ومنهم من حكم عليه بالوضع، كالجو زقاني، كما في عون المعبود، وابن حزم في «**إحكام الأحكام**»[٣]، والحقُّ أنَّه لا يثبت سندًا ومتنًا، فإنَّ متنه يفيد أننا لا نرجع إلى السنة إلَّا إذا لم نجد في كتاب الله، مع أنَّ السنة، قد تكون مقيِّدة لمطلق القرآن، ومبيِّنة لمجمله، ومخصصة لعامه، فالواجبُ الرجوع في القضية إلى كتاب الله، وسنة رسوله ﷺ جميعًا، ومن هذا تعلم الرد على من يقول: إن الأحكام التي حكم بها النَّبِيُّ ﷺ مأخوذة من القرآن؛ بل منها ما هو من القرآن، ومنها ما هو من السنة[٤].

كلام مقبل له بعض الوجاهة، ولكن لا يلزم ما قاله، هذا لا يلزم؛ لأنَّ الأخذ من القرآن إذا كان الحكم واضحًا في القرآن، ولا تعلُّق له بالسنة صار مأخوذًا من القرآن، وإذا احتيج للسُّنَّة أخذ من السنة، فلا منافاة، فإذا قال: أحكم بالقرآن، فإن لم أجد فبالسنة، معناه إذا ما وجدت هذا الحكم واضحًا، أو مبيَّنًا أخذت بيانه من

---

(١) ينظر: مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية (١٣/ ٣٦٤).
(٢) ينظر: إعلام الموقعين (ص ٩٣) وإرشاد الفحول للشوكاني (٢/ ١٧).
(٣) ينظر: عون المعبود (٦/ ٤٥٠) ط دار الحديث بالقاهرة، و إحكام الأحكام لابن حزم (٥/ ١٣٢، ٧/ ١١١).
(٤) ينظر: تعليق الشيخ مقبل على الحديث في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير(١/ ١١) طبعة دار الراية بالرياض الطبعة الثانية عام ١٤١٤هـ ١٩٩٣م.

السنة، فلا يتنافى هذا مع هذا.

والذين قالوا بصحة الإسناد أجلُّ وأكبر من الذين قالوا: بضعف الإسناد، وهم رووا عن جماعة من أصحاب معاذ يعتمد عليهم؛ ولهذا وثق من وثقه من الأئمة كأبي العباس ابن تيمية، وابن كثير، وابن القيم، وهو كلام محكم، كلام عظيم، أحكم بالقرآن، ثم بالسنة، ثم أجتهد رأيي، فيما يتعلَّق بالنُّصوص والقواعد، هذا الاجتهاد، نعم على كل حال هذا فيما يتعلَّق فيما قاله الشيخ مقبل فيه نظر.

قال المؤلف رحمه الله:

«وحينئذٍ، إذا لم نجد التَّفسير في القرآن ولا في السنة، رجعنا في ذلك إلى أقوال الصَّحابة، فإنَّهم أدرى بذلك، لما شاهدوا من القرائن والأحوال التي اختصوا بها، ولما لهم من الفهم التَّام، والعلم الصحيح، والعمل الصَّالح، لا سيما علماؤهم وكبراؤهم، كالأئمة الأربعة الخلفاء الراشدين، والأئمة المهتدين المهديين، وعبدالله بن مسعود رضي الله عنهم.

قال الإمام أبو جعفر ابن جرير: حدثنا أبو كريب، حدثنا جابر بن نوح، حدثنا الأعمش عن أبي الضحى عن مسروق، قال: قال عبدالله، يعني: ابن مسعود: «**وَالذي لَا إِلَهَ غَيْرُهُ، مَا نَزَلَتْ آيَةٌ مِنْ كِتَابِ الله إِلَّا وَأَنَا أَعْلَمُ فِيمَنْ نَزَلَتْ! وَأَيْنَ نَزَلَتْ، وَلَوْ أَعْلَمُ أَحَدًا أَعْلَمَ بِكِتَابِ الله مِنِّي تناوله المَطَايَا لَأَتَيْته**»(١).

وقال الأعمش أيضًا، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: «**كَانَ الرَّجُلُ مِنَّا إِذَا تَعَلَّمَ عَشْرَ آيَاتٍ لَمْ يُجَاوِزْهُنَّ حتى يَعْرِفَ مَعَانِيَهُنَّ وَالعَمَلَ بِهِنَّ**».

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٠) بتحقيق أحمد شاكر، طبعة الرسالة.

وقال أبو عبدالرَّحمن السُّلمي: حدثنا الذين كانوا يقرئوننا أنهم كانوا يستقرئون من النَّبِيِّ ﷺ، فكانوا إذا تعلموا عشر آيات لم يخلِّفوها، حتى يعملوا بما فيها من العمل، فتعلمنا القرآن والعمل جميعًا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: «**لم يُخلِّفوها**»، يعني: لم يتركوها، قوله: «**حتى يعملوا بما فيها من العمل**»يعني يأخذون العلم والعمل جميعًا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومنهم الحبر البحر عبدالله بن عباس، ابن عم رسول الله ﷺ، وتُرجمان القرآن ببركة دعاء رسول الله ﷺ له حيث قال: «**اللَّهُمَّ فَقِّهْهُ فِي الدِّينِ، وَعَلِّمْهُ التَّأْوِيلَ**»(١)».

وقال ابن جرير: حدثنا محمَّد بن بشار، وحدثنا وكيع، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم كذا قال: قال عبدالله، يعني: ابن مسعود أنه قال: «**نِعْمَ تُرْجُمَانُ الْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاس**»(٢).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

كذا عندكم؟ ـ يعني: حدثنا محمَّد بن بشار، وحدثنا وكيع...

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (١/ ٢٦٦، ٣١٤، ٣٣٥، برقم ٢٣٩٧، ٢٨٨١، ٣١٠٢)، والطبراني في المعجم الكبير (١٠/ ٢٦٣، ١١/ ٩١، ١٢/ ٥٥، برقم ١٠٦١، ١١٢٠٤، ١٢٥٠٦، والحاكم في المستدرك، برقم (٦٢٨٠)، وقال: هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي (٣/ ٦١٥)، وشطره الأول: «**اللهم فقه في الدين**» مخرج في الصحيحين، البخاري برقم (١٤٣) ومسلم برقم (٢٤٧٧).

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٩٠).

القارئ: لا..؟

الشَّيخ: وماذا عندكم؟

القارئ: حدثنا محمَّد بن بشار، حدثنا وكيع.

فقال سماحته: مشتبه، يعني: وكيع شيخ المؤلف أيضًا، وشيخ محمَّد بن بشار، قد يكون روى عنه بواسطة محمَّد بن بشار، فابن جرير ما أدرك وكيع، أو تكون الواو غلط، الواو بين محمَّد بن بشار، ووكيع غلط؛ لأن ابن جرير لم يدرك زمن وكيع رَحِمَهُ اللَّهُ، والواو تمحى.

وقال في قوله: «عن الأعمش، عن مسلم» كذا قال: قال عبدالله، يعني: ابن مسعود».

قال الشَّيخ: عن مسلم وفقط؟

القارئ: كذا قال:

فقال الشَّيخ: يعني: مسند البقية.. نعم؟.

ثم سأل سماحة الشَّيخ: ما علق عليه عندك؟

فأجابه القارئ: إلَّا؟! ...

فقال الشَّيخ: اقرأ.

فقال القارئ: قال مسلم بن صبيح عن أبي الضحى، رواه مسلم بن صبيح أبي الضحى، أبو الضحى كنية مسلم.

فقال الشَّيخ: فقط.

فأجابه القارئ: فقط.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم رواه عن يحي بن داود عن إسحاق الأزرق عن سفيان عن الأعمش عن مسلم بن صبيح عن أبي الضحى».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

عن ... غلط مسلم بن صُبيح أبي الضحى عن غلط. يعني: عن أبي الضحى. أشطب عن. مسلم بن صُبيح هو أبو الضحى.

وعندهم الربيع بن صَبيح بفتح الصاد غير مسلم هذا... ذاك بفتح الصاد، وهذا بضم الصاد. مسلم بن صُبيح أبو الضحى يروي عن مسروق، وعن أصحاب ابن مسعود، ويروي عن ابن مسعود. ينظر التقريب[(١)].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«عن مُسلم بن صُبيح أبي الضحى عن مسروق عن ابن مسعود أنه قال: «**نِعْمَ تُرْجُمَانُ لِلْقُرْآنِ ابْنُ عَبَّاسٍ**» ثم رواه عنه بندار عن جعفر بن عون عن الأعمش به كذلك[(٢)].

فهذا إسناد صحيح إلى ابن مسعود: أنه قال عن ابن عباس هذه العبارة، وقد مات ابن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، في سنة اثنتين وثلاثين على الصحيح، وعُمِّر بعده عبدالله بن عباس ستًا وثلاثين سنة، فما ظنك بما كسبه من العلوم بعد ابن مسعود؟.

وقال الأعمش، عن أبي وائل: استخلف عليٌّ عبدالله بن عباس

(١) ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٣٠، ترجمة رقم ٦٦٣٢).

(٢) أخرجه ابن جرير في تفسير (١/ ٩٠) تحقيق أحمد محمَّد شاكر.

على الموسم، فخطب النَّاس، فقرأ في خطبته سورة البقرة، وفي رواية: سورة النور، ففسرها تفسيرًا لو سمعته الروم والترك، والديلم لأسلموا.

ولهذا غالب ما يرويه إسماعيل بن عبدالرَّحمن السُّدي الكبير في تفسيره، عن هذين الرجلين: ابن مسعود، وابن عباس، ولكن في بعض الأحيان ينقل عنهم ما يحكونه من أقاويل أهل الكتاب، التي أباحها رسول الله ﷺ حيث قال: «**بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً، وَحَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا حَرَجَ، وَمَنْ كَذَبَ عَلَيَّ مُتَعَمِّدًا فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**» رواه البخاري عن عبدالله بن عمرو[(١)].

ولهذا كان عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قد أصاب يوم اليرموك: زاملتين من كتب أهل الكتاب، فكان يحدث منهما بما فهمه من هذا الحديث من الإذن في ذلك.

ولكن هذه الأحاديث الإسرائيلية تذكر للاستشهاد، لا للاعتقاد، فإنَّها على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما علمنا صحته مما بأيدينا مما يشهد له بالصِّدق، فذاك صحيح.

والثاني: ما علمنا كذبه بما عندنا مما يخالفه.

والثالث: ما هو مسكوت عنه لا من هذا القبيل ولا من هذا القبيل، فلا نؤمن به ولا نكذبه، ويجوز حكايته لما تقدم».

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٣٤٦١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا كلام جيِّد صحيح قاله أهل العلم، فإنَّ أخبار بني إسرائيل تنقسم إلى هذه الأقسام الثلاثة: قسم يُعلم من كتاب الله ومن سنة رسوله ﷺ صحته فيقبل لأنَّه صحَّ دل كتاب الله على صحته أو السنة، وقسم يُعلم من السنة أو الكتاب أنَّه باطل فيحكم ببطلانه.

وقسم لم نجد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ ما يدل على صحته أو بطلانه، هذا يبقى موقوفًا، لا يصدق ولا يكذب، وعليه جاء الحديث: «**لَا تُصَدِّقُوهُمْ، وَلَا تُكَذِّبُوهُمْ**»(١) في هذا القسم، يعني: فإنه قد يكون حقًّا فتكذبونه، وقد يكون باطلًا فتصدقونه، هذا يتعلق بالقسم الثالث، وأمَّا من شهد له الكتاب والسنة بالصِّدق أو بالكذب هذا مفروغ منه.

وعلى هذا النمط أخبار الحسَّابين، وأخبار الفلكيِّين، وأخبار الفلاسفة، وأشباههم من الطوائف، هؤلاء الذين يتكلَّمون عن أشياء غائبة عن النَّاس تتعلق بأمور الغيب، يتكلَّمون عن الأفلاك أو يتكلَّمون عمَّا مضى في الزمن الماضي أو ما أشبه ذلك، هم من جنس بني إسرائيل، ما دلَّ على صدقهم فيه أخذناه؛ لأنَّه دلَّ كتاب الله على صدقه لا لأجل قولهم هم؛ بل لما قامت عليه الأدلَّة، وما دلَّ الكتاب والسنة على كذبه رددناه؛ لأنَّ الكتاب دلَّ على بطلانه، وما لم يرد فيه شيء، ولم نعلم فيه شيئًا يوقف حتى يوجد دليل على تكذيبه، أو تصديقه.

القارئ: مُسلم بن صُبيح بالتصغير الهمداني أبو الضحى الكوفي العطار مشهور بكنيته، ثقة، فاضل من الرابعة مات سنة مئة الجماعة(٢).

---

(١) أخرجه البخاري من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٤٤٨٥).
(٢) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٣٠، ترجمة رقم ٦٦٣٢).

فسأله سماحة الشَّيخ: ما ذكر مولده؟

فأجابه القارئ: نعم ما ذكر مولده.

فعقب سماحة الشَّيخ: في سماعه من ابن مسعود نظر... لابد من مراجعة كتب القرن الأول للتحرير؛ لأن بين موته وموت ابن مسعود ثمان وستون سنة.

▪ **سؤال: ما مراده في الحديث بقوله ﷺ: «حَدِّثُوا عَنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ»[(١)]؟**

● **الجواب:** أي أخبارهم التي فيها يحدثوا مثل أخبار عبدالله بن سلام، وأخبار كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وأشباههم ممَّن ينقل عن بني إسرائيل؛ لأن فيها عبرًا.

▪ **سؤال: الموافقة للشرع؟**

● **الجواب:** مطلق، هذا مطلق؛ لكن ما عُرف من كلامهم أنه مخالف للشرع يطرح.

▪ **سؤال: يا شيخ في إسناد ثاني فيه بين أبي الضحى، وابن مسعود مسروق؟**

● **الجواب:** هذا هو الأغلب أنه يروي عن أصحاب ابن مسعود، وقد يأتي في بعض الروايات عنه عن ابن مسعود رأسًا، فإذا كان قد عُمِّر، وقد ولد سنة عشر أو خمس عشرة ممكن، أقول إذا كان مُعمَّرًا ممكن سماعه من ابن مسعود بعض الشيء، ويكون غالب رواياته عن أصحابه؛ لأنه تمكن منهم، ولم يتمكن من الرواية عن ابن مسعود لصغر سنه.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٢).

▪ سؤال: **أحسن إليك يا شيخ، الحديث عن بني إسرائيل بعض الأحيان؟**

● الجواب: ليس بعض الأحيان، مطلق أخبارهم، وأخبار علمائهم، هم كُلُّهم كُفَّار ليس فيهم خير؛ لكن من روى عنهم مثل وهب فهذا من المسلمين؛ لكن هم أنفسهم قد يروون عن كفارهم، مثلما رووا عن اليهود الذين في المدينة بعض الأخبار السابقة، واليهود والنَّصارى في بعض الجهات الأخرى، هذه تعتبر مما يعضد الأدلة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وغالب ذلك مما لا فائدة فيه تعود إلى أمر ديني؛ ولهذا يختلف علماء أهل الكتاب في هذا كثيرًا، ويأتي عن المفسرين خلاف بسبب ذلك، كما يذكرون في مثل هذا أسماء أصحاب الكهف، ولون كلبهم، وعددهم، وعصا موسى من أي الشجر كانت؟ وأسماء الطُّيور التي أحياها الله لإبراهيم، وتعيين البعض الذي ضُرب به القتيل من البقرة، ونوع الشجرة التي كلَّم اللهُ منها موسى، إلى غير ذلك مما أبهمه اللهُ تعالى في القرآن، ممَّا لا فائدة في تعيينه تعود على المكلَّفين في دينهم ولا دنياهم».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهكذا الشجرة التي أكل منها آدم، ولا حاجة إلى معرفتها [ذكرها].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولكن نَقْلُ الخلاف عنهم في ذلك جائز، كما قال تعالى: ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف: ٢٢].

فقد اشتملت هذه الآية الكريمة على الأدب في هذا المقام، وتعليم ما ينبغي في مثل هذا، فإنَّه حكى عنهم ثلاثة أقوال، ضعف القولين الأوَّلين وسكت عن الثَّالث، فدلَّ على صحته إذ لو كان باطلًا لرده كما ردهما».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

ردَّ الأوَّلَين، بقوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾، فدل على أنهما باطلان، ثم ذكر ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ وسكت، فلم يقل ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾.

■ **سؤال: قوله:** ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ﴾؟

• **الجواب:** ما ينافي؛ لكن يُبين أن ﴿سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ﴾ ليس أمرًا مجزومًا بصحته؛ لأن قوله: ﴿رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ هذا يبيِّن أن سبعة وثامنهم فيه شيء من الشك؛ ولكن المؤلف استنبط من قوله: ﴿رَجْمًا بِٱلْغَيْبِ﴾ وسكت عن الثَّالث: أنَّه هو المقصود: وهذا محل نظر.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم أرشدَ على أنَّ الاطِّلاع على عدَّتهم لا طائل تحته، فقال في مثل هذا: ﴿قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم﴾ [الكهف: ٢٢] فإنَّه ما يعلم بذلك إلَّا قليل من النَّاس، ممَّن أطلعه اللهُ عليه؛ فلهذا قال: ﴿فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً

ظَٰهِرًا﴾ [الكهف: ٢٢] أي: لا تُجهد نفسك فيما لا طائل تحته، ولا تسألهم عن ذلك، فإنَّهم لا يعلمون من ذلك إلَّا رجم الغيب، فهذا أحسن ما يكون في حكاية الخلاف: أن تستوعب الأقوال في ذلك المقام، وأن تُنبه على الصحيح منها وتبطل الباطل، وتذكر فائدة الخلاف وثمرته؛ لئلا يطول النزاع والخلاف فيما لا فائدة تحته، فتشتغل به عن الأهم فالأهم.

فأمَّا من حكى خلافًا في مسألة ولم يستوعب أقوال النَّاس فيها فهو ناقص، إذ قد يكون الصَّواب في الذي تركه، أو يحكي الخلاف ويطلقه ولا ينبه على الصحيح من الأقوال، فهو ناقص أيضًا، فإن صحح غير الصحيح عامدًا فقد تعمَّد الكذبَ، أو جاهلًا فقد أخطأ، وكذلك من نصب الخلاف فيما لا فائدة تحته، أو حكى أقوالًا متعددة لفظًا ويرجع حاصلها إلى قول أو قولين معنىً، فقد ضيَّع الزَّمان، وتكثر بما ليس بصحيح، فهو كلابس ثوبي زور، والله الموفق للصواب».

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رحمه الله:

فصل

«إذا لم تجد التَّفسير في القرآن ولا في السنة، ولا وجدته عن الصَّحابة، فقد رجع كثيرٌ من الأئمَّة في ذلك إلى أقوال التَّابعين، كمجاهد بن جَبْر، فإنَّه كان آية في التَّفسير، كما قال محمَّد بن إسحاق: حدثنا أبان بن صالح، عن مجاهد، قال: «**عَرَضْتُ الْمُصْحَفَ عَلَى ابْنِ عَبَّاسٍ ثَلَاثَ عَرضَاتٍ مِنْ فَاتِحَتِهِ إِلَى خَاتِمَتِهِ، أُوقِفُهُ عِنْدَ كُلِّ آيَةٍ مِنْهُ، وَأَسْأَلُهُ عَنْهَا**»(١).

وقال ابن جرير: أنبأنا أبو كُرَيْب، أنبأنا طَلْق بن غنام، عن عثمان المكي...».

قال المعلق رحمه الله:

عن عثمان البتي، فأجابه القارئ: المكي.

فقال سماحة الشيخ: المكي بالميم؟

فقال القارئ: نعم. نسبة إلى مكة، فأمر سماحته أن يجعل عليه إشارة؟!

مداخلة: قال في عثمان المكي، وفيه عثمان الأسود من رجال الجماعة، ويشهد لهذا الأثر، الأثر الذي قبله.

فقال سماحة الشيخ: فقط .. عثمان الأسود؟

فأجابه القارئ: عثمان الأسود من رجال الجماعة، فكلَّف بالنظر

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٩٠، ٩١).

في ترجمته، فقال: هو عثمان بن الأسود بن موسى المكي، مولى بني جمح ثقة ثبت من كبار السَّابعة مات سنة خمسين أو قبلها، بعد المائة، روى له الجماعة[(١)].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عن ابن أبي مُلَيْكَة قال: رأيت مجاهدًا سأل ابن عباس عن تفسير القرآن، ومعه ألواحه، قال: فيقول له ابن عباس: اكتب، حتى سأله عن التَّفسير كُلِّه؛ ولهذا كان سفيان الثوري، يقول: إذا جاءك التَّفسير عن مجاهد فحسبك به[(٢)]، وكسعيد بن جُبَيْر، وعِكْرِمة مولى ابن عباس، وعطاء بن أبي رباح، والحسن البصري، ومسروق بن الأجدع، وسعيد بن المسيب، وأبي العالية، والربيع بن أنس، وقتادة، والضحاك بن مُزاحم، وغيرهم من التَّابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية فيقع في عباراتهم تباين في الألفاظ، يحسبها من لا علم عنده اختلافًا فيحكيها أقوالًا، وليس كذلك، فإنَّ منهم من يُعبِّر عن الشَّيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتفطن اللَّبيب لذلك، واللهُ الهادي.

وقال شعبة بن الحجاج وغيره: أقوال التَّابعين في الفروع ليست حُجَّة؟ فكيف تكون حُجَّة في التَّفسير؟ يعني: أنَّها لا تكون حُجَّة على غيرهم ممن خالفهم، وهذا صحيح، أمَّا إذا أجمعوا على الشَّيء فلا يرتاب في كونه حُجَّة، فإن اختلفوا فلا يكون قول بعضهم حُجَّة على قول بعض، ولا على من بعدهم، ويرجع في ذلك إلى لغة القرآن أو السنة أو عموم لغة العرب، أو أقوال الصَّحابة في ذلك».

---

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: (ص٣٨٢، برقم ٤٤٥١).
(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٩٠، ٩١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

المعنى أنَّه إذا اجتمع التَّابعون وأئمة السَّلف على شيء، فلا شك أنَّ ذلك حُجَّة؛ لأنَّهم أعلم النَّاس بتفسير كتاب الله، وأصدقهم وأوثقهم، فإن تنازعوا رجع في الترجيح إلى شيء آخر إذا تنازع المفسرون من التَّابعين أو من الصَّحابة، رجع إلى الأدلَّة الأخرى للترجيح إمَّا الكتاب العزيز، أو السنة المطهرة، أو لغة العرب في ذلك، حتى يجد طالب العلم ما يرجح به أحد القولين، أو أحد الأقوال على الآخر.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فأمَّا تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام؛ لما رواه محمَّد بن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ حيث قال: حدثنا محمَّد بن بشار، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا سفيان، حدثني عبدالأعلى، هو ابن عامر الثعلبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النَّبِيِّ ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ، أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمْ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ**»(١).

وهكذا أخرجه الترمذيُّ والنَّسائي، من طرق، عن سفيان الثوري، به(٢) ورواه أبو داود عن مُسَدَّد، عن أبي عَوَانة، عن عبدالأعلى، به مرفوعًا(٣) وقال الترمذي: هذا حديث حسن.

وهكذا رواه ابن جرير أيضًا عن يحيى بن طلحة اليربوعي، عن

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٧٨)،) والإمام أحمد (١/ ٢٣٣، ٢٦٩، برقم ٢٠٦٩، ٢٤٢٩).
(٢) الترمذي برقم (٢٩٥١)، والنسائي (٥/ ٣١، برقم ٨٠٨٥).
(٣) لم أجد في سنن أبي داود رواية ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وإنما وجدت فيه رواية للزبير رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٣٦٥١).

شريك، عن عبدالأعلى، به مرفوعًا، ولكن رواه عن محمَّد بن حميد، عن الحكم بن بشير، عن عمرو بن قيس المُلائِي، عن عبدالأعلى، عن سعيد، عن ابن عباس، فوقفه. وعن محمَّد بن حميد، عن جرير، عن ليث، عن بكر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس من قوله، فالله أعلم.

وقال ابن جرير: أنبأنا العباس بن عبدالعظيم العَنْبَرِي، حدثنا حيان بن هلال حدثنا سهل أخو حزم».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حبان ـ بالباء ـ بالموحدة، فيعيد: حبان بن هلال ...

والمراد بالرأي: هو الرأي الذي لا أساس له لا من كلام الله، ولا من كلام رسوله، ولا من كلام العرب، وإنَّما هو مجرد رأي له فقط هذا هو المنكر سواء كان حديثًا مرفوعًا، أو موقوفًا، والموقوف يشهد للمرفوع، أمَّا إذا كان يتكلَّم عن لغة العرب، ويطبق بلغة العرب، وكلام العرب، هذا ليس من الرأي، ليس من رأيه.

والرأي رأيان: رأي يؤخذ من الأدلَّة الشَّرعية، ومن كلام العرب المعروف، فهذا لا ذم فيه هكذا كان السَّلف يُفسرون القرآن بما تقتضيه اللُّغة العربية عند عدم وجود النَّص.

والمعنى الثَّاني: الرأي المجرد الذي ليس له مستند، ليس له أساس هذا هو المذموم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وحدثنا أبو عمران الجَوْني، عن جُنْدب؛ أن رسول الله ﷺ قال: «**مَنْ قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»(١) وقد روى هذا الحديث أبو داود، والترمذي، والنسائي من حديث سهيل بن أبي حزم القطيعي(٢). وقال الترمذي: غريب، قد تكلم بعض أهل العلم في سهيل»(٣).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سُهيل؟ والأول، سَهل عندكم مُكبرًا الأول.. فأجابه القارئ: الأول والثاني سهيل؟

فقال الشيخ: سهل بن حزم؟

فأجابه القارئ: سهل أخو حزم؟ فكرر الشيخ: والثاني

فقال القارئ: سُهيل بن أبي حزم القطيعي.

فقال الشيخ: ابن أبي حزم؟ وذاك سهل أخو حزم.

فأجابه القارئ: نعم. فطلب الشَّيخ إعادة السند؟ وكلف بالبحث عنهما.

ترجمة سُهيل هو: سُهيل بالتَّصغير، ابن أبي حزم، مهران أو عبدالله القُطَيعي بضم القاف وفتح الطاء أبو بكر البصري ضعيف من السابعة، الأربعة(٤).

---

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره (١/ ٧٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٣٦٥٢)، والترمذي برقم (٢٩٥٢) والنسائي (٥/ ٣١، برقم ٨٠٨٦).

(٣) قال فيه البخاري في التاريخ الكبير (٢/ ٢/ ١٠٧) ليس بالقوي، ونقل ابن أبي حاتم عن أبيه أنه قال فيه: ليس بالقوي يكتب حديثه ولا يحتج به، وحزم أخوه أتقن منه. ينظر: الجرح والتعديل (٢/ ١/ ٢٤٧).

(٤) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٥٩، برقم ٢٦٧٢).

قال الشيخ: فقط؟

فأجابه القارئ: نعم.

فقال الشيخ: قال: ويقال سهل؟

القارئ: نعم.

فقال الشيخ: هل بحثت عن سهل المكبر؟

فقال القارئ: سهل أخو حزم ما هو فيه(١)؟

فقال الشيخ: ما ذكره؟

فأجابه القارئ: لا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وفي لفظ لهم: «**مَن قَالَ فِي القُرْآنِ بِرَأْيِهِ فَأَصَابَ فَقَدْ أَخْطَأَ**»(٢) أي: لأنَّه قد تكلَّف ما لا علم له به، وسلك غير ما أمر به، فلو أنَّه أصاب المعنى في نفس الأمر لكان قد أخطأ؛ لأنَّه لم يأت الأمر من بابه، كمن حكم بين النَّاس على جهل فهو في النَّار، وإن وافق حكمه الصَّواب في نفس الأمر؛ لكن يكون أخف جُرمًا ممن أخطأ، والله أعلم.

وهكذا سمَّى الله القَذَفة كاذبين، فقال: ﴿فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا۟ بِٱلشُّهَدَآءِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ عِندَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْكَٰذِبُونَ ﴿١٣﴾﴾ [النُّور: ١٣] فالقاذفُ كاذبٌ، ولو كان قد قذف من زنى في نفس الأمر؛ لأنَّه أخبر بما لا يحلُّ له الإخبار به، ولو

(١) قال الشَّيخ أحمد محمَّد شاكر: في تعليقه على تفسير ابن جرير الطبري: سهيل أخو حزم، هو نفسه سهيل ابن أبي حزم، وإنما قيل: سهيل أخو حزم تعريفًا له بأخيه حزم بن أبي حزم القطعي: إذْ كان أوثق منه وأشهر (١/ ٧٩).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٣٢).

كان أخبر بما يعلم؛ لأنَّه تكلَّف ما لا علم له به، والله أعلم.

ولهذا تَحرَّج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى شعبة، عن سليمان، عن عبدالله بن مرَّة، عن أبي مَعْمَر، قال: قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «**أَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، وَأَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي؟ إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ الله مَا لَا أَعْلَمْ**»(١).

وقال أبو عبيد القاسم بن سلام: حدثنا محمَّد بن يزيد، عن العوَّام بن حوشب، عن إبراهيم التَّيْمِي، أنَّ أبا بكر الصَّديق سُئل عن قوله: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عَبَسَ: ٣١] فقال: «**أَيُّ سَمَاءٍ تُظِلُّنِي، وَأَيُّ أَرْضٍ تُقِلُّنِي، إِذَا قُلْتُ فِي كِتَابِ الله مَا لَا أَعْلَمْ**»(٢) منقطع.

وقال أبو عبيد أيضًا: حدثنا يزيد، عن حميد، عن أنس؛ أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ [عَبَسَ: ٣١]، فقال: هذه الفاكهة قد عرفناها، فما الأبَّ؟ ثم رجع إلى نفسه، فقال: إن هذا لهو التَّكلَّف يا عمر»(٣).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

كأنه بهذا أراد أن يسأل عن حقيقته: ما هو؟ ما عينه من النَّبات؟ لأنَّ الأبَّ معروف أنَّه نبات الأرض الذي تأكلُه الدَّواب، ثم قال: إنَّه التَّكلُّف فلا حاجة إلى ذلك، يكفي أن يعرف أنَّه نبات الأرض وعشبها، ويكفي، سواء كان نوع كذا، أو نوع كذا، فالله

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٧٨).
(٢) أخرجه أبو عبيد القاسم بن سلام في كتاب فضائل القرآن (ص٣٧٥).
(٣) فضائل القرآن (ص٣٧٥) والحاكم في المستدرك برقم (٣٨٩٧)، وصححه ووافقه الذهبي (٢/ ٥٥٩).

جلَّ وعلا أخرج للعباد بالأمطار التي يُنزلها أنواعًا من الخيرات، من الحبوب والثمار، والفواكه.

وهكذا أنواع النَّبات في الأرض الذي تأكله الدَّواب ويسمَّى الأبَّ، وتأكله الإبل، والبقر، والغنم، وهو أنواع منوعة من النبات.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال محمَّد بن سعد: حدثنا سليمان بن حرب، حدثنا حماد بن زيد، عن ثابت، عن أنس، قال: كنا عند عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وفي ظهر قميصه أربع رقاع، فقرأ: ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ٣١﴾ [عَبَسَ: ٣١] فقال: فما الأب؟ ثم قال: هو التَّكلُّف فما عليك ألا تدريه[(١)].

وهذا كلُّه محمولٌ على أنَّهما رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، إنَّما أرادا استكشاف عِلم كيفية الأبّ، وإلَّا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يُجهل، لقوله: ﴿فَأَنۢبَتۡنَا فِيهَا حَبًّا ٢٧ وَعِنَبًا﴾ [عَبَسَ: ٢٧-٢٨] الآية.

وقال ابن جرير: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن أيوب، عن ابن أبي مُلَيْكَة: أن ابن عباس سئل عن آية لو سئل عنها بعضكم لقال فيها، فأبى أن يقول: فيها. إسناده صحيح».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الله أكبر.. هكذا أهل العلم، ولو كان عندهم من العلم ما عندهم واجبهم التَّوقف إذا أشكل عليهم الأمر، فإنَّ من العلم أن يقول: طالب

---

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٣/ ٣٢٧) وأخرجه البخاري ولفظه: «**نُهِينَا عَنِ التَّكَلُّف**» برقم (٧٢٩٣).

العلم لما لا يعلم: لا أدري، أو يقف... هكذا.. ما من شخص إلَّا وقد يخفى عليه أشياء فواجبه عند ذلك أن يقف، ويقول: لا أدري... ولا يتكلف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥٓ أَلۡفَ سَنَةٖ﴾ [السَّجدَة: ٥]، فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤﴾ [المعَارج: ٤]؟ فقال له الرَّجل: إنَّما سألتك لتحدثني، فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله تعالى في كتابه، الله أعلم بهما، فكره أن يقول: في كتاب الله ما لا يعلم»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

أمَّا يوم مقداره خمسون ألف سنة فقد فسرته الآية، وأنَّه يوم القيامة ﴿تَعۡرُجُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ وَٱلرُّوحُ إِلَيۡهِ فِي يَوۡمٖ كَانَ مِقۡدَارُهُۥ خَمۡسِينَ أَلۡفَ سَنَةٖ ۝٤ فَٱصۡبِرۡ صَبۡرٗا جَمِيلًا ۝٥ إِنَّهُمۡ يَرَوۡنَهُۥ بَعِيدٗا ۝٦ وَنَرَىٰهُ قَرِيبٗا ۝٧ يَوۡمَ تَكُونُ ٱلسَّمَآءُ كَٱلۡمُهۡلِ ۝٨﴾ [المعَارج: ٤-٨] فأوضحت الآيات أنَّه يوم القيامة.

وصحَّ عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: في مانع الزَّكاة أنَّه يُعذَّب في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، ثم يرى سبيله، إمَّا إلى الجنَّة، وإمَّا إلى النَّار[(٢)].

فهو يوم واضح المعنى، ففي هذه الرواية يظهر، وإن كان الإسناد ظاهره الصِّحة؛ لكن إمَّا أن يكون غاب عن ابن عباس تلك السَّاعة معنى الآية الكريمة، فقال ما قال.

---

(١) فضائل القرآن (ص٣٧٦)، وتفسير ابن جرير (٢٣/ ٦٠٢) وتفسير ابن أبي حاتم (٩/ ٣١٠٤).
(٢) أخرجه مسلم من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ برقم (٩٨٧).

وأمَّا اليوم الثَّاني: فقد قال اللهُ فيه: ﴿وَإِنَّ يَوْمًا عِندَ رَبِّكَ كَأَلْفِ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ﴿٤٧﴾﴾ [الحَجّ: ٤٧] فهو يوم من أيام الله فسره جماعة من أهل العلم بأنَّه ما بين السَّماء والأرض نزولًا وصعودًا، فإنَّ مقداره يوم عند ربِّك، فإنَّ ما بين السماء والأرض خمسمائة عام، فالنزول خمس، والصعود خمس، لنزول الأمر وصعوده، نزول جبرائيل وصعوده، وقيل: غير ذلك.

والمقصود: أنَّ اليوم الذي عند ربِّك هذا هو محل الإشكال، أمَّا اليوم الذي مقداره خمسون ألف سنة، فهو يوم القيامة بلا ريب، والآية صريحة في ذلك، وهكذا الأحاديث.

هات السند الأخير هذا؟

فقال القارئ: «وقال أبو عبيد: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، قال: سأل رجل ابن عباس ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ [السَّجدَة: ٥] فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ ﴿٤﴾﴾ [المعَارج: ٤]».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

السند صحيح ظاهره الصِّحة.. هل علَّق عليه عندك؟

القاري: إي نعم. قال: إسناده صحيح.

فرد الشَّيخ: فقط؟

فأجابه القارئ: فقط.

قال المؤلف رحمه الله:

«وقال ابن جرير أيضًا: حدثني يعقوب ـ يعني: ابن إبراهيم ـ، حدثنا ابن عُلَيَّة، عن مَهْدي بن ميمون، عن الوليد بن مسلم، قال: جاء طَلْق بن حبيب إلى جُنْدُب بن عبدالله، فسأله عن آية من القرآن؟ فقال: «**أُحَرِّجُ عَلَيْكَ إِنْ كُنْتَ مُسْلِمًا لمّا قُمْتَ عَنِّي**» أو قال: «**أَنْ تُجَالِسَنِّي**»[(١)].

وقال مالك، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنَّه كان إذا سئل عن تفسير آية من القرآن، قال: إنا لا نقول في القرآن شيئًا.

وقال اللَّيث، عن يحيى بن سعيد، عن سعيد بن المسيب: إنَّه كان لا يتكلَّم إلَّا في المعلوم من القرآن[(٢)]، وقال شعبة، عن عمرو بن مُرَّة، قال: سأل رجل سعيد بن المسيب عن آية من القرآن؟، فقال: لا تسألني عن القرآن، وسل من يزعم أنَّه لا يخفى عليه منه شيء، يعني: عكرمة[(٣)].

وقال ابن شَوْذَب: حدثني يزيد بن أبي يزيد، قال: كنا نسأل سعيد بن المسيب عن الحرام والحلال، وكان أعلمُ النَّاس، فإذا سألناه عن تفسير آية من القرآن سكت، كأن لم يسمع»[(٤)].

قال المعلق رحمه الله:

وهذا من باب الورع، الورع العظيم والخوف، أن يقول: فيه برأيه، أو بما لم يعلم، هذا محمولٌ على الورع، وإلَّا فالحقُّ أن يقول:

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦).
(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦).
(٣) تفسير ابن جرير (١/ ٨٧) وابن أبي شيبة (٧/ ١٧٩) وأبو عبيدة في فضائل القرآن (ص٣٧٧).
(٤) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦).

في القرآن بما علم، ويقف عمَّا لا يعلم، كما قال ابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وغيرهم من أهل العلم، القرآن كلام الله، فسره سبحانه بما جاء في السنة، وبما جاء في مواضع أخرى من كتابه العظيم، يُفسر بعضه بعضًا، وبما قاله السَّلف الصَّالح، وبما علم من اللُّغة العربية؛ لأنَّه نزل بلسان عربي مبِّين، فإذا أشكل على طالب العلم توقف.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقال ابن جرير**: حدثني أحمد بن عبدة الضَّبِّيُّ، حدثنا حماد بن زيد، حدثنا عبيد الله بن عمر، قال: «**لقد أدركتُ فقهاء المدينة، وإنَّهم ليعظِّمون القول في التَّفسير، منهم: سالم بن عبدالله، والقاسم بن محمَّد، وسعيد بن المسيب، ونافع**».

وقال أبو عبيد: حدثنا عبدالله بن صالح، عن اللَّيث، عن هشام بن عُرْوَة، قال: «**ما سمعت أبي يؤِّول آية من كتاب الله قط**».

وقال أيوب، وابن عَوْن، وهشام الدَّسْتوائِي، عن محمَّد بن سيرين: سألت عبَيدة، يعني: السلماني، عن آية من القرآن، فقال: «**ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن؟ فاتَّق الله، وعليك بالسَّداد**»[(١)].

وقال أبو عبيد: حدثنا معاذ، عن ابن عون، عن عبدالله بن مسلم بن يسار، عن أبيه، قال: «**إذا حدثت عن الله حديثًا فقف، حتى تنظر ما قبله، وما بعده**»[(٢)].

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٦)، وابن أبي شيبة (٧/ ١٧٩).
(٢) فضائل القرآن (ص٣٧٧).

حدثنا هُشَيْم، عن مُغيرة، عن إبراهيم، قال: كان أصحابنا يتَّقون التَّفسير ويهابونه[(١)].

وقال شعبة: عن عبدالله بن أبي السَّفْر، قال: قال الشعبي: «**والله ما من آية إلَّا وقد سألت عنها، ولكنَّها الرِّواية عن الله عَزَّ وَجَلَّ**»[(٢)].

وقال أبو عبيد: حدثنا هشيم، حدثنا عمرو بن أبي زائدة، عن الشَّعبي، عن مسروق، قال: «**اتَّقُوا التَّفْسِير، فَإِنَّما هُو الرِّوَايَة عَنِ الله**»[(٣)].

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن أئمة السَّلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التَّفسير بما لا علم لهم به، فأمَّا من تكلَّم بما يعلم من ذلك لغةً وشرعًا، فلا حرج عليه؛ ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التَّفسير، ولا منافاة؛ لأنَّهم تكلَّموا فيما علموه، وسكتوا عمَّا جهلوه، وهذا هو الواجبُ على كلِّ أحد، فإنَّه كما يجبُ السُّكوتُ عمَّا لا علم له به، فكذلك يجبُ القول فيما سُئل عنه ممَّا يعلمه؛ لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: ١٨٧].

ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق: «**مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ أَلْجَمَ يَوْمَ القِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ**»[(٤)].

فأمَّا الحديث الذي رواه أبو جعفر بن جرير: حدثنا عباس بن عبدالعظيم، حدثنا محمد بن خالد بن عَثْمة، حدثنا أبو جعفر بن محمَّد

---

(١) فضائل القرآن (ص٣٧٨).

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٨٧).

(٣) فضائل القرآن (ص٣٧٧).

(٤) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٣٦٥٨)، والترمذي برقم (٣٦٤٩)، وقال: حديث حسن.

بن الزبيري، حدثني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، قالت: «مَا كَانَ النَّبِيّ ﷺ يُفَسِّرُ شَيْئًا مِنَ القُرْآنِ، إِلَّا آيًا بِعَدَدٍ، عَلَّمَهُنَّ إِيَّاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام»[(١)].

قال المعلق رحمه الله:

إلَّا آيا... إيش؟ فأجابه القارئ: إلَّا آيا بعدد.

فقال الشَّيخ: بعدد.. بعدد، يمكن.. تعدها؟ فسأل القارئ: تُعد؟

فقال الشَّيخ: إي.. نعم.. ثم سأل: هل لديكم نسخة أخرى؟ فقال أحد الطلاب: نعم بها، آيا تعد.

فقال الشَّيخ: في نسخة تعد بالتاء بدل الباء ـ تعد، فأُجيب، نعم.

فقال الشَّيخ: تعد، يعني: معدودة... وفي نسخة بعدد، دالين...

قال المؤلف رحمه الله:

«ثم رواه عن أبي بكر محمَّد بن يزيد الطرسوسي، عن مَعْن بن عيسى، عن جعفر بن خالد، عن هشام، به. فإنَّه حديثٌ منكرٌ غريبٌ، وجعفر هذا هو ابن محمد بن خالد بن الزبير بن العوام القرشي الزبيري، قال البخاري: لا يتابع في حديثه، وقال الحافظ أبو الفتح الأزدي: منكر الحديث.

وتكلَّم عليه الإمام أبو جعفر بما حاصله أنَّ هذه الآيات مما لا يعلم إلَّا بالتَّوقيف عن الله تعالى، ممَّا وقفه عليها جبرائيل. وهذا تأويل صحيح لو صح الحديث».

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٨٤).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

قال: لو صح لقيل في آيات جاء فيها الوحي الخاص.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإنَّ من القرآن ما استأثر اللهُ تعالى بعلمه، ومنه ما يعلمه العلماء، ومنه ما تعلمه العرب من لغاتها، ومنه ما لا يعذر أحد في جهالته، كما صرح بذلك ابن عباس فيما قال ابن جرير: حدثنا محمَّد بن بشار، حدثنا مُؤَمَّل، حدثنا سفيان، عن أبي الزناد[(١)] قال: قال ابن عباس: التَّفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحدٌ بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلَّا الله[(٢)].

قال ابن جرير: وقد روى نحوه في حديث في إسناده نظر. حدثني يونس بن عبدالأعلى الصدفي، أنبأنا ابن وهب قال: سمعت عمرو بن الحارث يحدث عن الكلبي، عن أبي صالح، مولى أم هانئ، عن عبدالله بن عباس: أن رسول الله ﷺ قال: «**أُنْزِلَ القُرْآنُ عَلَى أَرْبَعَةِ أَحْرُفٍ: حَلَالٍ، وَحَرَامٍ لَا يُعْذَرُ أَحَدٌ بِالجَهَالَةِ بِهِ، وَتَفْسِيرٌ يُفَسِّرُهُ العَرَبُ، وَتَفْسِيرٌ يُفَسِّرُهُ العُلَمَاءُ، وَمُتَشَابِهٌ لَا يَعْلَمُهُ إِلَّا اللهُ، وَمَنِ ادَّعَى عِلْمَهُ سِوَى الله، فَهُوَ كَاذِبٌ**»[(٣)].

والنظر الذي أشار إليه في إسناده هو من جهة محمَّد بن السائب

(١) عن الأعرج، وهي ساقطة عن النسخة التي قرأت على سماحته، وهي مثبتة في نسخة دار طيبة المحققة(١/ ١٤).
(٢) تفسير ابن جرير (١/ ٧٥).
(٣) تفسير ابن جرير (١/ ٧٦).

الكلبي، فإنه متروك الحديث؛ لكن قد يكون إنَّما وهم في رفعه، ولعله من كلام ابن عباس، كما تقدم، واللهُ أعلمُ بالصوابِ»[١].

❊ ❊ ❊

(١) بعد هذا الموضع قفز القارئ: كتاب فضائل القرآن في المقدمة، فلم يقرأه، وهو حدود (٨٠) صفحة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

مقدمة مفيدة:

تذكر في أول التفسير قبل الفاتحة

«قال أبو بكر بن الأنباري: حدثنا إسماعيل بن إسحاق القاضي، حدثنا حجاج بن مِنْهال، حدثنا همام، عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن البقرة، وآل عمرانَ، والنساء، والمائدة، وبراءة، والرعد، والنحل، والحج، والنُّور، والأحزاب، ومحمَّد، والفتح، والحجرات، والرحمن، والحديد، والمجادلة، والحشر، والممتحنة، والصف، والجمعة، والمنافقون، والتغابن، والطلاق، ويا أيها النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّم، إلى رأس العشر، وإذا زلزلت، وإذا جاء نصرُ الله. هؤلاء السُّور نزلت بالمدينة، وسائر السُّور بمكة.

فأمَّا عدد آيات القرآن العظيم فستة آلاف آية، ثم اختلف فيما زاد على ذلك على أقوال: فمنهم من لم يزد على ذلك، ومنهم من قال: ومائتي آية وأربع آيات، وقيل: وأربع عشرة آية، وقيل: ومائتان وتسع عشرة آية، وقيل: ومائتان وخمس وعشرون آية، أو ست وعشرون آية، وقيل: ومائتا، وست وثلاثون آية. حكى ذلك أبو عمرو الداني في كتابه البيان[(١)].

وأمَّا كلماته: فقال الفضل بن شاذان، عن عطاءِ بن يسار: سبع وسبعون ألف كلمة وأربعمائة وتسع وثلاثون كلمة.

وأمَّا حروفُه: فقال عبدالله بن كثير، عن مجاهد: هذا ما أحصينا من القرآن، وهو ثلاثُمائِة ألفِ حرف وواحدٌ وعشرون ألفَ حَرْفٍ ومائَةٌ وثمانونَ حرفًا.

---

(١) نقل ذلك عنه القرطبي في تفسيره (١/ ٦٥).

وقال الفضل[(١)] عن عطاء بن يسار: ثلاثمائة ألف حرف وثلاثة وعشرون ألفًا وخمسة عشر حرفًا.

وقال سَلام أبو محمَّد الحماني: إنَّ الحجاج جمع القراء والحفاظ والكُتَّاب فقال: أخبروني عن القرآن كُلِّه كم من حرفٍ هو؟ قال: فحسبناه فأجمعوا أنَّه ثلاثُمائة ألفِ وأربعون ألفًا وسبعمائة وأربعون حرفًا، قال: فأخبروني عن نصفه، فإذا هو إلى الفاء من قوله في الكهف: ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ [الكهف: ١٩] وثُلثه الأول عند رأس مائة آية من براءة، والثَّاني على رأس مائة أو إحدى ومائة من الشعراء، والثَّالث إلى آخره.

وسُبُعُه الأول إلى الدال من قوله تعالى: ﴿فَمِنْهُم مَّنْ ءَامَنَ بِهِۦ وَمِنْهُم مَّن صَدَّ عَنْهُۚ﴾ [النِّسَاء: ٥٥].

والسُّبُع الثاني إلى التاء من قوله في الأعراف: ﴿حَبِطَتْ﴾ [الأعرَاف: ١٤٧].

والثالث إلى الألف الثانية من: ﴿أُكُلُهَا﴾ [الرّعد: ٣٥].

والرَّابع إلى الألف من قوله في الحج: ﴿جَعَلْنَا مَنسَكًا﴾ [الحَجّ: ٦٧].

والخامس إلى الهاء من قوله في الأحزاب: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾ [الأحزَاب: ٣٦].

والسَّادس إلى الواو من قوله تعالى في الفتح: ﴿ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِۚ﴾ [الفَتْح: ٦].

والسابع إلى آخر القرآن. قال سلام أبو محمَّد: عملنا ذلك في أربعة أشهر.

---

(١) في النسخة التي قرأت على سماحته [الفضل بن عطاء] والصواب [عن الفضل عن عطاء] كما صوب سماحة الشيخ وهو موافق لنسخة دار طيبة المحققة (١/ ٩٩).

قالوا: وكان الحجاج يقرأ في كلِّ ليلةٍ ربع القرآن:

فالأول: إلى آخر الأنعام.

والثاني: إلى ﴿وَلْيَتَلَطَّفْ﴾ من سورة الكهف: آية ١٩.

والثالث: إلى آخر الزمر.

والرابع: إلى آخر القرآن.

وقد ذكر الشَّيخ أبو عمرو الداني في كتابه البيان خلافًا في هذا كلّه، والله أعلم.

وأمَّا التحزيب والتَّجزئة فقد اشتهرت الأجزاء من ثلاثين كما في الربعات في المدارس وغيرها، وقد ذكرنا فيما تقدم الحديث الوارد في تحزيب الصحابة للقرآن، والحديث في مسند الإمام أحمدَ وسُنَن أبي داودَ وابن ماجَه وغيرهما عن أوس بن حُذَيفة أنَّه سَأَلَ أصحابَ رسولِ الله ﷺ في حياته: «كَيْفَ تُحَزِّبُونَ القُرْآنَ؟ قَالُوا: ثَلَاثَ، وَخَمْسَ، وَسَبْعَ، وَتِسْعَ، وَإِحْدَى عَشْرَةَ، وَثَلَاثَ عَشْرَةَ»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

ثلاث وخمس وسبع، يعني: البقرة، وآل عمران، والنساء، وصحح للقارئ: وإحدى عشرة، وثلاثة عشر، فذكر القارئ: القاعدة: في المذكر أحد عشر، وثلاثة عشر، وفي المؤنث إحدى عشرة وثلاث عشرة، فأجابه الشَّيخ لأنها السور مؤنث، المراد بها السور، وإذا أريد الأحزاب صار بالتذكير الحزب الأول كذا، والحزب الثاني كذا.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٩، ٣٤٣، برقم ١٦٢١١، ١٩٠٤٣) وأبو داود برقم (١٣٩٣)، وابن ماجه برقم (١٣٤٥).

يعني: أنَّهم رضي الله عنهم كانوا يقرؤون القرآن في سبعة أيام، في الغالب، وفي ثلاثة أيام... دليل ذلك ما ثبت في الصحيحين عنه ﷺ أنَّه قال لعبدالله بن عمرو: «اقْرَأْهُ فِي سَبْعٍ»(١) فلهذا حزَّبوه سبعًا قال: فلما ألح عبد الله قال: اقرأه في ثلاث، وقراءة القرآن في سبع فيه تمهل وتدبر وعدم عجلة، وتفرغ للحاجات الأخرى، فإذا حزبه سبعًا صار يختمه في كل أسبوع مرة، في الشَّهر أربع مرات، كان في ذلك خير كثير، وفي ذلك أيضًا عدم مشقة على النفس، وتحري للتدبر والتعقل، نعم مع قضاء الحاجات الأخرى، والناس يختلفون في هذا، فمن النَّاس من له حاجات كثيرة، لا يستطيع معها الختم في سبع، ومن النَّاس من هو قليل الأشغال يستطيع أن يختم في سبع، وفي أقلَّ من ذلك.

قال المؤلف رحمه الله:

«وحزْبُ المفَصَّلِ حتى تختم».

قال المعلق رحمه الله:

وأوَّله قاف، فالحزب الأخير من «ق» إلى آخره، وهذا من العلوم التي تنفع الإنسان، فيها إيناس لقلبه، وإحاطة بما قاله أهل العلم، وإلَّا فالأهم من هذا كلّه العناية بالعمل، ولو ختمه كل يوم وهو مضيِّع له لم ينفعه شيء، ولا حول ولا قوة إلَّا بالله، والقرآن حجَّة لك أو عليك فالمهم في هذا كله أن تعنى به تدبرًا وتعقلًا وعملًا، لا مجرد تلاوة، ولو ختمت كل يوم، إذا كانت القراءة لمجرد اسم القراءة، أو للرياء، أو لأغراض أخرى ما تفيد أهلها شيئًا، المطلوب قراءة يكون معها التدبر،

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٥٤)، ومسلم برقم (١١٥٩).

والتعقل، والعلم والفائدة، والعمل ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ ٢٩﴾ [ص: ٢٩] ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلۡقُرۡءَانَ أَمۡ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقۡفَالُهَآ ٢٤﴾ [محمد: ٢٤] فإذا انضم إلى هذا، يعني: العلم بعدد آياته، وكلماته، فهذا علم ينفع ولا يضر، لكن المُهم كلُّه هو العمل، وهو بحمد الله محفوظ، وإن تنازعوا في بعض الحروف أو بعض الكلمات.

فالمقصود: هو العناية به علمًا وعملًا، قد تكون بعض الكلمات يظنها بعض النَّاس كلمتين وهي كلمة، بعض الحروف قد تسقط، يعني: همزة وصل فيحسبها قوم، ولا يحسبها آخرون، بعض الكلمات قد تهمز فيكون فيها همزة وقد لا تهمز، فلا يكون فيها همزة فلا تحسب، كذلك الآيات قد يظن بعض القراء أن هذه آية، والقراء الآخرون يرون أنها متصلة بما قبلها وأنهما آية واحدة، وما أشبه ذلك.

▪ **سؤال: من لم يقرأ القرآن إلَّا في المكتوبة هل يأثم؟**

• **الجواب**: ما نعلم أنه يأثم؛ لكن على كل حال فرط في خير كثير حفظه، قراءته لا يأثم بتركها كونه فرض كفاية، وقراءته ليست واجبة؛ لكن سنة مشروعة وقربة، المهم الواجب هو العمل؛ ولهذا أكثر العامَّة لا يعرفون القرآن، ولا يقرؤونه، ولا يحفظونه، وهم مسلمون.

▪ **سؤال: تركه وعدم قراءته ألا يعتبر عدم مبالاة يا شيخ؟**

• **الجواب**: لا. ما يكون ذنب معصية، الواجب العمل؛ لكنه قربة وطاعة، مثل النوافل.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصل:

«واختلفوا في معنى السُّورة: مِمَّ هي مشتقة؟ فقيل: من الإبانة والارتفاع.

قال النَّابغة:

ألــم تــر أنَّ اللهَ أعــطــاكَ ســورَةً   تَرَى كُلَّ مَلْكٍ دُونها يَتَذَبْذَب

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: المنزلة الرفيعة، سورة منزلة رفيعة. وقد صحح للقارئ القراءة: كلَّ «**ملْك**» سكن اللام، لضرورة الشِّعر.. يعني: سورة: منزلة رفيعة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فكأنَّ القارئ يتنقل بها من منزلة إلى منزلة، وقيل: لشرفها وارتفاعها كسور البلدان، وقيل: سُميت سُورَةً لكونها قِطْعةً من القرآن وجزءً منه، مأخوذ من أسآر الإناء وهو البقية، وعلى هذا فيكون أصلها مهموزًا، وإنَّما خففت فأبدلت الهمزة واوًا لانضمام ما قبلها.

وقيل: لتمامها وكمالها؛ لأنَّ العرب يسمون النَّاقة التَّامة سُورَةً، قلت: ويحتمل أن يكون من الجمع والإحاطة لآياتها كما يُسمَّى سورُ البلدان لإحاطته بمنازِلِه ودُورِه.

وجمع السورة: سُوَرٌ بفتح الواو، وقد يجمع على سُورَاتٍ، وسُوْرَات.

وأمَّا الآية: فمن العلامَةِ على انقطاع الكلام الذي قبلَها عنِ الذي

بعدها وانفصالها، أي: هي بائنة عن أختها ومنفردة، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ﴾ [البَقَرَة: ٢٤٨].

قال النابغة:

تَوَهَّمْتُ آياتٍ لها فَعَرفْتُها ... لستَّةِ أعوام وذا العامُ سابعُ

وقيل: لأنَّها جماعةُ حروفٍ من القرآن وطائفة منه، كما يقال: خرج القوم بآيتهم، أي: بجماعتهم قال الشاعر:

خَرَجْنَا من النَّقبين لا حَيٍّ مِثلُنا ... بآيتنا نزجِي اللقاحَ المَطَافِلا

وقيل: سُمِّيت آيةً لأنَّها عَجَبٌ يَعْجِز البشر عن التكلم بمثلها.

قال سيبويه: وأصلها أَيَيَة مثل أَكَمَة وشَجَرَة، تحرَّكت الياءُ وافتتح ما قبلها فقلبت ألفًا فصارت آية، بهمزة بعدها مدة».

قال المعلق رحمه الله:

والحقُّ أنَّها بمعنى العلامة، وأنَّه آيات على قدرة الباري وعظمته وكبريائه، وعظيم حقِّه سبحانه وتعالى، ولهذا تكرر في القرآن ذكر لآيات مثل: ﴿لَآيَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ ١٩٠﴾ [آل عِمرَان: ١٩٠] ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ﴾ [فُصّلَت: ٣٧] وهذا كلُّه تكرر في القرآن كثيرًا يعني: ومن الدلائل والبراهين والعلامات على أنَّه ربُّ العالمين، وأنَّه مستحق العبادة، وأنَّ هذا القرآن منزل من عنده، فهي بمعنى العلامات، والبراهين والدلائل.

■ **سؤال: ما الحكم في القارئ الذي لا يقرأ القرآن، ولا يفتح المصحف إلَّا في رمضان فقط؟**

• **الجواب**: لا نعلم شيء في هذا؛ لكنه ترَك الأفضل، أقول ترَك الأفضل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال الكسائي: أصلها آيِيَة على وزن آمِنة، فَقُلِبت ألفًا، ثم حُذفت لالتباسها.

وقال الفَرَّاء: أصلها أَيَّة ـ بتشديد الياء ـ فَقُلِبَت الأولى ألفًا، كراهيةَ التشديد فصارت آية، وجمعُها: آيٌ، وآياتٌ، وآيايٌ.

وأمَّا الكلمةُ: فهي اللَّفظة الواحد، وقد تكون على حرفين مثل: ما، ولا، ونحو ذلك، وقد تكون أكثر، وأكثر ما يكون عشرة أحرف: ﴿لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ [النُّور: ٥٥]، و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ [هُود: ٢٨] ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾ [الحِجر: ٢٢] وقد تكون الكلمة الواحدة آية، مثل: والفجر، والضحى، والعَصْر، وكذلك: الم، وطه، ويس، وحم ـ في قول الكوفيين ـ و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ [الشّورىٰ: ١-٢] عندهم كلمتان. وغيرهم لا يسمى هذه آيات؛ بل يقول: هذه فواتح السُّوَرِ.

وقال أبو عَمْرو الداني: لا أعلم كلمةً هي وحدها آيةٌ إلَّا قوله تعالى: ﴿مُدْهَامَّتَانِ ۝٦٤﴾ [الرَّحمٰن: ٦٤] في سورة الرحمن، آخر المقدمة[(١)].

قال القرطبي: «أجمعوا أنَّه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية؟ وأجمعوا أن فيه أعلامًا من الأعجمية كإبراهيم، ونوح، ولوط، واختلفوا: هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية؟ فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية، فهو من باب ما توافقت فيه اللغات»[(٢)].

---

(١) في النسخة المحقق تحقيق سامي السلامة طبع دار طيبة بالرياض؛ ولكن النسخة التي قرأت على سماحته بها زيادة أثبتناها كما في التسجيل الصوتي.

(٢) ينظر: الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ٦٨).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يستدلون على هذا بقوله سبحانه: ﴿قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا﴾ [يُوسُف: ٢] ﴿بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ١٩٥﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٥] فكلُّه جاء بلغات العرب، وما صادف أنَّه وافق لغات أخرى، فهو من باب توافق اللغات، أو من باب ما أخذه العرب من غيرهم واستعملوه فصار من لغتهم.

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

فاتحة الكتاب

«يقال لها: الفاتحة، أي: فاتحة الكتاب خطًا، وبها تفتح القراءة في الصَّلوات ويقال لها أيضًا: أمُّ الكتاب عند الجمهور، ذكره أنس، والحسن وابن سيرين كرها تسميتها بذلك، قال الحسن وابن سيرين: إنَّما ذلك اللَّوح المحفوظ، وقال الحسن: الآيات المحكمات: هنَّ أمُّ الكتاب، ولذا كرها أيضًا أن يقال لها أمُّ القرآن.

وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] **أُمُّ القُرْآنِ، وَأُمُّ الكِتَابِ، وَالسَّبْعُ المثَانِي**»(١) والقرآن العظيم، ويقال لها: الحمد، ويقال لها: الصَّلاة، لقوله عَلَيْهِ السَّلَامُ عَن رَبِّهِ: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ **قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي**» الحديث(٢). فسميت الفاتحة: صلاة لأنَّها شرط فيها.

ويقال لها: الشفاء؛ لما رواه الدارمي عن أبي سعيد مرفوعًا:

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣١٢٤).

(٢) أخرجه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ مسلم برقم (٣٩٥).

«فَاتِحَةُ الكِتَابِ شِفَاءٌ مِن كُلِّ سُمٍّ»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يقال: سُم.. و... سَم.... مثلث.. سِم، وسَم، وسُم.. مثلث.

القارئ: الشَّيخ مقبل علق على الحديث المذكور؟ الشَّيخ: اقرأ. عزاه إلى الدارمي من حديث أبي سعيد، وهو في الدارمي من حديث عبد الملك بن عمير مرسلًا، وحديث أبي سعيد عزاه الشَّيخ ناصر الدِّين الألباني في ضعيف الجامع الصغير إلى سعيد بن منصور، والبيهقي في الشعب[(٢)]، وأبي الشيخ في الثواب عن أبي هريرة، وأبي سعيد معًا، وقال: إنه موضوع[(٣)].

الحكم بأنه موضوع: يحتاج إلى نظر، إذا كان من طريق عبدالملك ابن عمير، فهو مرسل، فيدل هذا على أن له أصل، عبدالملك بن عمير من كبار التابعين، ومن ثقات التابعين الكبار، وإن كان من صغارهم من جهة الإدراك، يحتاج الحكم عليه إلى مراجعة السند، المرسل والمتصل الذي ذكر لا يكفي العزو إليها للحكم عليه.

ولكن السورة هي أعظم سورة، وأنفع سورة في القرآن؛ لكن المقصود الحكم عليه أنه من كلام النَّبي ﷺ هذا محل البحث، عن عبدالملك بن عمير تابعي فهو مرسل، والمرسل ضعيف عند أهل

---

(١) أخرجه برقم (٣٣٧١) ولفظه: «فَاتِحَةُ الكِتَابِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِّ دَاءٍ».

(٢) وهما في سنن سعيد بن منصور (٢/ ٥٣٥، برقم ١٧٨) وفي شعب الإيمان (٤/ ٤٣ برقم ٢١٥٤).

(٣) ينظر: تعلق الشيخ مقبل في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١/ ٢٣) الحاشية (٢) منها، وانظر: صحيح وضعيف الجامع الصغير وزيادته (١/ ٨٣٩ برقم ٨٣٨٥) وضعيف الجامع مفرد (١/ ٥٤٣ برقم٣٩٥٠).

العلم، ورواه البيهقي في الشعب، وقال: وهذا منقطع، وهو شاهد لما تقدم، حديث أبي سعيد الخدري والذي قال بعده: وعندي أن هذا الاختصار من الحديث الذي رواه محمَّد بن سيرين، عن أخيه معبد بن سيرين، عن أبي سعيد في رقيَّة اللَّديغ بفاتحة الكتاب(١).

الشيخ: ما الذي عندك؟

القارئ: رواه الدامي عن أبي سعيد مرفوعًا..

الشيخ: يمكن تختلف النسخ... قد يكون اختلاف في النسخ... ينبغي أن يراجع الدارمي في عدة نسخ، ولو هو في مخطوطات أتم.

والذي عندك في الدارمي مرسل غير خبر أبي سعيد، ما ذكر أين ذكره، نعم ذكره في فضل فاتحة الكتاب، هذا مرسل صحيح ليس فيه ذكر أبي سعيد، يمكن قد تكون نسخة أخرى وجدها المؤلف، تراجع بعض النسخ الأخرى لعلها توجد نسخة خطية للدارمي، يراجع مثل جامع الأصول؛ لأنه ما ذكره الدارمي، يعني: ومثل المعجم المفهرس لعله يذكر هذا أو ذكره أحد غير الدارمي(٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ويقال لها: الرقية؛ لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرَّجل السليم، فقال له رسول الله ﷺ: «**وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ**»(٣).

وروى الشعبي عن ابن عباس أنه سماها: أساس القرآن، قال: فأساسها بسم الله الرحمن الرحيم، وسماها سفيان بن عيينة: الواقية،

(١) ينظر: صحيح البخاري برقم (٥٠٠٧)، ومسلم برقم (٢٢٠١).
(٢) عزاه إليهما السيوطي في الدر المنثور (١٤/ ٤٢٤ برقم ١٤٦٤٧).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٢٢٧٦)، ومسلم برقم (٢٢٠١).

وسماها يحيى بن أبي كثير: الكافية؛ لأنها تكفي عما عداها ولا يكفي ما سواها عنها، كما جاء في بعض الأحاديث المرسلة: «أُمُّ القُرْآنِ عِوَضٌ مِن غَيْرِهَا، وَلَيْسَ غَيْرُهَا عِوَضٌ مِنْهَا»(١).

ويقال لها: سورة الصَّلاة والكنز ذكرهما الزَّمخشري في كشافه.

وهي مكية، قاله ابن عباس، وقتادة، وأبو العالية.

وقيل: مدنية، قاله أبو هريرة ومجاهد وعطاء بن يسار، والزهري، ويقال: نزلت مرتين: مرة بمكة، ومرة بالمدينة، والأول أشبه لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي﴾ [الحِجر: ٨٧] والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمشهور أنَّها مكية، وفي الآيات شواهد أنها مكية سماها الله سبعًا من المثاني والقرآن العظيم، جاء في الحديث الصحيح أنَّها الفاتحة، ولا مانع أن تكون نزلت مرة أخرى في المدينة من باب التأكيد، وتعظيم شأنها نزلت مرتين.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وحكى أبو الليث السمرقندي أن نصفها نزل بمكة ونصفها الآخر نزل بالمدينة، وهو غريب جدًا، نقله القرطبي عنه، وهي سبع آيات بلا خلاف، قال عمرو بن عبيد: ثمان، وقال حسين الجعفي: ستة وهذان القولان شاذان.

وإنما اختلفوا في البسملة: هل هي آية مستقلة من أولها، كما هو

---

(١) أخرجه من حديث عبادة بن الصامت رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ الدارقطني برقم (٢٠) (١/ ٣٢٢)، والحاكم في المستدرك برقم (٨٦٧) وصححه ووافقه الذهبي، وقال: أخرجاه بغير هذا اللفظ، ينظر: التلخيص مع المستدرك (١/ ٣٦٣).

عند جمهور قراء الكوفة وقول جماعة من الصَّحابة والتَّابعين وخلق من الخلف، أو بعض آية أو لا تعد من أولها بالكلية، كما هو قول أهل المدينة من القراء والفقهاء؟ على ثلاثة أقوال، كما سيأتي تقريرها في موضعه إن شاء الله تعالى، وبه الثقة».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب: أنَّها آية مستقلة، وأنَّ أوَّل الفاتحة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾، وأمَّا بسم الله، فهي آية مستقلة أنزلها الله فصلًا بين السور، فليست من الفاتحة، ولا من غيرها، ولكنها آية مستقلة فصل بين السور، وهي بعض آية من سورة النمل: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾﴾ [النَّمل: ٣٠].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قالوا: وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفًا، قال البخاري في أوَّل كتاب التفسير: وسميت أم الكتاب، أنه يبدأ بكتابتها في المصاحف، ويبدأ بقراءتها في الصَّلاة(١). وقيل: إنما سميت بذلك لرجوع معاني القرآن كله إلى ما تضمنته، قال ابن جرير: والعرب تسمي كل جامع أمر أو مقدم لأمر ـ إذا كانت له توابع تتبعه هو لها إمام جامع ـ أُمًّا، فتقول: للجلدة التي تجمع الدماغ، أمّ الرأس، ويسمون لواء الجيش ورايتهم التي يجتمعون تحتها أُمًّا، واستشهد بقول ذي الرمة:

على رأسه أم لنا نقتدي بها جماع أمور ليس نعصي لها أمرا(٢)

(١) ينظر: صحيح البخاري برقم (٤٤٧٤).
(٢) تفسير ابن جرير (١/ ١٠٨) والبيت لذي الرمة. ينظر: ديوانه (ص١٨٣).

يعني: الرمح. قال: وسميت مكة: أم القرى لتقدمها أمام جميعها وجمعها ما سواها، وقيل: لأن الأرض دحيت منها.

ويقال لها أيضًا: الفاتحة؛ لأنَّها تفتتح بها القراءة، وافتتحت الصَّحابة بها كتابة المصحف «**الإمام**» وصح تسميتها بالسبع المثاني، قالوا: لأنها تثنى في كل صلاة، فتقرأ في كل ركعة، وإن كان للمثاني معنى آخر غير هذا كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

□ **مداخلة: كيف افتتحت الصَّحابة بها المصحف؟**

• **الجواب:** نعم حين كتب عثمان المصحف، وكتبها الصِّديق وعمر، افتتحوا بها.. وضعوها أول الكتاب؛ لأنها أعظم سورة، كما جاء في الحديث الصحيح، الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله[(٢)]، فجعلت الفاتحة لكتاب الله.

■ **سؤال: ... من حيث التأنيث... افتتحت؟**

• **الجواب:** التأنيث، يعني: الصَّحابة لما جمعوا القرآن ...

■ **سؤال: أحسن الله إليك ما معنى أن الأرض دحية منها؟!**

• **الجواب:** الله أعلم.

---

(١) إلى هنا قرأ على سماحته في النسخة التي لدى القارئ، وهناك زيادة في نسخة طبعة دار طيبة المحققة حدود صفحة (١/ ١٠٢، ١٠٣).

(٢) سيأتي تخريجه من حديث أبي سعيد بن المُعَلَّى رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في الحاشية الآتية بعد.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ذكر ما ورد في فضل الفاتحة

«قال الإمام أحمد محمَّد بن حنبل، رحمه الله تعالى في مسنده: حدثنا يحيى بن سعيد، عن شعبة، حدثني خبيب بن عبدالرَّحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المُعَلَّى رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ قال: كنت أصلِّي فدعاني رسول الله ﷺ، فلم أجبه حتى صليت قال: فأتيته، فقال: «**مَا مَنَعَكَ أَن تَأْتِيَنِي**» قَالَ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنِّي كُنْتُ أُصَلِّي قَالَ: «**أَلَمْ يَقُلِ اللهُ تعالى**: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤].

ثم قَالَ: «**لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ قَبْلَ أَن تَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ**» قَالَ: فَأَخَذَ بِيَدِي فَلَمَّا أَرَادَ أَن يَخْرُجَ مِنَ الْمَسْجِدِ قُلْتُ يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ قُلْتَ: لأُعَلِّمَنَّكَ أَعْظَمَ سُورَةٍ فِي الْقُرْآنِ. قَالَ: «**نَعَمْ الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالَمِينَ هِيَ السَّبْعُ الْمَثَانِي وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ الذي أُوتِيتُهُ**»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا يدل على فضلها العظيم، وأنَّها أعظم سورة في كتاب الله تعالى، وهذه الفاتحة أعظم سورة في كتاب الله لما اشتملت عليه من المعاني العظيمة التي يرجع إليها جميع القرآن، ولهذا أخبر ﷺ أنَّها أعظم سورة في كتاب الله، وأنَّها السبع المثاني، والقرآن العظيم، وهذا

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٢١١، برقم ١٧٨٨٤) وعن طريق شيخه: محمَّد بن جعفر أيضًا (٣/ ٤٥٠ برقم ١٥٧٦٨).

يدل على أنها أنزلت في مكة؛ لأن الحجر من السور المكية، وفيها: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾﴾ [الحجر: ٨٧].

وهذا يدل على عظم شأنها، ومن تأملها وجد ذلك، فإن فيها الثناء على الله وذكر صفاته العظيمة التي ترجع إليها جميع الصِّفات، وبيان حقِّه على عباده، وهو العبادة، وإلى هذا ترجع جميع الآيات، فإنَّها ترجع إلى الأوامر والنواهي، وبيان حقّ الله، وكله داخل في إيَّاك نعبد، وإيَّاك نستعين.

ثم إرشاده سبحانه لعباده أن يطلبوه الهداية إلى الصَّراط المستقيم، وهذا أيضًا شأنه عظيم؛ لأن طلبهم الهداية من ربِّهم عَزَّ وَجَلَّ سبب لقيامهم بحقِّه، الذي خلقهم من أجله، وهو عبادته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

فهذه السورة هي أم القرآن، وهي القرآن العظيم، وهي السبع المثاني، وهي الشفاء والرقية، فينبغي للمؤمن أن يتدبرها كثيرًا، ومن رحمة الله أن شرعها لنا في اليوم، واللَّيلة سبع عشرة مرة فرضًا، في الفرائض الخمس، مع ما يحصل من قراءتها في النوافل، وغير ذلك، تذكرة بمعناها العظيم، وحثنا للالتزام بما دلت عليه، من العبادة لله، والاستعانة بالله، وطلبه الهداية مع الثناء عليه، والإيمان بأنَّه الرَّحمن الرَّحيم، وبأنَّه الإله الحقّ، وبأنَّه ربُّ العالمين، وبأنَّه مالك يوم الدِّين، فجمع فيها كل شيء.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهكذا رواه البخاري عن مسدد، وعلي بن المديني، كلاهما عن يحيى بن سعيد القطان به، ورواه في موضع آخر من التفسير[(١)] وأبو داود، والنسائي، وابن ماجه من طرق عن شعبة به[(٢)] ورواه الواقدي عن محمَّد بن معاذ الأنصاريّ، عن خبيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المُعَلَّى، عن أبي بن كعب، فذكر نحوه.

وقد وقع في الموطأ للإمام مالك بن أنس رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ما ينبغي التنبيه عليه، فإنه رواه مالك عن العلاء بن عبدالرَّحمن بن يعقوب الحُرَقِي أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبرهم، أن رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، وهو يصلي في المسجد، فلما فرغ من صلاته لحقه، قال: فوضع النَّبِيّ ﷺ يده على يدي، وهو يريد أن يخرج من باب المسجد، ثم قال ﷺ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَن لَا تَخْرُجَ مِنَ بابِ المَسْجِدِ حتى تَعْلَمَ سُورَةً مَا أُنْزَلَ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي القُرْآنِ مِثْلُهَا**». قال أبيّ: فجعلت أبطئ في المشي رجاء ذلك، ثم قلت يا رسول الله: ما السورة التي وعدتني؟ قال: «**كَيْفَ تَقْرَأُ إِذَا افْتَتَحْتَ الصَّلَاةَ**» قال: فقرأت عليه: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] حتى أتيت على آخرها، فقال رسول الله ﷺ: «**هِيَ هَذِهِ السُّورَةُ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنُ العَظِيمُ الذي أُعْطِيتُ**»[(٣)].

فأبو سعيد هذا ليس بأبي سعيد بن المُعَلّى، كما اعتقده ابن الأثير

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٤٤٧٤) و(٥٠٠٦) و(٤٦٤٧) و(٤٧٠٣).

(٢) أبو داود برقم (١٤٥٨) والنَّسائي برقم (٩١٣) وابن ماجه برقم (٣٧٨٥).

(٣) أخرجه الإمام مالك في الموطأ برقم (١٩١ص٨٩) طبعة مؤسسة الرسالة، بدمشق الطبعة الأولى عام ١٤٣٤هـ الموافق ٢٠١٣م.

في جامع الأصول ومن تبعه(١)، فإن ابن المعلى صحابي أنصاري، وهذا تابعي من موالي خزاعة، وذاك الحديث متصل صحيح، وهذا ظاهره أنَّه منقطع، إن لم يكن سمعه أبو سعيد هذا من أبيّ بن كعب، فإن كان قد سمعه منه، فهو على شرط مسلم، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

انظر: سنده عندك؟ قال: مالك حدثنا العلاء بن عبدالرَّحمن بن يعقوب الحُرَقِي: أن أبا سعيد مولى عامر بن كريز أخبرهم، أنَّ رسول الله ﷺ نادى أبي بن كعب... فقط العبارة صحيحة إذًا، أن أبا سعيد مولى عامر. القارئ: أن أبا سعيد مولى ابن عامر.

الشيخ: هل التقريب حاضر، ينظر: ترجمته ابن كريز مولى ابن عامر؟ وترجمة طلحة بن كريز؟

هو: أبو سعيد مولى بن عامر الخزاعي مقبول من الرابعة أخرج له مسلم وأبو داود في المراسيل، والنسائي وابن ماجه(٢).

وأمَّا ابن كريز، هو: طلحة بن عبيد الله الخزاعي، أبو المطرف، ثقة من الثالثة أخرج له مسلم وأبو داود(٣).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«على أنه قد روي عن أبيّ بن كعب من غير وجه، كما قال الإمام أحمد: حدثنا عفَّان، حدثنا عبدالرحمن بن إبراهيم، حدثنا العلاء بن

(١) ينظر: جامع الأصول (٨/ ٤٦٦، برقم ٦١٣٥).
(٢) ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ٦٤٤، رقم ٨١٣٢). طبعة دار الرشيد بسوريا تحقيق محمد عوَّامة.
(٣) ابن كريز: ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ٢٨٣، رقم ٣٠٢٨).

عبدالرَّحمن، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ قال: خرج رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ على أبي بن كعب، وهو يصلي، فقال: «**يَا أُبَيُّ**» فالتفت ثم لم يجبه، ثم قال: أبي، فخفف. ثم انصرف إلى رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، فقال: السَّلام عليك أيْ رسول الله. فقال: «**وَعَلَيْكَ السَّلَام**»، قال: «**مَا مَنَعَكَ أَيْ أُبَيُّ إِذْ دَعْوَتُكَ أَنْ تُجِيبَنِي؟**» قال: أيْ رسول الله، إنِّي كنت في الصَّلاة، قال: «**أَوَلَسْتَ تَجِدُ فِيمَا أَوْحَى اللهُ إِلَيَّ أَنْ** ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]. قال: بلى يا رسول الله، لا أعود، قال: «**أَتُحِبُّ أَنْ أُعَلِّمَكَ سُورَةً لَمْ تَنْزِلْ لَا فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي القُرْآنِ مِثْلُهَا؟**» قلت: نعم، أي رسول الله، قال رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ: «**إِنِّي لأَرْجُو أَن لَا أَخْرُجَ مِن هَذَا البَابِ حتى تَعْلَمَهَا**» قال: فأخذ رسول الله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ بيدي يحدثني، وأنا أتبطأ، مخافة أن يبلغ قبل أن يقضي الحديث، فلما دنونا من الباب قلت: أيْ رسول الله، ما السورة التي وعدتني؟ قال: «**مَا تَقْرَأُ فِي الصَّلَاةِ؟**» قال: فقرأت عليه أم القرآن، قال: «**وَالذي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَلَا فِي الإِنْجِيلِ وَلَا فِي الزَّبُورِ وَلَا فِي القُرْآنِ مِثْلَهَا، إِنَّهَا السَّبْعُ المَثَانِي**»(١).

ورواه الترمذي، عن قتيبة، عن الدَّرَاوَرْدِي، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فذكره، وعنده: «**إِنَّهَا مِنَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَالقُرْآنِ العَظِيمِ الذي أُعْطِيتُهُ**»(٢).

قال المعلق رَحِمَهُٱللَّهُ:

وهذا على شرط مسلم... هذا على شرط صحيح مسلم.

(١) ينظر: مسند الإمام أحمد (٢/ ٤١٢، برقم ٩٣٣٤).
(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٨٧٥) وقال: هذا حسن صحيح.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم قال: هذا حديث حسن صحيح، وفي الباب، عن أنس بن مالك، ورواه عبدالله بن الإمام أحمد، عن إسماعيل بن أبي مَعْمَر، عن أبي أسامة، عن عبدالحميد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبي بن كعب، فذكره مطولًا بنحوه، أو قريبًا منه(١).

وقد رواه الترمذي والنسائي جميعًا عن أبي عمار حسين بن حريث، عن الفضل بن موسى، عن عبدالحميد بن جعفر، عن العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبيّ بن كعب، قال: قال رسول الله ﷺ: «**مَا أَنْزَلَ اللهُ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ مِثْلَ أُمِّ القُرْآنِ، وَهِيَ السَّبْعُ المَثَانِي، وَهِيَ مَقْسُومَةٌ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي(٢) وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»(٣)، هذا لفظ النَّسائي. وقال الترمذي: حسن غريب.

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمَّد بن عبيد، حدثنا هاشم، يعني: ابن البَريد، حدثنا عبدالله بن محمَّد بن عقيل، عن ابن جابر، قال: انتهيت إلى رسول الله ﷺ، وقد إهراق الماء، فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ، قال: فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ، قال: فقلت: السَّلام عليك يا رسول الله، فلم يرد عليَّ؟

قال: فانطلق رسول الله ﷺ يمشي، وأنا خلفه حتى دخل رحله، ودخلت أنا المسجد، فجلست كئيبًا حزينًا، فخرج عليَّ رسول الله ﷺ، وقد تطهر، فقال: «**عَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ**

---

(١) ينظر: زيادات عبدالله على مسند الإمام أحمد (٤/ ١٧٧، برقم ١٧٦٣٣).

(٢) في لفظ الحديث عندهما: «**بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي، [نصفين] وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**».

(٣) أخرجه الترمذي برقم (٣١٢٥)، والنسائي برقم (٩١٤).

وَرَحْمَةُ اللهِ وَبَرَكَاتُهُ، وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللهِ» ثم قَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكَ يَا عَبْدَاللهِ بْنَ جَابِرٍ بِأَخْيَرِ سُورَةٍ فِي القُرْآنِ»(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

ألا أخبرك؟ ألا أخبرك، فأعاد القارئ: ألا أخبرك يا عبدالله بن جابر بأخير سورة فيه؟ فسأله الشيخ: يا جابر بن عبدالله كذا عندك؟

القارئ: ألا أخبرك يا عبدالله بن جابر!

الشيخ: انقلاب.. يا جابر بن عبدالله.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«قَالَ قُلْتُ: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ، قال: «**اقرأ**: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] **حتى تختمها**» هذا إسناد جيِّد، وابن عقيل هذا يحتج به الأئمة الكبار، وعبدالله بن جابر: هذا هو الصَّحابي، ذكر ابن الجوزي أنَّه هو العبديّ، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

في أول المقال عندك جابر بن عبدالله، أو قال: عبدالله بن جابر، أول السند عبدالله بن محمَّد بن عقيل... عمن؟! أول السند:

وقال الإمام أحمد: حدثنا محمَّد بن عبيد، حدثنا هاشم، يعني ابن البَريد حدثنا عبدالله بن محمَّد بن عقيل، عن جابر.

إذًا صارت عن غلط، عن عبدالله بن جابر.. كان عندك، عن جابر بن عبدالله أو جابر فقط القارئ: جابر فقط...

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٤/ ١٧٧، برقم ١٧٦٣٣).

الشيخ: ساقط عبدالله، عن عبدالله بن جابر، يدل عليه آخره، هذا صحابي غريب.

وعبدالله بن محمَّد بن عقيل: يُضعف في الحديث، اختلط في آخر حياته، حصل له بعض التغير، وفي هذا المتن نكارة، كون النَّبِيَّ ﷺ ترك السَّلام عليه حتى دخل في رحله، ثم رد عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد ثلاث مرات، ورد السَّلام يجوز من المؤمن، وإن كان على غير طهارة، إلَّا أنه إذا كان على طهارة أفضل.

الحاصل: في سنده وصحته نظر، من جهة تأخيره السَّلام ثلاث مرات، ولم يرد عليه، ولم يقل له شيء حتى دخل رحله، ثم رد عليه السَّلام ثلاث مرات، فيه غرابة، ونكارة، وأقول: لكن له شاهد من حديث آخر(١).

▪ **سؤال: أحسن الله إليك يا شيخ نكارة من حيث المتن، أمَّا الإسناد فهو مستقيم؟**

• **الجواب**: المتن والإسناد... من الجهتين حال عبدالله بن محمَّد ابن عقيل بن أبي طالب الهاشمي؟ ينظر الكلام فيه في التقريب(٢).

---

(١) لعله يعني: حديث المهاجر بن قنفذ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، الذي أخرجه أبو داود برقم (١٧)، وأحمد (٤/ ٣٤٥، برقم ١٩٠٥٦) وانظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة لسماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز (١٠/ ١٥٥).

(٢) هو: أبو محمَّد المدني أمه زينب بنت علي، صدوق في حديثه لين، ويقال: تغير بآخرة، من الطبقة الرابعة، مات بعد الأربعين، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، وأبو داود والترمذي وابن ماجه، ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٣٢١ برقم ٣٥٩٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وعبدالله بن جابر هذا هو الصَّحابي، ذكر ابن الجوزي أنَّه هو العبديّ، ويقال: إنَّه عبدالله بن جابر الأنصاري البياضي، فيما ذكره الحافظ ابن عساكر، واستدلوا بهذا الحديث وأمثاله على تفاضل بعض الآيات والسور على بعض، كما هو المحكي عن كثير من العلماء، منهم: إسحاق بن راهوية، وأبو بكر بن العربي، وابن الحصار من المالكية.

وذهبت طائفة أخرى إلى أنَّه لا تفاضل في ذلك؛ لأن الجميع كلام الله، ولئلا يوهم التفضيل نقص المفضل عليه، وإن كان الجميع فاضلًا نقله القُرطُبي عن الأشعريّ، وأبي بكر الباقلاني، وأبي حاتم بن حبان البستي وأبي حيان ويحيى بن يحيى ورواية عن الإمام مالك أيضًا».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا القول ضعيف جدًا، الصواب: أن القرآن يتفاضل، كلام الرب يتفاضل، وإن كان كله عظيمًا، ولكنه يتفاضل، الله الذي جعل فيه التفاضل، كما أن الرُّسل يتفاضلون، والأنبياء يتفاضلون، هكذا كلام الله، يتفاضل، فالآيات التي في التوحيد والإيمان، غير الآيات التي في الأحكام، والفاتحة غير السور الأخرى.

ولهذا جاء بهذا الحديث الصحيح، بل في الأحاديث الصحيحة حديث أبي هريرة، وحديث أبي سعيد بن المعلى(١)، وما جاء في معناهما، تفضيل الفاتحة، وأنها أعظم السور، وجاء في آية الكرسي في الصحيح أنَّها أعظم آية في كتاب الله، وجاء في قل هو الله أحد أنَّها

(١) وقد سبق تخريجهما في صفحة (٥٧، ٦١).

تعدل ثلث القرآن، الحاصل أنَّه يتفاضل، وإن كان هو كلام الرَّب عَزَّوَجَلَّ، وكله عظيم، وكله فاضل، وكله حُجَّة، وكله خير من الله، لكن لا مانع من كونه يتفاضل.

■ **سؤال: القرآن الذي فيه التفاضل من حيث الإيمان، والتوحيد، هل يرقى به كله؟**

• **الجواب:** القرآن كله شفاء، ليس فيه تخصيص، كله شفاء؛ لكن الآيات العظيمة المتعلقة، بالتوحيد، والإخلاص لله، لها شأن آخر، ولهذا كان النَّبيّ صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقرأ على نفسه المعوذتين، مع قل هو الله أحد، ويقول: «**مَا تَعَوَّذَ مُتَعَوِّذٌ بِمِثْلِهِمَا**»[(١)]، وقد جاء في آية الكرسي إذا قرأها العبد عند نومه: «**لَا يَزَالُ عَلَيْهِ مِنَ اللهِ حَافِظٌ، وَلَا يَقْرَبَنَّهُ شَيْطَانٌ حتى يُصْبِحَ**»[(٢)].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«حديث آخر: قال البخاري في فضائل القرآن: حدثنا محمَّد بن المثنى، حدثنا وهب، حدثنا هشام، عن محمَّد، بن معبد، عن أبي سعيد الخدري، قَالَ كُنَّا فِي مَسِيرٍ لَنَا فَنَزَلْنَا، فَجَاءَتْ جَارِيَةٌ، فَقَالَتْ: «**إِنَّ سَيِّدَ الحَيِّ سَلِيمٌ، وَإِنَّ نَفَرَنَا غُيَّبٌ فَهَلْ مِنْكُمْ رَاقٍ؟ فَقَامَ مَعَهَا رَجُلٌ مَا كُنَّا نَأْبُنُهُ بِرُقْيَةٍ فَرَقَاهُ فَبَرَأَ، فَأَمَرَ لَهُ بِثَلَاثِينَ شَاةً وَسَقَانَا لَبَنًا، فَلَمَّا رَجَعَ قُلْنَا لَهُ أَكُنْتَ تُحسِنُ رُقْيَةً أَوْ كُنْتَ تَرْقِي، قَالَ: لَا مَا رَقَيْتُ إِلَّا بِأُمِّ الكِتَابِ**»[(٣)].

---

(١) أخرجه النسائي عن ابن خبيب بلفظ: «**مَا تَعَوَّذَ النَّاسُ بِأَفْضَلَ مِنْهُمَا**» برقم (٥٤٢٩).
(٢) أخرجه البخاري عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برقم (٢٣١١).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٥٠٠٧).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

رقاه يرقيه إذا قرأ عليه، رقاه يرقيه، مثل رماه يرميه، يعني: إذا قرأ عليه، ونفث عليه، ورقَى يرقَا إذا صعد، وزنًا ومعنىً، ورقى من باب فعل، أو تعب، يرقا وزنًا ومعنًا، كصعد يصعد، ورقى يرقي نفث عليه، وقرأ عليه، لمرضه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قُلْنَا لَا تُحْدِثُوا شَيْئًا حتى نَأْتِيَ، أَوْ نَسْأَلَ رَسُول الله ﷺ، فَلَمَّا قَدِمْنَا المَدِينَةَ ذَكَرْنَاهُ لِلنَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: «**وَمَا كَانَ يُدْرِيهِ أَنَّهَا رُقْيَةٌ اقْسِمُوا وَاضْرِبُوا لِي بِسَهْمٍ**»[(١)].

وقال أبو معمر: حدثنا عبدالوارث، حدثنا هشام، حدثنا محمَّد بن سيرين، حدثنا معبد بن سيرين، هن أبي سعيد الخدري بهذا، وهكذا رواه مسلم، وأبو داود من رواية هشام، وهو ابن حسان، عن ابن سيرين به، وفي بعض روايات مسلم لهذا الحديث: أن أبا سعيد الخدري هو الذي رقى ذلك السليم، يعني: اللَّديغ: يسمونه بذلك تفاؤلًا[(٢)].

حديث آخر: روى مسلم في صحيحه، والنَّسائي في سننه، من حديث أبي الأحوص سلام بن سليم، عن عمار بن رُزَيق، عن عبدالله ابن عيسى بن عبدالرحمن بن أبي ليلى، عن سعيد بن جبير، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ بَيْنَا رَسُولُ الله ﷺ وَعِنْدَهُ جِبْرَائِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِذْ سَمِعَ نَقِيضًا فَوْقَهُ فَرَفَعَ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَصَرَهُ إِلَى السَّمَاءِ، فَقَالَ هَذَا بَابٌ قَدْ فُتِحَ مِنَ

(١) متفق عليه واللَّفظ للبخاري سندًا ومتنًا، أخرجه برقم (٥٠٠٧) ومسلم برقم (٢٢٠١).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٢٢٠١)، وأبو داود برقم (٣٤١٩).

السَّمَاءِ مَا فُتِحَ قَطُّ. قَالَ: فَنَزَلَ مِنْهُ مَلَكٌ فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ، فَقَالَ: «**أَبْشِرْ بِنُورَيْنِ أُوتِيتَهُمَا لَمْ يُؤْتَهُمَا نَبِيٌّ قَبْلَكَ فَاتِحَةِ الكِتَابِ وَخَوَاتِيمِ سُورَةِ البَقَرَةِ لَمْ تَقْرَأْ حَرْفًا مِنْهُمَا إِلَّا أُعْطِيتَهُ**» وهذا لفظ النسائي[(١)] ولمسلم نحوه.

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا مما أُحتج به على أنَّها نزلت مرتين، أنزلت في مكة، وأنزلت في المدينة، معها ملك خاص، وخواتيم سورة البقرة ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ الآيتين [البَقَرَة: ٢٨٥-٢٨٦] ويدل على هذا أيضًا قوله جلَّ وعلا: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ ﴿١٩٣﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ١٩٣] وهو جبرائيل، وهذا يعم القرآن كله، ثم هذا الملك غير جبرائيل نزل بالفاتحة، وآخر سورة البقرة، وهذا نزولٌ ثانٍ تأكيدًا للنزول الأول، مع هذا الملك الجديد، فيكون بعض القرآن قد ينزل به ملك آخر غير جبرائيل تأكيدًا لما نزل به جبرائيل، وإلَّا فقد نزل به جبرائيل جميعًا.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«حديث آخر، قال مسلم: حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، هو ابن راهويه، حدثنا سفيان بن عيينة، عن العلاء، يعني: ابن عبدالرحمن ابن يعقوب الحُرَقي عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ عن النَّبِيِّ ﷺ، قال: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ القُرْآنِ فَهْيَ خِدَاجٌ - ثَلَاثًا- غَيْرُ تَمَامٍ**»[(٢)].

فقيل لأبي هريرة: إنا نكون خلف الإمام، فقال: اقرأ بها في نفسك، فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ**

(١) أخرجه مسلم برقم (٨٠٦)، والنسائي برقم (٩١٢).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٣٩٥).

بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] قَالَ الله حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣] قَالَ اللهُ أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ٤] قَالَ: مَجَّدَنِي عَبْدِي، وَقَالَ مَرَّةً فَوَّضَ إِلَيَّ عَبْدِي، فَإِذَا قَالَ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة: ٥] قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي؛ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧] قَالَ: هَذَا لِعَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ»[(١)].

وهكذا رواه النَّسائي، عن إسحاق بن راهويه، وقد روياه أيضًا عن قتيبة، عن مالك، عن العلاء، عن أبي السائب مولى هشام بن زهرة، عن أبي هريرة، به[(٢)] وفي هذا السياق: «فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ».

وهكذا رواه ابن إسحاق، عن العلاء، وقد رواه مسلم من حديث ابن جُرَيْج، عن العلاء، عن أبي السائب هكذا. ورواه أيضًا من حديث ابن أبي أويس، عن العلاء عن أبيه، وأبي السائب كلاهما عن أبي هريرة.

وقال الترمذي: هذا حديث حسن، وسألت أبا زُرْعَة عنه، فقال: كلا الحديثين صحيح، من قال: عن العلاء، عن أبيه، وعن العلاء عن أبي السائب.

وقد روى هذا الحديث عبدالله ابن الإمام أحمد، من حديث العلاء، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن أبيّ بن كعب مطولًا[(٣)].

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٩٥).
(٢) أخرجه النَّسائيّ برقم (٩٠٩).
(٣) رواية عبدالله في المسند (٥/ ١١٤ برقم ٢١١٣٢).

قال ابن جرير: حدثنا صالح بن مسمار المروزي، حدثنا زيد بن الحباب، حدثنا عَنْبسة بن سعيد، عن مُطَرَّف بن طريف، عن سعيد بن إسحاق بن كعب بن عُجْرَة، عن جابر بن عبدالله».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

مُطَرِّف بن طَريف.. بالفتح.. ثم سأل القارئ: عندك عن سعيد بن إسحاق؟ أو سعد بن إسحاق؟ فأجابه: الموجود سعيد.

فقال الشيخ: المعروف سعد... ضع عليه إشارة حتى ننظر!!.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«قال: قال رسول الله ﷺ: **«قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلَهُ مَا سَأَلَ، فَإِذَا قَالَ العَبْدُ: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] قَالَ: حَمِدَنِي عَبْدِي، وَإِذَا قَالَ: ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفاتحة: ٣] قَالَ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي، ثم قال: «هذا لي وله ما بقي»**[(١)] وهذا غريب من هذا الوجه.

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

انظر: مُطَرَّف بن طَريف[(٢)]، وسعد بن إسحاق هذا؟ في سعيد بن إسحاق؟

القارئ: سعد بن إسحاق بن كعب بن عجرة البلوي المدني، حليف الأنصار، ثقة، من الخامسة، مات بعد الأربعين، بعد المئتين،

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ٢٠١).

(٢) هو أبو بكر، ثقة فاضل من صغار السادسة مات [٢٤١] أو بعد ذلك، أخرج له الجماعة. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٣٠ برقم ٢٢٢٩).

روى له الأربعة[(١)].

انظر: سعيد بن إسحاق؟

القارئ: لا يوجد، يعني: لا توجد له ترجمة في التقريب.

قال الشيخ: أصلحها: سعد بن إسحاق المعروف.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه:

أحدها: أنه قد أطلق فيه لفظ الصَّلاة، والمراد القراءة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجۡهَرۡ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتۡ بِهَا وَٱبۡتَغِ بَيۡنَ ذَٰلِكَ سَبِيلٗا ١١٠﴾ [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك، كما جاء مصرحًا به في الصحيح عن ابن عباس[(٢)].

وهكذا قال في هذا الحديث: «**قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»[(٣)] ثم بيّن تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة، فدل على عظمة القراءة في الصَّلاة، وأنها من أكبر أركانها، إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها وهو القراءة، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصَّلاة في قوله: ﴿وَقُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِۖ إِنَّ قُرۡءَانَ ٱلۡفَجۡرِ كَانَ مَشۡهُودٗا ٧٨﴾ [الإسراء: ٧٨] والمراد صلاة الفجر، كما جاء مصرحًا به في الصحيحين: أنه يشهدها ملائكة اللَّيل وملائكة النهار.

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب لحافظ ابن حجر (ص ٢٣٠، برقم ٢٢٢٩).

(٢) يعني به ما أخرجه البخاري برقم (٤٧٢٢) و(٧٤٩٠)، ومسلم برقم (٤٤٦).

(٣) من حديث أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري برقم (٦٤٨) ومسلم برقم (٦٤٩).

فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصَّلاة، وهو اتفاق من العلماء، ولكن اختلفوا في مسألة نذكرها في الوجه الثاني، وذلك أنه هل يتعين للقراءة في الصَّلاة غير فاتحة الكتاب، أم تجزئ هي أو غيرها؟ على قولين مشهورين:

فعند أبي حنيفة ومن وافقه من أصحابه وغيرهم أنَّها لا تتعين؛ بل مهما قرأ به من القرآن أجزأه في الصَّلاة، واحتجوا بعموم قوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المُزّمل: ٢٠].

وبما ثبت في الصحيحين، من حديث أبي هريرة في قصة المسيء صلاته أنَّ رسولَ الله ﷺ، قال له: «**إِذَا قُمْتَ إِلَى الصَّلَاةِ فَكَبِّرْ، ثم اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآن**»(١) قالوا: فأمره بقراءة ما تيسر، ولم يعين له الفاتحة، ولا غيرها، فدل على ما قلناه.

والقول الثاني: أنه تتعين قراءة الفاتحة في الصَّلاة، ولا تجزئ الصلاة بدونها، وهو قول بقية الأئمة: مالك والشافعي وأحمد بن حنبل وأصحابهم وجمهور العلماء؛ واحتجوا على ذلك بهذا الحديث المذكور، حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «**مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهْيَ خِدَاجٌ - ثَلَاثًا - غَيْرُ تَمَامٍ**»(٢).

والخداج هو: الناقص كما فسر به في الحديث: «**غَيْرُ تَمَامٍ**» واحتجوا أيضًا بما ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت، قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَاب**»(٣) وفي

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٥٧)، ومسلم برقم (٣٩٧).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٧٠).
(٣) البخاري برقم (٧٥٦)، ومسلم برقم (٣٩٤).

صحيح ابن خزيمة وابن حبان، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ**»(١).

والأحاديث في هذا الباب كثيرة، ووجه المناظرة هاهنا يطول ذكره، وقد أشرنا إلى مأخذهم في ذلك، رحمهم الله».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا القول الأخير، هو الصَّواب، وهو قول الجمهور، فإنه مفسر؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المُزّمل: ٢٠] ومفسر لقوله: «**ثم اقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**» فالآية والحديث مطلقان، وحديث عبادة وما جاء في معناه، حديث مفسر واضح، فيحمل المجمل والمطلق على المفسر، الآية عامة، والحديث عام: «**فاقْرَأْ مَا تَيَسَّرَ مَعَكَ مِنَ الْقُرْآنِ**» ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنۡهُۚ﴾ [المُزّمل: ٢٠] هذا عام، وحديث عبادة وما جاء في معناه خاص، والخاص يقضي على العام، والمقيد يقضي على المطلق؛ ولهذا ذهب الجمهور إلى أنَّه يتعين قراءة الفاتحة، وأنَّ الواجب أن تكون القراءة بالفاتحة، في جميع الصَّلوات، النفل والفرض، للإمام والمأموم والمنفرد.

أمَّا الإمام والمنفرد فهو محل إجماع ومحل وفاق، وهو أنَّه لا بدَّ من القراءة، وأمَّا المأموم فهل تجب عليه أو يتحملها عنه الإمام خلاف؟والأظهر أنَّه لا يتحملها؛ بل تجب عليه قراءتها، لعموم الأدلَّة، ولما جاء في حديث عبادة: «**لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ**»؟ قلنا نعم،

(١) أخرجه ابن خزيمة برقم (٤٧٢) وعنه ابن حبان برقم (١٨٢٥) ولفظهما فيه: «**بفاتحة الكتاب**» بدل لفظ: «**بأم القرآن**».

قال: «لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا»[(١)] وحديث: «فَهْيَ خِدَاجٌ، فَهْيَ خِدَاجٌ»[(٢)] رواه مسلم في الصحيح، واضح في وجوبها.

■ **سؤال: إذا فاتت المصلي قراءتها، وهي من الأركان فكيف يفعل؟**

• **الجواب:** إذا فاتته قراءتها بعذر تجزئ الصَّلاة، إذا جاء والإمام راكعًا أجزأته ـ يعني: الركعة ـ على الصحيح في قول جمهور أهل العلم.

□ **السائل: هذا يشير إلى أن المأموم ليس عليه قراءة؟**

• **الجواب:** لا. عليه قراءة، إلا لعذر، معذور، فالمأموم المعذور ليس عليه شيء، تسقط عنه، ومثله الناسي إذا نسيها، أو اجتهد ورأى أن قول من قال: بعدم وجوبها أصح فاعتمد ذلك يكون معذورًا

■ **سؤال: عن قوله ﷺ في الحديث: «فَهْيَ خِدَاجٌ»، يعني:** ناقصة، معناه توجد صلاة؛ ولكن هذه الصَّلاة ناقصة، أي: ليست تامة، وفي الحديث الآخر: «لَا تُجْزِئُ» يعني: لا يعتد بها أصلًا فكيف نجمع بين الحدثين؟

• **الجواب:** الأحاديث يفسر بعضها بعضًا، أقول الأحاديث يفسر بعضها بعضًا، فيجتمع منها عدم الصَّحة.

■ **سؤال: ماذا يفعل الأحناف إذًا هل صلاتهم غير صحيحة؟**

• **الجواب:** اجتهدوا كلٌ على اجتهاده صلاتهم صحيحة على

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٨٢٣).
(٢) سبق تخريجه في صفحة (٦٩).

حسب اجتهادهم، ومثل هذه المسائل، مسائل أخرى كثيرة وظاهرة مثل النكاح بلا ولي عند الأحناف يصح، فالنكاح على هذا الاجتهاد لا يرى الولي شرطًا فيصح على اجتهاده، والآخرون ليس عندهم صحيح، إذا تعمدوا ترك الولي، وهذه المسائل لها نظائر كثيرة.

■ **سؤال: ما الذي عليه أئمة الدعوة هل يقولون بوجوبها على الإمام والمنفرد؟**

• **الجواب:** فيه خلاف بينهم، فمنهم من يراه، ومنهم من لا يراه، وأكثرهم على مذهب الحنابلة، تجب على المأموم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ثم إنَّ مذهب الشَّافعي وجماعة من أهل العلم: أنه تجب قراءتها في كلِّ ركعة، وقال آخرون: إنَّما تجب قراءتها في معظم الركعات، وقال الحسن وأكثر البصريين: إنَّما تجب قراءتها في ركعة واحدة من الصَّلوات، أخذًا بمطلق الحديث: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»[(١)].

وقال أبو حنيفة وأصحابه، والثوري والأوزاعي: لا تتعين قراءتها؛ بل لو قرأ بغيرها أجزأه لقوله: ﴿فَٱقۡرَءُواْ مَا تَيَسَّرَ مِنَ ٱلۡقُرۡءَانِۚ﴾ [المُزّمل: ٢٠] والله أعلم.

وقد روى ابن ماجه من حديث أَبِي سُفْيَانَ السَّعْدِيِّ عَن أَبِي نَضْرَةَ عَن أَبِي سَعِيدٍ مرفوعًا: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ فِي كُلِّ رَكْعَةٍ بِالحَمْدُ، وَسُورَةٍ فِي فَرِيضَةٍ أَوْ غَيْرِهَا**»[(٢)] وفي صحة هذا نظر، وموضع تحرير

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٨٣٩).

هذا كله في كتاب الأحكام الكبير، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

انظر: أبو سفيان السعدي، هل التقريب حاضر؟ القارئ: نعم. هو: طريف بن شهاب، أو ابن سعد السعدي، البصري الأشل بالمعجمة، ويقال له: الأعسر، بالمهملتين، ضعيف من السادسة، أخرج له الترمذي، وابن ماجه[(١)].

الشَّيخ: ذكره في الكنى، أبو سفيان.

القارئ: نعم. ذكره في الكنى؟.

■ **سؤال**: **لم ينطق القارئ: بتاء ابن ماجة؟ هل ينطق بهذه التاء أولا؟**

• **الجواب**: لا، ينطق بها، ينطق بالها... ماجه، كما في القاموس بالها (ماجه)[(٢)].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**الوجه الثالث**: هل تجب قراءة الفاتحة على المأموم؟ فيه ثلاثة أقوال للعلماء:

أحدها: أنه تجب عليه قراءتها، كما تجب على إمامه؛ لعموم الأحاديث المتقدمة.

---

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٢، برقم ٣٠١٣) وفي الكنى (ص ٦٤٥) بين رقم (٨١٣٥، و٨١٣٦).

(٢) قال في القاموس (ص ٣٠٢): وماجه لقب يزيد أبو صاحب السنن محمَّد لاسم جده، فهو محمَّد بن يزيد ماجه.

والثاني: لا تجب على المأموم قراءة بالكلية للفاتحة ولا غيرها، لا في الصَّلاة الجهرية ولا السرية، لما رواه الإمام أحمد بن حنبل في مسنده، عن جابر بن عبدالله، عن النَّبِيِّ ﷺ أنَّه قال: «**مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةُ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ**»[(١)] ولكن في إسناده ضعف، ورواه مالك، عن وهب بن كَيْسَان، عن جابر من كلامه، وقد روي هذا الحديث من طرق، ولا يصح شيء منها عن النَّبِيِّ ﷺ، والله أعلم.

والقول الثَّالث: أنَّه تجب القراءة على المأموم في السرية، لما تقدم، ولا تجب في الجهرية لما ثبت في صحيح مسلم، عن أبي موسى الأشعري، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِنَّمَا جُعِلَ الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا**»[(٢)] وذكر بقية الحديث.

وهكذا رواه بقية أهل السنن أبو داود والترمذي والنسائي وابن ماجه، عن أبي هريرة، عن النَّبِيِّ ﷺ أنه قال: «**وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا**»[(٣)] وقد صححه مسلم بن الحجاج أيضًا، فدل هذان الحديثان على صحة هذا القول، وهو قول قديم للشَّافعي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ورواية عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والأظهر وجوبها حتى في الجهرية؛ لأنَّ العام يقضي عليه الخاص، وأحاديث الفاتحة خاصة، تقضي على جميع العمومات،

(١) أخرجه في المسند (٣/ ٣٣٩، برقم ١٤٦٨٤) وابن ماجه برقم (٨٥٠) ورواية مالك أخرجها عنه البيهقي (٢/ ١٦٠) وصوبها من قول رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ.
(٢) أخرجه مسلم عن أنس، وأبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، برقم (٤١١، ٤١٤، ٤١٧).
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٦٠٤) والنسائي برقم (٩٢٢)، وابن ماجه برقم (٨٤٦).

فيقرؤها في الجهرية والسرية الإمام والمأموم والمنفرد، الكل يقرؤونها، وفي كل ركعة، فالمعنى الأظهر، والصَّواب أنَّها تقرأ في كلِّ ركعة.

▪ **سؤال: المقيد والخاص بينهما فرق؟**

• **الجواب:** المقيد ضد المطلق، والخاص ضد العام، هذا الفرق، مقابل العام يقال الخاص، ومقابل المطلق يقال المقيد.

قال المؤلف رحمه الله:

«والغرض من ذكر هذه المسائل هاهنا بيان اختصاص سورة الفاتحة بأحكام لا تتعلق بغيرها من السور، وقال الحافظ أبو بكر البزار: حدثنا إبراهيم بن سعيد الجوهري، حدثنا غسان بن عبيد، عن أبي عمران الجويني، عن أنس رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا وَضَعتَ جَنبَكَ عَلَى الفِراشِ، وَقَرأتَ «فَاتِحةَ الكِتابِ» و﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١﴾ [الإخلاص: ١] فَقَد أَمِنتَ مِن كُلِّ شَيءٍ إِلَّا المَوتَ**»[(١)].

قال المعلق رحمه الله:

▪ **سؤال: سائل يقول: إبراهيم بن سعد؟ أو ابن سعيد؟**

• **الجواب:** إبراهيم بن سعيد، المعروف ابن سعيد الجوهري.

وانظر: ترجمة غسان بن عبيد؟

القارئ: ما ذكر غسان بن عبيد؟

(١) أخرجه البزار، كما في كشف الأستار (٤/ ٢٦، رقم ٣١٠٩) قال المنذري (١/ ٢٣٥) رجاله رجال الصحيح، إلا غسان بن عبيد، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٧٨، برقم ١٧٠٣٠) رواه البزار: وفيه غسان بن عبيد، وهو ضعيف ووثقه ابن حبان، وبقية رجاله رجال الصحيح، وقال العجلوني (٢/ ١٠٧) رواه البزار، وإسناده ضعيف.

• **الجواب:** يمكن ليس من رجاله[١]، من رجال البزار.

▪ **سؤال: إذا كانت قراءة الفاتحة واجبة في الصَّلاة الجهرية بما يجاب عن حديث: «وَإِذَا قَرَأَ فَأَنْصِتُوا؟»؟**

• **الجواب:** كما قال تعالى: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ [الأعراف: ٢٠٤] والحديث بابهما واحد، من باب العام والخاص، يقول سبحانه: ﴿وَإِذَا قُرِئَ ٱلْقُرْءَانُ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥ وَأَنصِتُوا۟﴾ والحديث: «**وَإِذَا قَرَأَ الإِمَامُ فَأَنْصِتُوا**» وقد قال ﷺ: «**لَعَلَّكُمْ تَقْرَءُونَ خَلْفَ إِمَامِكُمْ؟**» قلنا نعم، قال: «**لَا تَفْعَلُوا إِلَّا بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ، فَإِنَّهُ لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِهَا**» هذا مفصل، مقيد، ويحمل عليه ذاك المطلق العام.

▪ **سؤال: ما الحكم فيمن يتكلم بكلام ليس من الفاتحة حالما يقرأ الإمام الفاتحة مثلا بعض الناس عندما يقول الإمام: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ يقول: استعنا بالله؟**

• **الجواب:** هذا غير مشروع، لم يرد، أقول: لم يرد في الشرع يُعلّم أن هذا غير مشروع.

هذا الحديث في صحته نظر، غسان بن عبيد يحتاج إلى مراجعة ترجمته[٢].

---

(١) يعني: ليس له ترجمة في التقريب، فالتقريب خاص بتراجم رجال الكتب الستة، أو من أخرجوا له هم في غير الكتب الستة يذكرهم، ويميزهم.

(٢) وبمراجعة ترجمته تبين أن غسان بن عبيد الموصلي الروقي، ذكره ابن حبان في الثقات (٩/ ١) ترجمة برقم ١٤٨٤٣) وابن أبي حاتم وأورده في الجرح والتعديل (٣/ ٢/ ٥١) ولم يذكر فيه جرحًا ولا تعديلًا، وذكره الإمام أحمد في العلل ومعرفة الرجال (٢/ ٥٥٠) ترجمة رقم ٣٦٠٥) وقال كتب عنه، ثم حرقه، وقد ضعفه المنذري والهيثمي والعجلوني وغيرهم، كما ضعفه الشيخ الألباني في السلسلة الضعيفة (١/ ٤٦٨، برقم ٥٠٦٢).

▫ **السائل:** بارك الله فيك: هل ورد مشروعية قراءة الفاتحة عند النوم في غير هذا الحديث

• **الجواب:** ما أعرف فيه شيء، وقد تتبعت، لا أعلم شيئًا فيها صحيح، المعروف عند النوم قراءة آية الكرسي، وقل هو الله أحد، والمعوذتين، وقراءة الآيتين من آخر سورة البقرة، في كل ليلة سواء كان عند النوم، أو قبل النوم.

أمَّا قراءة الفاتحة عند النوم لا أعرف فيها شيئاً صحيحاً إلَّا حديث غسان فيما أعلم، وليس هو مما يعتمد عليه، لكن أعجب لسكوت المؤلف عنه، وعدم التنبيه مع حفظه وجلالته، فسبحان الله، سبحان من لا يعتريه نقص.

▪ **سؤال:** حديث: «قِرَاءَة الإِمَامِ قِرَاءَةٌ لِمَنْ خَلْفَهُ»[(١)]؟

• **الجواب:** ضعيف، ضعيف[(٢)].

❀ ❀ ❀

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧٩).

(٢) وقد ضعفه سماحته في أكثر من موضع، ينظر: مجموع فتاوى ومقالات متنوعة (١١/ ٢٢٤، ٢٢٧).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

تفسير الاستعاذة وأحكامها

«قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩-٢٠٠]، وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨] وقال تعالى: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فُصِّلَت: ٣٤-٣٦].

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعُهُ الطَّيب الأصل عما هو فيه من الأذى إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة؛ إذْ لا يقبل مصانعة ولا إحسانا ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل، كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٧] وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ [فاطر: ٦] وقال تعالى: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا ﴿٥٠﴾﴾ [الكهف: ٥٠]، وقد أقسم للوالد إنَّه لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ [ص: ٨٢-٨٣] وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ

وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشۡرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ [النحل: ٩٨-١٠٠].

قالت طائفة من القراء وغيرهم: نتعوذ بعد القراءة، واعتمدوا على ظاهر سياق الآية، ولدفع الإعجاب بعد فراغ العبادة، وممن ذهب إلى ذلك حمزة فيما نقله ابن قلوقا عنه، وأبو حاتم السجستاني، حكى ذلك أبو القاسم يوسف بن علي بن جُبارة الهذلي المغربي في كتاب العبادة «الكامل».

وروي عن أبي هريرة أيضًا، وهو غريب.

ونقله محمَّد بن عمر الرازي في تفسيره عن ابن سيرين في رواية عنه، قال: وهو قول إبراهيم النخعي، وداود بن علي الأصبهاني الظاهري، وحكى القرطبي عن أبي بكر بن العربي عن المجموعة عن مالك رَحِمَهُ ٱللَّهُ، أن الاستعاذة إنَّما تكون قبل التلاوة لدفع الوسوسة عنها، ومعنى الآية عندهم: ﴿فَإِذَا قَرَأۡتَ ٱلۡقُرۡءَانَ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النحل: ٩٨] أي: إذا أردت القراءة كقوله: ﴿إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ﴾ [المائدة: ٦] الآية أي: إذا أردتم القيام، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

بهذا المقام يوضح الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ أخذًا من الآيات الكريمات، والأحاديث الصحيحة النَّبوية، عداوة وأذى الشيطان، وحرصه على إغواء بني آدم، وأنه عدو مبين لا حيلة فيه، ولا مصانعة معه، ولا طريق إلى النجاة منه إلَّا بالاستعاذة بالله منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الذي خلقه، وقضاه، وابتلى العباد به، لا طريق إلى النجاة منه إلَّا بالتعوذ بالله والجأ إلى الله، والاستقامة على طاعته سبحانه وتعالى، هذا هو الطريق الذي

به النجاة من عدو الله الشيطان، ووساوسه، وذريته وأعوانه.

أما العدو الإنسي فيمكن أن يصانع بالمال، وغيره من طرق المصانعات ودفع الشر؛ ولهذا قال ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦] ثم قال بعدها: ﴿وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٧-٩٨].

فأمره أن يدفع بالتي هي أحسن السيئة، فيما بينه وبين الناس، وهكذا قوله ﷻ: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصّلت: ٣٤] وقوله جلَّ وعلا: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] ثم قال بعده: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠].

فالشيطان عندنا الطريق الوحيد للسَّلامة منه، ومن مكائده، التعوذ بالله من همزاته، ونزغاته، والاستعاذة بالله من ذلك، والاستقامة على دينه وطاعته سبحانه، والحذر من طاعة الشيطان، فإنك متى فتحت له الباب أعنته على نفسك، متى عصيت ربّك، فقد فتحت له الباب، والمعصية تُعينه عليك، أمَّا الطاعات فهي ضده، وهي عون لك عليه، ومن أسباب توفيق الله لك، وحمايته لك، ومن جملة ذلك الاستعاذة، تستعيذ به سبحانه عند غضبتك، وفي كل آن، وفي كل مكان، وفي كل زمان، تلجأُ إلى الله دائمًا أن يعذك من الشَّيطان ونزغاته، وعند القراءة يقول لك سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ [النّحل: ٩٨].

قال بعض السلف: معناه أن تستعيذ بعد القراءة، حتى لا تعجب بها، وحتى لا يوقعك في العجب والكبرياء، وفي الرياء، وقال

بعضهم: تستعيذ بالله من الشيطان في أولها، وبعد الفراغ منها، أي: القراءة.

والصواب: الذي عليه جمهور أهل العلم، أن الاستعاذة تكون في أول القراءة، حتى تتقي شر الشيطان في قراءتك، تتقي فتنته بالتعوذ بالله، فمعنى قوله سبحانه: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٩٨].

معناه: إذا أردت قراءته فاستعذ بالله، فهو مثل قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ﴾ [المَائدة: ٦] أي: إذا أردتم القيام وأنتم على غير طهارة، فاغسلوا وجوهكم.

ومثل قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «**إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُم الخَلَاءَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِثِ**»(١) إذا دخل، يعني: إذا أراد الدخول، كما في رواية أخرى: إذا أراد أن يدخل، وإذا دخل أحدكم الخلاء، فليستعذ بالله وليقل: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الخُبُثِ وَالخَبَائِث**» معنى إذا أراد، هذا له وظائف.

وهكذا قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النّحل: ٩٨] معنى إذا أردت القراءة، فاستعذ، تتقي بذلك شر عدو الله، تتقي مكائده وتلبيسه، وبهذا يعلم طالب العلم، ويعلم المؤمن، وكل عاقل أنه في أشد الحاجة، بل بأشد الضرورة إلى إعانة ربّه له على هذا العدو، وإعاذته له منه، ودفاعه عنه ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُدَٰفِعُ عَنِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟﴾ [الحَجّ: ٣٨] فالجأ إلى الله في كل حال، واستعذ به في كل حال من هذا العدو، ومن سائر الأعداء، لعلك تنجو، لعلك توفق إذا صدقت.

(١) أخرجه البخاري عن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (١٤٢)، ومسلم برقم (٣٧٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: حدثنا محمَّد بن الحسن بن آتش، حدثنا جعفر بن سليمان، عن علي بن علي الرفاعي اليشكري، عن أبي المتوكل الناجي[(١)] عن أبي سعيد الخدريّ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من اللَّيل فاستفتح صلاته وكبَّر قال: «**سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ تَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَى جَدُّكَ وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ**» ثم يَقُولُ: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ**» ثَلَاثاً، ثم يَقُولُ: «**أَعُوذُ بِالله السَّمِيعِ العَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِه**»[(٢)].

وقد رواه أهل السنن الأربعة من رواية جعفر بن سليمان، عن علي بن علي، وهو الرفاعي، وقال الترمذي: هو أشهر شيء في هذا الباب[(٣)].

وقد فسر الهمز بالموتة[(٤)] وهي الخنق، والنَّفخ بالكبر، والنفث بالشعر.

كما رواه أبو داود وابن ماجه من حديث شعبة عن عمرو بن مرة، عن عاصم العنزي[(٥)]، نافع بن جبير بن مطعم، عن أبيه، قال: رأيت رسول الله ﷺ حين دخل في الصَّلاة، قال: «**اللهُ أَكْبَرُ كَبِيرًا ـ ثَلَاثًا ـ**،

(١) في نسخة القارئ: [التاجي] وهكذا قرأها فصحح له سماحته [الناجي]، وهي المثبتة في نسخة دار طيبة المحققة (١/ ١١١).
(٢) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٣/ ٥٠ برقم ١١٤٩١).
(٣) أخرجه أبو داود برقم (٧٧٥)، والترمذي برقم (٢٤٢)، وابن ماجه برقم (٨٠٤).
(٤) انظر: القاموس المحيط للفيروزآبادي مادة: [موتة] (ص ١٦١).
(٥) في نسخة القارئ: [الغنزي] وهكذا قرأها، وصوابها [العنزي] كما سيأتي في تعليق سماحته، وهو الموافق للنسخ المحققه، ينظر: نسخة دار طيبة (١/ ١١١).

الحَمْدُ لله كَثِيرًا ـ ثَلَاثًا ـ، سُبْحَانَ الله بُكْرَةً وَأَصِيلًا ـ ثَلَاثًا ـ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ»(١).

قال عمر: وهمزه الموتة، ونفخه الكبر، ونفثه الشعر.

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

انظر: ترجمة عاصم في التقريب هل هو العزي أو العنزي؟

القاري: هو عاصم بن عمير، وهو ابن أبي عمرة، العَنَزي، بمهملة ونون مفتوحة، مقبول من الرابعة، روى له أبو داود وابن ماجه(٢).

هذا هو العَنزي الكاتب نسي النون، وصارت نقطة النون على العين وصارت غين.

و«**المُوتة**»: بضم الميم، يعني: الصرع الذي يشبه الموت، يعني: صرع الإنسان يشبه الموت يطيح، يسقط كأنه ميت، يخنقه خنقًا، نسأل الله العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**وقال ابن ماجه**: حدثنا علي بن المنذر، حدثنا ابن فضيل، حدثنا عطاء بن السائب عن أبي عبدالرَّحمن السلمي عن ابن مسعود عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ، وَهَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»(٣) قَالَ: هَمْزُهُ: المُوتَةُ، وَنَفْخُهُ: الكِبْرُ، وَنَفْثُهُ: الشِّعْرُ.

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٧٦٤)، وابن ماجه برقم (٨٠٧).

(٢) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٦ برقم ٣٠٧٤)

(٣) أخرجه ابن ماجه برقم (٨٠٨).

وقال الإمام أحمد: حدثنا إسحاق بن يوسف، حدثنا شريك عن يعلى بن عطاء عن رجل حدثه أنه سمع أبا أمامة الباهلي يقول: **كان رسول الله ﷺ إِذَا قَامَ إِلَى الصَّلَاةِ كَبَّرَ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثم قَالَ**: «**لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَسُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِه**». ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، ثم قَالَ: «**أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ**»(١).

وقال الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى الموصلي في مسنده: حدثنا عبدالله بن عمر ابن أبان الكوفي، حدثنا علي بن هشام بن البريد، عن يزيدَ بن زياد، عن عبدالملك بن عمير، عن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى، عن أبي بن كعب رضي الله عنه، قال: تلاحى رجلان عند النَّبِيّ ﷺ، فَتَمزّع أنف أحدهما غضبا، فقال رسول الله ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ شَيْئًا لَوْ قَالَهُ لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ: أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**»(٢).

وكذا رواه النسائي في اليوم والليلة: عن يوسف بن عيسى المروزي، عن الفضل بن موسى، عن يزيدَ بن زياد بن أبي الجعدية(٣).

وقد روى هذا الحديث أحمد بن حنبل، عن أبي سعيد، عن زائدة، وأبو داود عن يوسف بن موسى، عن جرير بن عبدالحميد، والترمذي، والنسائي في اليوم والليلة عن بُنْدَار، عن ابن مهدي، عن الثوري، والنسائي أيضًا من حديث زائدة بن قدامة، ثلاثتهم عن عبدالملك بن

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في مسنده (٥/ ٢٥٣، برقم ٢٢٣٣٣) وقال الشيخ شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وهذا إسناد ضعيف لإبهام الراوي له عن أبي أمامة، موسوعة الحديث المسند (٣٦/ ٢٥٣).

(٢) لم أجده في مسند أبي يعلى المطبوع، من مسند أبي بن كعب، وهو مما عزاهَ إليه مسندًا الحافظ ابن كثير (١/ ١١٢).

(٣) أخرجه النسائي (٦/ ١٠٤، برقم ١٠٢٢٣).

عمير، عن عبدالرَّحمن بن أبي ليلى، عن معاذ بن جبل رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: استَبَّ رجلَان عند النَّبِيِّ ﷺ، فغضب أحدهما غضبًا شديدًا حتى يُخيّل إليَّ أن أحدهما يَتَمزّع أنفه من شدة غضبه، فقال النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُ مِنَ الغَضَبِ**» فقال: ما هي يا رسول الله؟ قال: «**يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» قَالَ: فَجَعَلَ مُعَاذٌ يَأْمُرُهُ، فَأَبَى وَجَعَلَ يَزْدَادُ غَضَبًا[(١)]. وهذا لفظ أبي داود.

وقال الترمذي: مرسل، يعني: أنَّ عبدالرَّحمن بن أبي ليلى لم يلق معاذ بن جبل، فإنه مات قبل سنة عشرين.

قلت: وقد يكون عبد الرَّحمن بن أبي ليلى سمعه من أبيّ بن كعب، كما تقدم وبلغه عن معاذ بن جبل، فإن هذه القصة شهدها غير واحد من الصَّحابة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ.

قال البخاري: حدثنا عثمان بن أبي شيبة، حدثنا جرير، عن الأعمش، عن عدي بن ثابت، قال: قال سليمان بن صُرَد رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: اسْتَبَّ رَجُلَانِ عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ وَنَحْنُ عِنْدَهُ جُلُوسٌ، فَأَحَدُهُمَا يَسُبُّ صَاحِبَهُ مُغْضَبًا قَدِ احْمَرَّ وَجْهُهُ، فَقَالَ النَّبِيُّ ﷺ: «**إِنِّي لأَعْلَمُ كَلِمَةً، لَوْ قَالَهَا لَذَهَبَ عَنْهُ مَا يَجِدُهُ، لَوْ قَالَ أَعُوذُ بِالله مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ**» فَقَالُوا لِلرَّجُلِ: أَلَا تَسْمَعُ مَا يَقُولُ النَّبِيُّ ﷺ؟ قَالَ: إِنِّي لَسْتُ بِمَجْنُونٍ[(٢)].

وقد رواه أيضًا مع مسلم، وأبي داود، والنِّسائي، من طرق متعددة، عن الأعمش، به»[(٣)].

---

(١) أخرجه أحمد (٥/ ٢٤٠، ٢٤٤، برقم ٢٢١٣٩، ٢٢١٦٤)، وأبو داود برقم (٤٧٨٠)، والترمذي برقم (٣٤٥٢) والنسائي (٦/ ١٠٤، برقم ١٠٢٢١، ١٠٢٢٢).

(٢) أخرجه برقم (٦١١٥) بالإسناد والمتن المذكور، و(٣٢٨٢ و٦٠٤٨).

(٣) أخرجه مسلم برقم (٢٦١٠).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا الذي قال: لست بمجنون حمله عليه شدة الغضب، لم يع من شدة غضبه، ما وعى، قيل له اسمع ما يقول رسول الله ﷺ فلم يرعوي؛ لأنَّ غضبه قد استولى عليه، أو أنه كان منافقًا لا يؤمن بالله ولا بالرسول، فلهذا لم يفق، ولم يستجب، ولم يقل: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، لما سمع كلام الرَّسول ﷺ هذا كما قال أهل العلم، إمَّا أن يكون مزاجه وغضبه قد اشتد به، فصار كالمجنون، لا يعي ما يقول، وإمَّا أنه كان منافقًا لا يرعوي لما يقوله الرَّسول ﷺ، ولا يؤمن بذلك، نسأل الله السَّلامة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد جاء في الاستعاذة أحاديث كثيرة يطول ذكرها هاهنا، وموطنها كتاب الأذكار وفضائل الأعمال، والله أعلم.

وقد رُوِيَ أنَّ جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أوَّل ما نزل بالقرآن على رسول الله ﷺ أمره بالاستعاذة، كما روى الإمام أبو جعفر بن جرير: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبدالله بن عباس، قال: أوَّل ما نزل جبريل على محمد ﷺ قال: يا محمَّد، استعذ، قال: «**أستعيذ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم ثم قال: قل: بسم الله الرَّحمن الرَّحيم، ثم قال:** ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝١﴾ [العلق: ١]» قال عبدالله: «**وهي أوَّل سورة أنزلها الله على محمد ﷺ، بلسان جبريل**»[١].

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١١٣).

وهذا الأثر غريب، وإنما ذكرناه ليعرف، فإن في إسناده ضعفًا وانقطاعًا، والله أعلم.

مسألة:

وجمهور العلماء على أن الاستعاذة مستحبة ليست بمتحتمة يأثم تاركها، وحكى الرازي عن عطاء بن أبي رباح وجوبها في الصَّلاة وخارجها كلما أراد القراءة، قال: وقال ابن سيرين: إذا تعوذ مرة واحدة في عمره فقد كفى في إسقاط الوجوب، واحتج الرازي لعطاء بظاهر الآية: ﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ﴾ [الأعراف: ٢٠٠] وهو أمر ظاهره الوجوب وبمواظبة النَّبِيّ ﷺ عليها؛ ولأنها تدرأ شر الشيطان وما لا يتم الواجب إلَّا به فهو واجب؛ ولأن الاستعاذة أحوط وهو أحد مسالك الوجوب. وقال بعضهم: كانت واجبة على النَّبِيّ ﷺ دون أمته، وحكي عن مالك أنه لا يتعوذ في المكتوبة ويتعوذ لقيام رمضان في أول ليلة منه.

مسألة:

وقال الشافعي في الإملاء، يجهر بالتعوذ، وإن أسر فلا يضر، وقال في الأم بالتخيير؛ لأنه أسر ابن عمر وجهر أبو هريرة، واختلف قول الشافعي فيما عدا الركعة الأولى: هل يستحب التعوذ فيها؟ على قولين، ورُجِّح عدم الاستحباب».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الجمهور على أنَّها سنَّة مؤكدة، عند بدء القراءة، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّحيم، أمَّا البسملة، فهي متأكدة أكثر، في أوَّل كل سورة ما عدا براءة، حتى قال بعض أهل العلم أنَّها آية من كل سورة، فلا بد من قراءتها، وقال آخرون: أنها آية من الفاتحة دون غيرها، والصواب: أنها آية مستقلة، ليست من الفاتحة، ولا من غيرها، لكنها مستقلة،

بدءًا وفتحًا للسور، وتبركًا باسمه ﷻ عند بدء كل سورة، ما عدا براءة، فإنَّ الصَّحابة لما جمعوا القرآن شكوا في الأنفال وبراءة هل هما سورتان، أو سورة واحدة، ولهذا لم يكتبوا بينها بسم الله الرحمن الرحيم، كما قال عثمان.

فينبغي للمؤمن أن يقرأ البسملة في أول كل سورة، وينبغي أن يتعوذ أيضًا قبل ذلك، حتى يجمع بين السنتين، وهذا الذي عليه جمهور أهل العلم، أمَّا قول عطاء بالوجوب فله قوة بظاهر الأوامر، فينبغي للمؤمن أن لا يدعها أبدًا؛ لأن الله أمر بذلك، والرسول ﷺ فعلها واستمر عليها عليه الصَّلاة والسَّلام، فينبغي للمؤمن إذا أراد القراءة أن يبدأ بالتعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، ثم يثني بالتسمية إن كان من أول السورة، أمَّا إن كان من أثناء السورة فالأمر واسع، إن أتى بالبسملة فلا بأس، وإن اكتفى بالاستعاذة كفى.

وظاهر الآية الكريمة أنَّه يكتفي بالاستعاذة، إلَّا إذا أراد أن يبدأ سورة بدأها بالاستعاذة، ثم التسمية، حتى يجمع بين السنتين، في الصَّلاة وخارجها، في الفرض والنفل، وأمَّا تعينها في النفل فهذا لا وجه له، بل الذي عليه معظم أهل العلم أن الاستعاذة والتسمية سنتان مؤكدتان، في جميع القراءة، في الليل والنهار، في الفرض، والنفل، في الصَّلاة وخارجها.

▪ **سؤال: ما هو صارف الأمر من الوجوب؟**

• **الجواب:** ما أعلم فيه شيء واضح، أقول: ما أعلم فيه شيء واضح يصرفه.

▪ **سؤال: ما الحكم إذا جهر بها الإمام يا شيخ؟**

• **الجواب:** إذا جهر بها الإمام في بعض الأحيان للتعليم لا بأس،

أو بالبسملة، كما جهر بها عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وجهر بها أبو هريرة للتعليم؛ لكن السنة الإسرار بها، كان النَّبِيّ يسر بها عليه الصَّلاة والسَّلام، فالغالب يسر بها؛ ولكن إذا جهر بها بعض الأحيان حتى يسمع من حوله، وحتى يعلم المأموم أنه يستعيذ، وأنه يسمي فيتأسى به هذا من باب التعليم.

■ **سؤال: قول الحافظ في الحديث الذي فيه أمر جبريل للنَّبِيِّ بالاستعاذة أنَّه حديث غريب؟ ما قصده في الغرابة؟ هل هو على المعنى الاصطلاحي؟**

• **الجواب:** لا، يعني: أن سنده فردًا، يعني هذا؛ لأن سنده فردًا غرابة معه ضعف وانقطاع.

■ **سؤال: والغرابة بمعناه أيضًا.**

• **الجواب:** لا، ليس واضحًا؛ لأن التسمية والاستعاذة ليست غريبه.

□ **السائل: لعله يعني.. بأول البعثة؟**

• **الجواب:** لا، أقول المعنى طيب واضح، أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، الاستعاذة بالله.

□ **السائل: لكن صح إطلاق الغربة من ناحية السند؟ ثم ما كان ألأولى أن يكتفي بذكر الضعف؟**

• **الجواب:** أي السند، نعم. ذكر الضعف والانقطاع، والغرابة ففيه العلل مجتمعة.

■ **سؤال: أحسن الله إليك: إذا ترك الاستعاذة تهاونًا هل يأثم؟**

• **الجواب:** الجمهور أنه لا يأثم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«فإذا قال المستعيذ: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم كفى ذلك عند الشافعي وأبي حنيفة وزاد بعضهم: أعوذ بالله السميع العليم، وقال آخرون: بل يقول: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم إنَّ الله هو السميع العليم، قاله الثوري والأوزاعي.

وحكي عن بعضهم أنه يقول: أستعيذ بالله من الشَّيطان الرجيم لمطابقة أمر الآية ولحديث الضحاك عن ابن عباس المذكور، والأحاديث الصحيحة، كما تقدم، أولى بالاتباع من هذا».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الإنسان مخيرٌ إذا قال: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، أو قال: أعوذ بالله السَّميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم، كله حسن، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم هذا نوع، وأعوذ بالله السَّميع العليم من الشَّيطان الرَّجيم نوع ثاني، من باب التنوع، وهكذا بسم الله الرَّحمن الرَّحيم بعدها، وهكذا من همزه، ونفخه، ونفثه، كلها هي استجارة بالله، واستعاذة به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«ثم الاستعاذة في الصَّلاة، إنَّما هي للتلاوة، وهو قول أبي حنيفة ومحمَّد، وقال أبو يوسف: بل للصَّلاة، فعلى هذا يتعوذ المأموم، وإن كان لا يقرأ، ويتعوذ في العيد بعد الإحرام، وقبل تكبيرات العيد، والجمهور بعدها قبل القراءة.

ومن لطائف الاستعاذة أنَّها طهارة للفم مما كان يتعاطاه من اللغو

والرفث، وتطييب له وتهيؤ لتلاوة كلام الله، وهي استعانة بالله واعتراف له بالقدرة، وللعبد بالضعف والعجز عن مقاومة هذا العدو المبين الباطني الذي لا يقدر على منعه ودفعه إلَّا الله الذي خلقه، ولا يقبل مصانعة، ولا يدارى بالإحسان، بخلاف العدو من نوع الإنسان، كما دلت على ذلك آيات من القرآن في ثلاث من المثاني، وقال تعالى: ﴿إِنَّ عِبَادِى لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنٌ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ وَكِيلًا ﴿٦٥﴾﴾ [الإسراء: ٦٥].

وقد نزلت الملائكة لمقاتلة العدو البشري، ومن قتله العدو الظاهري البشري كان شهيدًا، ومن قتله العدو الباطني كان طرِيدًا، ومن غلبه العدو الظاهري كان مأجورًا، ومن قهره العدو الباطن كان مفتونًا أو موزورًا، ولما كان الشَّيطان يرى الإنسان من حيث لا يراه استعاذ منه بالذي يراه ولا يراه الشَّيطان».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

■ **سؤال: السبع المثاني أليست هي آيات الفاتحة؟**

• **الجواب:** المثاني السور المثاني، يعني: التي أقل من المائة.

■ **سؤال: بارك الله فيك ما هي الصيغة الثابتة عن النَّبِيِّ ﷺ في الاستعاذة؟**

• **الجواب:** أعود بالله من الشَّيطان الرَّجيم، وأعوذ بالله السَّميع العليم من الشيطان الرجيم، هذا وهذا صيغتان.

■ **سؤال: صيغة: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم من همزه، ونفخه، ونفثه، هل هي ثابتة؟**

• **الجواب:** هذه الزيادة ثابتة من عدة طرق، هذه زيادة على

الاستعاذة، أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، أو أعوذ بالله السَّميع العليم، من همزه، ونفخه، ونفثه، وإذ اقتصر على: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم كفى، وإن زاد كان أكمل، هذا من باب التنوع، مثل أنواع الاستفتاح، وأنواع الأذان.

■ **سؤال: هل الاستعاذة عند التثاؤب ورد فيها شيء يا شيخ؟**

• **الجواب:** ما أعرف لها أصلًا، لكنه من المعروف أن التثاؤب من الشَّيطان، فإذا استعاذ بالله فلا بأس؛ لكن ما أعلم أنه ورد فيها شيء، وإنَّما يفعله الناس؛ لأنَّهم يعلمون أن التثاؤب من الشَّيطان.

■ **سؤال: في مصنف ابن أبي شيبة عن ابن مسعود إذا تثاءب استعاذ من الشَّيطان الرَّجيم؟**

• **الجواب:** ممكن أنا ما اطلعت عليه، تنظر في صحته، وتعلم الطالب: إن شاء الله.

■ **سؤال: أحسن الله إليك يا شيخ سورة الفاتحة هل هي السبع المثاني؟**

• **الجواب:** نعم، تسمى السبع المثاني، وتسمى السور الوسط التي ليست من الطوال، ولامن القصار، تسمى المثاني أيضًا، فالبقرة، وآل عمران، والنساء، والمائدة، والأنعام، والأعراف، والتوبة، هذي الطوال، وما دونها يسمى المثاني، وما تحتها من «ق» إلى آخره هذا يسمى المفصل.

❀ ❀ ❀

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

فصل

«والاستعاذة، هي الالتجاء إلى الله والالتصاق بجنابه من شر كل ذي شر، والعياذة تكون لدفع الشر، واللياذ يكون لطلب جلب الخير، كما قال المتنبي:

يا من ألوذ به فيما أؤمله ومن أعوذ به ممن أحاذره
لا يجبر الناس عظما أنت كاسره ولا يهيضون عظما أنت جابره»

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

مما أو ممن أحاذره، جاء هذا وهذا، مما معرف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ومعنى: أعوذ بالله من الشَّيطان الرَّجيم، أي: أستجير بجناب الله من الشَّيطان الرَّجيم، أن يضرني[1] في ديني أو دنياي أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشَّيطان لا يكفُّه عن الإنسان إلَّا الله».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أن يضرني، القارئ: حسب ما في النسخة أن لا يضرني؟

الشيخ: أن يضرني أوضح، وإن كان المعنى صحيح أن لا يضرني؛ لكن أن يضرني أحسن، وأوضح في المعنى.

(١) في نسخة القارئ: [أن لا يضرني] كما سيأتي في تعليق الشيخ وتوجيهه في ذلك.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«أي: أستجير بجناب الله من الشَّيطان الرَّجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به؛ ولهذا أمر الله تعالى بمصانعة شيطان الإنس ومداراته بإسداء الجميل إليه، ليرده طبعه عمَّا هو فيه من الأذى، وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رِشوة ولا يؤثر فيه جميل».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

ولهذا قال سبحانه: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ ٱلسَّيِّئَةَۚ﴾ [المؤمنون: ٩٦]، وقال: ﴿ٱدۡفَعۡ بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِي بَيۡنَكَ وَبَيۡنَهُۥ عَدَٰوَةٞ كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٞ ﴿٣٤﴾﴾ [فُصّلَت: ٣٤] فالإنسي يدفع بأشياء كثيرة، منها المقابلة للسيئة بالإحسان، ودفع المال، والشفاعة إليه بأقاربه، وأخصائه إلى غير هذا، أمَّا عدو الله الشَّيطان وجنوده فلا يدفعهم إلَّا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، هو الذي بيده صدهم ودفعهم، والإعاذة من شرهم ومكائدهم؛ ولهذا شرع سبحانه اللجأ إليه، والاستعاذة به من الشَّيطان الرَّجيم، عند القراءة، وفي مواضيع أخرى.

فالمؤمن يلوذ بالله ويستعيذ به سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، يعوذ به من شر الشَّيطان، ويلوذ به في كلّ ما يرجوه ويؤمله، فالعياذة في دفع الشر، واللياذة في طلب الخير، وعدو الله الشَّيطان، وسائر شياطين الجن لا يصدهم عنك، ولا يمنعهم منك، إلَّا مولاك سبحانه القادر عليهم جلَّ وعلا، فجدير بالمؤمن أن يلجأ إلى الله دائمًا، وأن يستعيذ به من الشَّيطان في جميع الأحوال، وأن يتخذ أسباب ذلك، من طاعة الله ورسوله، والبعد عمَّا نهى الله عنه ورسوله، فإنَّ الإقدام على المعاصي من أعظم الأسباب لتسليطه عليك، وتمكنه منك، فإن من عصى الله فتح لعدوه

الباب أن يلج عليه، وكلما زاد اتساع المعاصي زاد اتساع الباب، واتساع الخرق لهجوم الشَّيطان، وتمكنه منك، وكلما أغلقت الباب، واجتهدت في إغلاقه بأداء الواجبات، وترك المحرمات، كنت أبعد ما يكون عن عدوك الشَّيطان.

قال المؤلف رحمه الله:

«وأمر بالاستعاذة به من شيطان الجن؛ لأنه لا يقبل رِشوة ولا يؤثر فيه جميل؛ لأنه شرير بالطبع، ولا يكفه عنك إلَّا الذي خلقه، وهذا المعنى في ثلاث آيات من القرآن لا أعلم لهن رابعة، قوله في الأعراف: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩] فهذا فيما يتعلق بمعاملة الأعداء من البشر، ثم قال: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٠]، وقال تعالى في سورة: «قد أفلح المؤمنون»: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ [المؤمنون: ٩٦-٩٨]، وقال تعالى في سورة «حم السجدة فصلت»: ﴿وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ۚ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾ [فصلت: ٣٤-٣٦]».

قال المعلق رحمه الله:

تقدم من المؤلف التنبيه على هذا[١]، والله المستعان.

---

(١) ينظر صفحة (٨٣-٨٦) في هذا الكتاب في مطلع فصل في تفسير الاستفادة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والشيطان في لغة العرب مشتق من شَطَن إذا بعد، فهو بعيد بطبعه عن طباع البشر، وبعيد بفسقه عن كل خير، وقيل: مشتق من شاط لأنه مخلوق من نار، ومنهم من يقول: كلاهما صحيح في المعنى، ولكن الأول أصح، وعليه يدل كلام العرب، قال أمية ابن أبي الصلت في ذكر ما أوتي سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ:

أيـمـا شـاطِـنٍ عـصـاه عـكـاه ثم يُلْقى في السِّجْن والأغلال

فقال: أيما شاطن، ولم يقل: أيما شائط.

وقال النابغة الذبياني: وهو: زياد بن عمرو بن معاوية بن جابر بن ضَباب بن يربوع ابن مرة بن سعد بن ذُبْيان:

نـأت سـعـاد عـنـك نَـوًى شَـطُـونُ فـبـانـت والـفـؤادُ بـهـا رَهِـيـنُ»

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

ضِباب يصحح للقاري، ويسأله: نأت بماذا؟ فيجيبه: نأت بسعاد،

الشيخ: إيه

القارئ: فبانت والفؤاد به رهين؟

الشيخ: بها، بها التي هي سعاد، شطون: نار شاطئة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«يقول: بعدت بها طريق بعيدة. وقال سيبويه: العرب تقول: تشيطن فلان إذا فَعَل فِعْل الشيطان ولو كان من شاط لقالوا: تشيط.والشيطان مشتق من البعد على الصحيح؛ ولهذا يسمون كل ما تمرد من جني وإنسي وحيوان شيطانًا، قال الله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا

لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَٰطِينَ ٱلْإِنسِ وَٱلْجِنِّ يُوحِى بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ غُرُورًاۚ﴾ [الأنعام: ١١٢].

وفي مسند الإمام أحمد، عَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَا أَبَا ذَرٍّ تَعَوَّذْ بِالله مِنْ شَرِّ شَيَاطِينِ الإِنْسِ وَالجِنِّ**» فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله: أَوَ لِلإِنْسِ شَيَاطِينُ! قَالَ: «**نَعَمْ**»[(١)].

وفي صحيح مسلم عن أبي ذر أيضًا قال: قال رسول الله ﷺ: «**يَقْطَعُ الصَّلَاةَ المَرْأَةُ، والحِمَارُ، وَالكَلْبُ الأَسْوَدُ**» فَقُلْتُ يَا رَسُولَ الله، ما بال الكلب الأسود من الأحمر والأصفر، فقال: «**الكَلْبُ الأَسْوَدُ شَيْطَانٌ**»[(٢)].

وقال ابن وهب: أخبرني هشام بن سعد، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أنَّ عمر بن الخطاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، ركب بِرْذونًا، فجعل يتبخْتر به، فجعل يضربه فلا يزداد إلَّا تبخترًا، فنزل عنه، وقال: «**ما حملتموني إلَّا على شيطان، ما نزلت عنه حتى أنكرت نفسي**» إسناده صحيح.

والرَّجيم: فعيل بمعنى مفعول، أي: إنه مرجوم مطرود عن الخير كله، كما قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [المُلك: ٥]، وقال تعالى: ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ۝٧ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ۝٨ دُحُورًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ۝٩ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ۝١٠﴾ [الصَّافات: ٦-١٠]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِى ٱلسَّمَآءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّٰهَا لِلنَّٰظِرِينَ ۝١٦ وَحَفِظْنَٰهَا مِن كُلِّ شَيْطَٰنٍ رَّجِيمٍ ۝١٧ إِلَّا مَنِ ٱسْتَرَقَ ٱلسَّمْعَ

(١) أخرجه في (٥/١٧٨، برقم ٢١٥٨٦) مطولًا، والنسائي برقم (٥٥٠٧).
(٢) أخرجه مسلم برقم (٥١٠).

فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ ﴿١٨﴾ [الحِجر: ١٦-١٨]، إلى غير ذلك من الآيات.

وقيل: رجيم بمعنى راجم؛ لأنه يرجم الناس بالوساوس والربائث، والأول أشهر وأصح».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الربائث: من يربث عن الخير، أي: يثبط عن الطاعة، نسأل الله العافية، والربيثة ما يربثك، أي: ما يعوقك.

قوله: «**والأول أشهر**» يعني: الأول أنه بمعنى مفعول مرجوم، أي يطرد ويبعد عن رحمة الله، نسال الله السَّلامة.

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رحمه الله:

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

افتتح بها الصحابةُ كتاب الله، واتّفق العلماء على أنها بعض آية من سورَة النمل».

قال المعلق رحمه الله:

أي جزء من قوله سبحانه: ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيۡمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ٣٠﴾ [النَّمل: ٣٠].

قال المؤلف رحمه الله:

«ثم اختلفوا: هل هي آية مستقلة في أوَّل كل سورة، أو من أوَّل كل سورة كتبت في أوَّلها، أو أنها بعض آية من كل سورة، أو أنها كذلك في الفاتحة دون غيرها، أو أنها إنَّما كتبت للفصل، لا أنها آية؟ على أقوال للعلماء سلفًا وخلفًا، وذلك مبسوط في غير هذا الموضع.

وفي سنن أبي داود بإسناد صحيح، عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ رضي الله عنهما قَالَ: أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم كَانَ لَا يَعْرِفُ فَصْلَ السُّورَةِ حتى تُنَزَّلَ عَلَيْهِ: ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ١﴾ [الفَاتِحَة: ١] وأخرجه الحاكم أبو عبدالله النيسابوري في مستدركه أيضًا[(١)]. وروي مرسلًا عن سعيد بن جُبَير.

وفي صحيح ابن خزيمة، عن أم سلمة رضي الله عنها: أنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَرَأَ البسملة في أوَّل الفاتحة في الصَّلاة وعدّها آية، لكنه من رواية عمر بن هارون

---

(١) أخرجه أبو داود برقم (٧٨٨) والحاكم في كتاب الصَّلاة، برقم (٨٤٥) وصححه ووافقه الذهبي التلخيص مع المستدرك (١/ ٣٥٥).

البلخي، وفيه ضعف، عن ابن جُرَيْج، عن ابن أبي مُلَيْكَة، عنها»[(١)].

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

البلخي هذا ليس بشيء، عمر بن هارون، هذا متهم بالكذب، فليس بشيء[(٢)].

والصواب: أنَّها آية مستقلة من كتاب الله جلَّ وعلا فصل بين السور، آية مستقلة، فليست من الفاتحة، ولا من غيرها، بل هي آية مستقلة للفصل بين السور، هذا أحسن ما قاله العلماء فيها، وهي بعض آية من سورة النمل، والفاتحة سبع آيات من دونها، أولها الحمد لله رب العالمين، وآخرها غير المغضوب عليهم ولا الضالين.

▪ **سؤال**: من نسي البداءة بها في أوَّل السَّورة؟

● **الجواب**: ليس فيه شيء لا حرج في ذلك.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وروى له الدارقطني متابعًا، عن أبي هريرة مرفوعًا، وروى مثله عن علي وابن عباس وغيرهما، وممن حكي عنه أنَّها آية من كل سورة إلَّا براءة، ابن عباس، وابن عمر، وابن الزبير، وأبو هريرة، وعليّ، ومن التابعين عطاء، وطاووس، وسعيد بن جبير، ومكحول، والزهري، وبه يقول عبدالله بن المبارك، والشَّافعي، وأحمد بن حنبل في رواية

(١) أخرجه ابن خزيمة برقم (٤٩٣، ١/ ٢٧٦).

(٢) هو عمر بن هارون بن يزيد الثقفي مولاهم، البلخي، متروك، وكان حافظًا من كبار التاسعة مات سنة أربع وتسعين (٢٩٤) أخرج له الترمذي وابن ماجه. ينظر: التقريب للحافظ ابن حجر (ص٤١٧ برقم ٤٩٧٩).

عنه، وإسحاق بن رَاهوَيه، وأبو عبيد القاسم بن سلَّام، رحمهم الله.

وقال مالك وأبو حنيفة وأصحابهما: ليست آية من الفاتحة ولا من غيرها من السور، وقال الشافعي في قول، في بعض طرق مذهبه، هي آية من الفاتحة وليست من غيرها، وعنه أنها بعض آية من أوَّل كل سورة، وهما غريبان، وقال داود: هي آية مستقلة في أوَّل كل سورة لا منها». وهذه رواية عن الإمام أحمد بن حنبل، وحكاه أبو بكر الرازي، عن أبي الحسن الكرخي، وهما من أكابر أصحاب أبي حنيفة، رحمهم الله، هذا ما يتعلق بكونها آية من الفاتحة أم لا».

قال المعلق رحمه الله:

وهذا أحسنها، وأنها آية مستقلة، ليست من الفاتحة ولا من غيرها، ولكنها بعض آية من سورة النمل.

قال المؤلف رحمه الله:

«فأمَّا ما يتعلق بالجهر بها، فمفرع على هذا، فمن رأى أنَّها ليست من الفاتحة، فلا يجهر بها، وكذا من قال: إنها آية من أوّلها، وأمَّا من قال بأنَّها من أوائل السور فاختلفوا، فذهب الشَّافعي رحمه الله، إلى أنَّه يجهر بها مع الفاتحة والسورة، وهو مذهب طوائف من الصَّحابة والتَّابعين وأئمة المسلمين سلفًا وخلفًا، فجهر بها من الصَّحابة أبو هريرة، وابن عمر، وابن عباس، ومعاوية، وحكاه ابن عبدالبر، والبيهقي عن عمر، وعليّ، ونقله الخطيب عن الخلفاء الأربعة، وهم: أبو بكر، وعمر، وعثمان، وعليٍّ، وهو غريب.

ومن التَّابعين عن سعيد بن جبير، وعِكْرِمة، وأبي قِلابة، والزهري، وعليِّ بن الحسن».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

الحسين، هو علي بن الحسين «زين العابدين» علي بن الحسين، وابنه محمَّد، وماذا بعد؟ القارئ: وسعيد بن المسيب...

■ مداخلة: عندنا علي بن الحسن؟

الشيخ: علي بن الحسين زين العابدين[(١)].

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وعلي بن الحسين، وابنه محمَّد، وسعيد بن المسيب، وعطاء، وطاووس، ومجاهد، وسالم، ومحمَّد بن كعب القرظي، وعبيد...».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وعبيد.. كذا عندكم؟

القارئ: نعم.

الشيخ: فقط عبيد.

■ مداخلة من أحد الطلاب: ليس عندنا عبيد!!

الشيخ: عبيد مطلق ساقط عندكم؟

الطلاب: إي نعم.

الشيخ: ضع عليه إشارة سقط من بعض النسخ، عبيد هذا؛ لأنه لو كان صحيحًا لسبق باسم، أو قال: ابن فلان.

(١) ابن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ، ينظر ترجمته في تقريب التهذيب ابن حجر (ص ١٦٧ برقم ١٣٣٤).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وأبي بكر بن محمَّد بن عمرو بن حزم، وأبي وائل، وابن سيرين، ومحمَّد بن المنْكَدِر، وعلي بن عبدالله بن عباس، وابنه محمَّد، ونافع مولى ابن عمر، وزيد بن أسلم، وعمر بن عبدالعزيز، والأزرق بن قيس، وحبيب بن أبي ثابت، وأبي الشعثاء، ومكحول، وعبدالله بن مَعْقِل بن مُقَرِّن، زاد البيهقي: وعبدالله بن صفوان، ومحمَّد بن الحنفية، زاد ابن عبدالبر: وعمرو بن دينار.

والحُجَّة في ذلك: أنَّها بعض الفاتحة، فيجهر بها كسائر أبعاضها، وأيضًا فقد روى النَّسائي في سننه، وابن خزيمة، وابن حبان في صحيحيهما، والحاكم في مستدركه، عن أبي هريرة أَنَّهُ صَلَّى فَجَهَرَ فِي قِرَاءَتِهِ بِالبَسْمَلَةِ، وقال بعد أن فرغ: «**إِنِّي لَأَشْبَهُكُمْ صَلَاةً بِرَسُولِ الله ﷺ**»[(١)]، وصححه الدارقطني والخطيب والبيهقي وغيرهم.

وروى أبو داود والترمذي، عَنِ ابن عَبَاسٍ رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا: «**أَنَّ رَسُول الله ﷺ كَانَ يَفْتَتِح الصَّلَاةِ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**» ثم قَالَ الترمذي: وليس إسناده بذاك[(٢)].

وقد رواه الحاكم في مستدركه، عن ابن عباس قال: «**كَانَ رسول الله ﷺ يَجْهَرُ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ**»، ثم قال: صحيح[(٣)].

وفي صحيح البخاري، عَن أَنَسِ بن مَالِك أَنَّهُ سُئِلَ عَن قِرَاءَةِ

(١) أخرجه النسائي برقم (٩٠٥)، وصحيح ابن خزيمة (١/ ٣٣١، برقم (٤٨١) وابن حبان (٨/ ٨٨، برقم (١٨٢٩) والحاكم (١/ ٣١٦، برقم ٨٤٩) والدارقطني (١/ ٣٠٥، برقم ١٤)، وقال: هذا صحيح، ورواتهم كلهم ثقات.

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٤٥).

(٣) المستدرك (٢/ ٢٥٦، برقم ٧٠٧). وقال: هذا صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه، ووافقه الذهبي على ذلك.

رَسُول الله ﷺ فَقَالَ: «كَانَتْ مَدًّا، ثم قَرَأَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، يَمُدُّ بِبِسْمِ الله، وَيَمُدُّ بِالرَّحْمَنِ، وَيَمُدُّ بِالرَّحِيمِ»(١).

وفي مسند الإمام أحمد، وسنن أبي داود، وصحيح ابن خزيمة، ومستدرك الحاكم(٢)، عن أم سلمة رضي الله عنها، قالت: كَانَ رَسُول الله ﷺ يُقَطِّعُ قِرَاءَتَهُ: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ١-٤] وقال الدارقطني: إسناده صحيح.

قال المعلق رحمه الله:

يُقطِّع.. يُقطِّع.. لعله بالتشديد أحسن، يعني يقف على رؤوس الآي، لا يسردها؛ بل يقف عند رؤوس الآيات، من باب الترتيل.

قال المؤلف رحمه الله:

«وروى الشَّافعي رحمه الله، والحاكم في مستدركه، عن أنس: أن معاوية صلى بالمدينة، فترك البسملة، فأنكر عليه من حضره من المهاجرين ذلك، فلما صلى المرّة الثانية بسمل.

وفي هذه الأحاديث، والآثار التي أوردناها كفاية ومقنع في الاحتجاج لهذا القول عما عداها، فأمَّا المعارضات والروايات الغريبة، وتطريقها، وتعليلها وتضعيفها، وتقريرها، فله موضع آخر.

وذهب آخرون: أنه لا يجهر بالبسملة في الصَّلاة، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الأربعة، وعبدالله بن مُغفل، وطوائف من سلف

(١) أخرجه البخاري برقم (٥٠٤٦).

(٢) مسند الإمام أحمد (٦/ ٣٠٢، برقم ٢٦٦٢٥) وأبو داود برقم (٤٠٠١).

التَّابعين والخلف، وهو مذهب أبي حنيفة، والثوري، وأحمد بن حنبل.

وعند الإمام مالك: أنه لا يقرأ البسملة بالكلية، لا جهرًا ولا سرًا، واحتجوا بما في صحيح مسلم عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «**كَانَ رَسُولُ الله ﷺ يَسْتَفْتِحُ الصَّلَاةَ بِالتَّكْبِيرِ وَالقِرَاءَةَ، بِـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**»[(١)].

وبما في الصحيحين عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «**صَلَّيْتُ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ، وَأَبِي بَكْرٍ، وَعُمَرَ، وَعُثْمَانَ، فَكَانُوا يَسْتَفْتِحُونَ بِـ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾**»[(٢)].

ولمسلم: «**لَا يَذْكُرُونَ بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فِي أَوَّلِ قِرَاءَةٍ وَلَا فِي آخِرِهَا**»[(٣)] ونحوه في السنن عن عبدالله بن مُغَفَّل رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الأصح من أقوال العلماء، قول أكثر الجمهور، فمن السنة الإسرار بالبسملة، لا يجهر بها، وهذا هو الثابت عن الخلفاء الراشدين، وجمهور أهل العلم، وهو مذهب أبي حنيفة، ومالك، وأحمد، حتى أن مالكاً لا يرى قراءتها بالكلية، والقول بهذا ضعيف، والصواب أنَّها تقرأ؛ لكن سرًا.

فالأقوال ثلاثة الجهر، والسر، وعدم القراءة، فالقول بعدم القراءة بالبسملة هذا قول مرجوح، ضعيف، مخالف للأدلة الشرعية، وأمَّا الجهر، والسر، فالسنة السر بها في الصَّلاة الجهرية، وعدم الجهر بها،

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٩٨).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٧٤٣) ومسلم برقم (٣٩٩).
(٣) جزء من الحديث السابق عند مسلم، برقم (٣٩٩).

كما دلت عليه الأحاديث الصحيحة لأنس، وعائشة، وغيرهما، وأصح ما ورد في الجهر بها ما ثبت عن أبي هريرة أنَّه جهر بها، وهو أراد بهذا التعليم حتى لا يظن ظانٌ أنها لا تقرأ، هذا هو الأقرب والله أعلم في جهره بها رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فإذا جهر بعض الناس في بعض الأحيان حتى يعلم المأمومون أنها تقرأ، وحتى لا يظن ظانٌ أنها تترك، فلا بأس ويكون هذا من باب التعليم كما فعل أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«فهذه مآخذ الأئمة، رحمهم الله، في هذه المسألة وهي قريبة؛ لأنهم أجمعوا على صحة صلاة من جهر بالبسملة ومن أسر، ولله الحمد والمنة.

فصل: في فضلها

قال الإمام العالم الحبر العابد أبو محمَّد عبدالرَّحمن بن أبي حاتم رَحِمَهُ اللهُ، في تفسيره: حدثنا أبي، حدثنا جعفر بن مسافر، حدثنا زيد بن المبارك الصنعاني، حدثنا سلَّام بن وهب الجَنديّ، عن ابن عباس أَنَّ عُثْمَانَ بْنَ عَفَّانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، سَأَلَ رَسُولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَن بِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ، فَقَالَ: «**هُوَ اسْمٌ مِنْ أَسْمَاءِ الله، وَمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اسْمِ الله الأَكْبَرِ إِلَّا كَمَا بَيْنَ سَوَادِ العَيْنَيْنِ وَبَيَاضِهِمَا مِنَ القُرْبِ**»[(١)]. وهكذا رواه أبو بكر بن مَرْدُويه،

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٠) وأخرجه الحاكم في المستدرك برقم (٢٠٢٧)، وصححه ووافقه الذهبي (١/ ٧٣٨). قال أبو إسحاق الحويني في النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة: عقب إيراده تصحيح الحاكم والذهبي لهذا الخبر، قلت: وهو عجب، لا سيما من الذهبي رَحِمَهُ اللهُ، فإنه ذكر هذا الحديث في ترجمة سلَّام بن وهب، وقال: «خبر منكر، بل كذب»!! فسبحان من لا يسهو. ينظر: النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة، برقم (١٢٧).

عن سليمان بن أحمد، عن عليّ بن المبارك، عن زيد بن المبارك، به».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

سلَّام بالتَّشديد، والقاعدة في هذا سلَّام بالتشديد إلَّا في موضعين:

أحدهما: محمَّد بن سلام بن كندي، شيخ البخاري هذا بالتخفيف على الأرجح.

والثاني: الصنعاني عبدالله بن سلام الإسرائيلي بالتخفيف أيضًا والبقية بالتشديد. والجَنَدِيِّ: بفتح النون نسبة إلى قبيلة جند.

وهذا - الخبر - يظهر عليه أنه موضوع لا أساس له من الصحة[١] وانظر ترجمة: زيد بن المبارك الصنعاني، وسلَّام بن وهب الجَنَدِيِّ؟

القارئ: زيد بن المبارك الصنعاني، سكن الرملة، صدوق عابد من العاشرة، روى له أبو داود[٢] ولا توجد ترجمة سلَّام بن وهب؟[٣]

قال الشيخ: ليس من رجاله.

القارئ: نعم.

(١) قال ابن أبي حاتم في علل الحديث (٢/ ١٧٨/ ٢٠٢٩) حديث منكر، وقال ابن الجوزي في الموضوعات: هذا حديث موضوع (١/ ٢٠٣، ٢٠٤).

(٢) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٢٤، برقم ٢١٥٥).

(٣) يعني في التقريب، وقال الذهبي: سلَّام بن وهب الجنَدي أتى بخبر منكر، بل كذب، ساقه العقيلي من طريق زيد بن المبارك الصنعاني، عن سلَّام بن وهب، عن ابن طاووس، عن أبيه، عن ابن عباس أن عثمان..وذكره، ينظر: الميزان (٢/ ١٨٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد روى الحافظ ابن مَرْدُويه من طريقين: عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن مِسْعَر، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن عيسى ابن مريم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أسلمته أمه إلى الكُتَّاب ليعلمه، فقال له المعلم: اكتب، قال ما أكتب؟ قال: بسم الله، قال له عيسى: وما باسم الله؟ قال المعلم: ما أدري؟ قال له عيسى: الباء بَهاءُ الله، والسين سناؤه، والميم مملكته، والله إله الآلهة، والرَّحمن رحمن الدُّنيا والآخرة، والرَّحيم رحيم الآخرة**» وقد رواه ابن جرير[(١)] من حديث إبراهيم بن العلاء الملقب: زِبْرِيق، عن إسماعيل بن عياش، عن إسماعيل بن يحيى، عن ابن أبي مُلَيْكة، عمن حدثه، عن ابن مسعود، ومسعر، عن عطية، عن أبي سعيد، قال: قال رسول الله ﷺ، فذكره. وهذا غريب جدًا، وقد يكون صحيحًا إلى من دون رسول الله ﷺ، وقد يكون من الإسرائيليات لا من المرفوعات، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

إبراهيم بن العلاء زِبْرِيق عندكم بالزَّاي؟

القارئ: إيه نعم.

قصة عيسى، كلها تدور على عطية العوفي[(٢)] وهو ضعيف، ومن حدثه مجهول، الحاصل: أن خبر عيسى بأن أمه سلمته للمعلم، المدرس خبر ليس بصحيحٍ؛ بل هو خطأ باطل.

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٢١)، وانظر فيه تعليق الشيخ المحدث أحمد محمَّد شاكر على هذا الخبر مطولًا هناك.

(٢) ويكنى أبا سعيد، ضعيف ومدلس شيعي، ينظر: ترجمته في تهذيب الكمال للمزي (٣/ ٥٤).

وقال الشيخ مرة أخرى في جوابه على سؤال عن هذا الأثر: أثر عيسى ليس بصحيح، ليس بصحيح؛ لأن رواياته كلها تدور حول عطية العوفي وهو ضعيف.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد روى جُوَيبر، عن الضحاك، نحوه من قبله.

وقد روى ابن مَرْدُويه، من حديث يزيد بن خالد، عن سليمان(١) بن بريدة، وفي رواية عن عبدالكريم أبي أمية، عن ابن بريدة، عن أبيه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنزلت عليّ آية لم تنزل على نبي غير سليمان بن داود وغيري، وهي** ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١]»».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا ضعيف؛ لأن فيه عبدالكريم بن أمية، وليس بشيء(٢).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وروي بإسناده عن عبدالكريم الكبير بن المعافى بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذَرّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبدالله، قال: لما نزل ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ هرب الغيم إلى المشرق، وسكنت الرياح، وهاج البحر، وأصغت البهائم بآذانها، ورُجِمت الشياطين من السماء، وحلف الله تعالى بعزته وجلاله ألا يسمى اسمه على شيء إلَّا بارك فيه»(٣).

---

(١) في نسخة القارئ: [سليمان أبي بريدة] فصوبه سماحة الشيخ: [سليمان بن أبي بريدة].

(٢) ينظر: ترجمته في الكامل في الضعفاء لابن عدي (١/ ٣٠٣، ٣٠٤).

(٣) أورده الثعالبي في تفسيره الكشف والبيان (١/ ٤).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

طلب إعادة السند من أوله؟ من قبل عطاء..؟ فأعاد القارئ: السند: عن عبدالكريم الكبير بن المعافى بن عمران، عن أبيه، عن عمر بن ذَرّ، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبدالله، قال:... فذكره.

فعلق سماحته: وقال: هذا ضعيف؛ لأنَّ عبدالكريم بن أمية ليس بشيء.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال وكيع عن الأعمش، عن أبي وائل، عن ابن مسعود، قال: «**من أراد أن ينجيه الله من الزبانية التسعة عشر فليقرأ**: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ①﴾ [الفاتحة: ١] **ليجعل الله له من كل حرف منها جنة من كل واحد**»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا ضعيف أيضًا؛ لأن الأعمش مدلس، وهو موقوف أيضًا، فلعله تلقاها من بني إسرائيل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ذكره ابن عطية والقرطبي ووجهه ابن عطية ونصره بحديث لقد «**رَأَيْتُ بِضْعَةً وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا**» لقول الرجل: «**رَبَّنَا وَلَكَ الحَمْدُ، حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ**»(١) من أجل أنها بضعة وثلاثون حرفًا».

---

(١) أخرجه البخاري من حديث رفاعة بن رافع الزُّرقي برقم (٧٩٩).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا ليس بشيء.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال الإمام أحمد بن حنبل في مسنده: حدثنا محمَّد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا تميمة يحدث عن رديف النَّبيّ ﷺ، قال: عُثر بالنَّبيّ ﷺ، فقلت: تَعِس الشَّيطان. فقال النَّبيُّ ﷺ: «**لَا تَقُلْ تَعِسَ الشَّيْطَانُ، فَإِنَّكَ إِذَا قُلْتَ تَعِسَ الشَّيْطَانُ تَعَاظَمَ، وَقَالَ: بِقُوَّتِي صَرَعته؛ وَإِذَا قُلْتَ: بِسْمِ الله، تَصَاغَرَ حتى يَصِيرَ كَالذُّبَابِ**»(١) هكذا وقع في رواية الإمام أحمد.

وقد روى النَّسائي في اليوم واللَّيلة، وابن مَرْدُويه في تفسيره، من حديث خالد الحذاء،عن أبي تميمة، وهو الهجيمي، عن أبي المليح بن أسامة بن عمير، عن أبيه، قال: كنت رديف النَّبِيِّ ﷺ فذكره، وقال: «**لَا تَقُلْ هَكَذَا، فَإِنَّهُ يَتَعَاظَمُ حتى يَكُونَ كَالبَيْتِ، وَلَكِن قُلْ: بِسْمِ الله، فَإِنَّهُ يَصْغِرُ حتى يَكُونَ كَالذُّبَابِ**»(٢) فهذا من تأثير بركة بسم الله.

ولهذا تستحب في أوَّل كل عمل وقول، فتستحب في أوَّل الخطبة لما جاء: «**كُلُّ أمْرٍ ذِي بالٍ لَا يُبْدأُ فِيهِ بِبِسْمِ الله الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ فَهوَ أجذم**»(٣) وتستحب البسملة عند دخول الخلاء، لما ورد من الحديث في ذلك.

---

(١) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٥/ ٥٩، ٧١، ٣٦٥، برقم٢٠٦١٠، ٢٠٧٠٩، ٢٣١٤١) وأبو داود في كتاب الأدب، باب [٨٥]، برقم (٤٩٨٢).

(٢) أخرجه النسائي (٦/ ١٤٢، برقم ١٠٣٨٨) ضمن السنن الكبرى.

(٣) أخرجه الرهاوي في الأربعين عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وذكره العظيم آبادي (١٣/ ١٢٧) وعند أبي داود بلفظ: «الحمد لله فهو أجذم برقم (٤٨٤٠).

وتستحب في أوّل الوضوء لما جاء في مسند الإمام أحمد والسنن، من رواية أبي هريرة، وسعيد بن زيد، وأبي سعيد مرفوعًا: «**لَا وُضُوءَ لِمَنْ لَمْ يَذْكُرِ اسْمَ اللهِ عَلَيْهِ**»[(١)] وهو حديث حسن، ومن العلماء من أوجبها عند الذكر هاهنا، ومنهم من قال بوجوبها مطلقًا، وكذا تستحب عند الذبيحة في مذهب الشَّافعي وجماعة، وأوجبها آخرون عند الذكر، ومطلقًا في قول بعضهم، كما سيأتي بيانه في موضعه إن شاء الله.

وقد ذكر الرازي في تفسيره في فضل البسملة أحاديث منها: عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَتَيْتَ أَهْلَكَ فَسَمِ اللهَ، فَإِنَّهُ إِنْ وُلِدَ لَكَ ولد كتب لك بعدد أنفاسه وأنفاس ذريته حسنات**» وهذا لا أصل له، ولا رأيته في شيء من الكتب المعتمد عليها ولا غيرها.

وهكذا تستحب عند الأكل لما في صحيح مسلم أنَّ رسول الله ﷺ قال لربيبه عمر بن أبي سلمة: «**يَا غُلَامُ سَمِّ اللهَ، وَكُلْ بِيَمِينِكَ وَكُلْ مِمَّا يَلِيكَ**»[(٢)].

ومن العلماء من أوجبها والحالة هذه، وكذلك تستحب عند الجماع لما في الصحيحين، عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «**لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَأْتِيَ أَهْلَهُ، فَقَالَ بِاسْمِ اللهِ، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ، وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَإِنَّهُ إِنْ يُقَدَّرْ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ فِي ذَلِكَ لَمْ يَضُرُّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا**»[(٣)].

(١) أخرجه أبو داود برقم (١٠٢)، والترمذي برقم (٢٥)، وابن ماجه برقم (٣٩٧).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٥٣٧٦) و(٥٣٧٧، ٥٣٧٨)، ومسلم برقم (٢٠٢٢).
(٣) أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٦)، ومسلم برقم (١٤٣٤).

ومن هاهنا ينكشف لك أنَّ القولين عند النحاة في تقدير المتعلق بالباء في قولك: باسم الله، هل هو اسم أو فعل متقاربان وكل قد ورد به القرآن، أمَّا من قدره اسمًا، تقديره: باسم الله ابتدائي، فلقوله تعالى: ﴿وَقَالَ ٱرْكَبُواْ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرِىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾﴾ [هُود: ٤١] ومن قدره بالفعل أمرًا أو خبرًا نحو: ابدَأ ببسم الله أو ابتدأت ببسم الله فلقوله: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾﴾ [العَلق: ١] وكلاهما صحيح، فإنَّ الفعل لا بُدّ له من مصدر، فلك أن تقدر الفعل ومصدره، وذلك بحسب الفعل الذي سميت قبله، إن كان قيامًا أو قعودًا أو أكلًا أو شربًا أو قراءة أو وضوءًا أو صلاة، فالمشروع ذكر اسم الله في الشروع في ذلك كله، تبركًا وتيمنًا واستعانة على الإتمام والتقبل، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمَّا من قدره اسمًا لله عندكم كلكم لله؟

القارئ: أي: نعم،

الشَّيخ: هذا غلط، أمَّا من قدره اسمًا فقط دون لفظ الله؛ ولهذا يحذف لفظ الجلالة؛ لأنَّ الأنسب حذفه؛ لأنه على حسب المشروع فيه، بسم الله ابتدائي هذا يعم إذا قدرته اسمًا ابتدائي، في الصَّلاة، في الوضوء، في الأكل، في كل شيء، أمَّا إذا قدرته فعلًا، يختلف بحسب المبدوء فيه، فإن كان عند الأكل فيقدر بسم الله أكلي أو بسم الله آكل، وإن كان وضوءًا بسم الله أتوضأ، وإن كان غير ذلك فعلى حسبه.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«ولهذا روى ابن جرير وابن أبي حاتم، من حديث بشير بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس قال: إِنَّ أَوَّل مَا نَزَلَ بِهِ جِبْرِيلُ عَلَى مُحَمَّدٍ ﷺ قال: «**يا محمَّد قل: أستعيذ بالسميع العليم من الشَّيطان الرجيم**، ثم قال: **قل**: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١] **قال: قال له جبريل، قل: باسم الله يا محمَّد، يقول: اقرأ بذكر الله ربك، وقم، واقعد بذكر الله تعالى**». هذا لفظ ابن جرير»[(١)].

وأمَّا مسألة الاسم: هل هو المسمى أو غيره؟ ففيها للناس ثلاثة أقوال:

أحدها: أن الاسم هو المسمى، وهو قول أبي عبيدة وسيبويه، واختاره الباقلاني، وابن فورك، وقال فخر الدِّين الرَّازي ـ وهو محمَّد بن عمر المعروف بابن خطيب الري ـ في مقدمات تفسيره.

قالت الحشوية والكرامية والأشعرية: الاسم نفس المسمى، وغير التسمية.

وقالت المعتزلة: الاسم غير المسمى، ونفس التسمية.

والمختار عندنا: أن الاسم غير المسمى، وغير التسمية، ثم نقول: إن كان المراد بالاسم هذا اللَّفظ الذي هو أصوات مقطعة وحروف مؤلفة، فالعلم الضروري حاصل أنه غير المسمى، وإن كان المراد بالاسم ذات المسمى، فهذا يكون من باب إيضاح الواضحات، وهو عبث، فثبت أن الخوض في هذا البحث على جميع التقديرات

(١) تفسير ابن جرير(١/ ٧٨، ١١٧) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٥٦١).

يجري مجرى العبث.

ثم شرع يستدل على مغايرة الاسم للمسمى، بأنه قد يكون الاسم موجودًا، والمسمى مفقودًا كلفظة المعدوم، وبأنه قد يكون للشيء أسماء متعددة كالمترادفة وقد يكون الاسم واحدًا والمسميات متعددة كالمشترك، وذلك دال على تغاير الاسم والمسمى، وأيضًا فالاسم لفظ، وهو عرض والمسمى قد يكون ذاتًا ممكنة أو واجبة بذاتها، وأيضًا فلفظ النار والثلج لو كان هو المسمى لوجد اللافظ بذلك حر النَّار أو برد الثلج ونحو ذلك، ولا يقوله عاقل، وأيضًا فقد قال الله تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرَاف: ١٨٠].

وقال النَّبِيّ ﷺ: «إِنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمَا»[(١)] فهذه أسماء كثيرة والمسمى واحد، وهو الله تعالى، وأيضًا فقوله: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الأعرَاف: ١٨٠] أضافها إليه، كما قال: ﴿فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ٧٤﴾ [الواقِعَة: ٧٤] ونحو ذلك، والإضافة تقتضي المغايرة، وقوله: ﴿فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعرَاف: ١٨٠] أي: فادعوا الله بأسمائه، وذلك دليل على أنها غيره، واحتج من قال: الاسم هو المسمى، بقوله تعالى: ﴿تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ٧٨﴾ [الرَّحمٰن: ٧٨] والمتبارك هو الله تعالى.

والجواب: أن الاسم معظم لتعظيم الذات المقدسة، وأيضًا فإذا قال الرجل: زينب طالق، يعني: امرأته طالق، طلقت، ولو كان الاسم غير المسمى لما وقع الطلاق، والجواب: أن المراد أن الذات المسماة بهذا الاسم طالق.

---

(١) متفق عليه من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أخرجه البخاري برقم (٧٣٩٢)، ومسلم برقم (٢٦٧٧).

قال الرَّازي: وأمَّا التسمية، فإنَّها جعل الاسم معينًا لهذه الذات، فهي غير الاسم أيضًا، والله علم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا مثل ما تقدم اختلاف لا يفيد وليس تحته طائل، المعنى معروف، فالاسم إذا أريد به الألفاظ تصريفها، واشتقاقها، فهي غير المسمى، وإذا أريد بالاسم ما دلَّ عليه من المعنى، فالمراد به المسمى، إذا قيل الرحمن عربي أو عجمي، واسم ما اشتق منه، فهو لفظ له، وإذا قيل: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] الرحمن ربنا، فالمراد المسمى سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فهذا لا يحتاج إلى مزيد كلام، فالأمر واضح فالألفاظ والحروف عند البحث فيها، فالاسم غير المسمى، الرَّحمن، الرَّحيم، السميع، البصير، ولو تعددت فالمراد بها شيء واحد، هو الله سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فالمسمى بها هو الله.

فإذا قلت: هو الله ربنا، أو الرَّحمن ربنا، أو سبحان السميع البصير، أو سبحان الملك القدوس، أو سبحان الله العظيم، فالمراد بهذه الأسماء هو الله وحده سُبۡحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وإذا قيل: العظيم مشتق من العظمة، العظيم اسم عربي، المراد به اللَّفظ فقط، وهكذا زيد قائم، المراد ذاته، فإذا قيل: زيد مصروف أو غير مصروف، فالمراد به اللَّفظ، وإذا قيل: أحمد مصروف أو ليس مصروفًا، فالمراد به اللَّفظ، وإذا قيل أحمد هو نبيّنا محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فالمراد به المسمى، وإذا قيل: محمَّد مصروف أو غير مصروف، قيل: مصروف، وإذا قيل: محمَّد من هو؟ قيل: نبيّنا محمَّد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهكذا.

فإذا أريد الألفاظ وتصريفها ومادتها، فالمراد نفس الأسماء، وإذا

أريد المعنى، فالمسمى هو صاحب الاسم، فالاسم هو المسمى، وأمَّا إذا قيل: سمى كذا، ويسمى كذا، فالمراد به الحروف، والتسمية، مصدر سمى يسمي تسمية، يعني: علق هذا الاسم بفلان أو عينه به، فإذا قلت: سميت ولدي أحمد، تعنى بهذا الاسم، سميته محمَّدًا أي أطلقت عليه هذا الاسم، فليس في البحث هذا كبير شيء؛ لأنه من أوضح الواضحات.

قال المؤلف رحمه الله:

«﴿ٱللَّهِ﴾: عَلَمٌ على الرَّب تبارك وتعالى، يقال: إنه الاسم الأعظم؛ لأنه يوصف بجميع الصِّفات، كما قال تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾﴾ [الحشر: ٢٢-٢٤] فأجرى الأسماء الباقية كلها صفات له، كما قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا﴾ [الأعراف: ١٨٠] وقال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠].

وفي الصحيحين، عن أبي هريرة أنَّ رسول الله ﷺ قال: «**إنَّ لله تِسْعَةً وَتِسْعِينَ اسْمَا مِائَةً إِلَّا وَاحِدًا مَنْ أَحْصَاهَا دَخَلَ الجَنَّةَ**»(١) وجاء تعدادها في رواية الترمذي، وابن ماجه(٢) وبين الروايتين اختلاف زيادات ونقصان».

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (١٢٠).

(٢) ينظر: سنن الترمذي برقم (٣٥٠٧)، وابن ماجه برقم (٣٨٦١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

مما تقدم اتضح لنا أنَّ القول بأن الأسماء، أسماء الله غير الله أو أنها الله، كلام غير مستقيم، فلا يقال: أنها غير الله، ولا يقال: أنَّها الله، ولا يقال: الاسم هو المسمى، ولا غير المسمى، إلَّا بالتفصيل، فإذا أريد معناها، فهي الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وأنَّها أطلقت عليه، وإن أريد من حيث الاشتقاق، ومن حيث الألفاظ وكذا في اللَّفظ، من جهة الصرف وعدمه، وجهة العجمة وعدمها، فالأسماء غير المسمى، ففيه هذا التفصيل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد ذكر فخر الدِّين الرَّازي في تفسيره عن بعضهم: أنَّ لله خمسة آلاف اسم:

ألف في الكتاب والسنة الصحيحة، وألف في التوراة، وألف في الإنجيل، وألف في الزبور، وألف في اللَّوح المحفوظ».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذه دعوى لا دليل عليها، وهي دعوى بغير حُجَّة.

■ **سؤال:** **قوله في الاسم الأعظم؟**

• **الجواب:** الصواب: أنَّه ما جاء في النُّصوص تعيين الاسم الأعظم، بل كل أسماء الله يقال لها الاسم الأعظم، كلها، يقال: لها الأسماء العظيمة، والأسماء الحسنى، معنى الاسم الأعظم، بمعنى العظيم، ولهذا أطلقه النَّبِيّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أشياء كثيرة، الاسم الأعظم، يعني: اسمه العظيم، الذي إذا دعي به أجاب، الـ«**أفعل**» هنا بمعنى الزعيم، بمعنى العظيم؛ ولهذا أطلق على أسماء كثيرة.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وهو اسم لم يُسمَّ به غيره تبارك وتعالى؛ ولهذا لا يعرف في كلام العرب له اشتقاق من فَعَلَ يَفْعُلُ، فذهب من ذهب من النحاة إلى أنه اسم جامد لا اشتقاق له، وقد نقله القرطبي عن جماعة من العلماء منهم الشافعي والخطابي وإمام الحرمين والغزالي وغيرهم، وروي عن الخليل وسيبويه أن الألف واللام فيه لازمة. قال الخطابي: ألا ترى أنك تقول: يا الله، ولا تقول: يا الرحمن، فلولا أنه من أصل الكلمة لما جاز إدخال حرف النداء على الألف واللام. وقيل: إنه مشتق، واستدلوا عليه بقول رؤْبَة بن العَجّاج:

لله در الغانيات المُدَّهِ سبحن واسترجعن من تألهي

فقد صرح الشاعر بلفظ المصدر، وهو التأله، من أله يأله إلاهة، وتألهًا، كما روي عن ابن عباس أنه قرأ: «**ويذرك وَإلاهَتَك**» قال: عبادتك، أي: أنه كان يُعْبَد ولا يَعْبُد، وكذا قال مجاهد وغيره.

وقد استدل بعضهم على كونه مشتقًا بقوله: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَفِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنعام: ٣] أي: كما قال: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي فِي ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِي ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]، ونقل سيبويه عن الخليل: أن أصله: إلاه، مثل فعال، فأدخلت الألف واللام بدلًا من الهمزة، قال سيبويه: مثل الناس، أصله: أُنَاسٌ، وقيل: أصل الكلمة: لاه، فدخلت الألف واللام للتعظيم، وهذا اختيار سيبويه، قال الشاعر:

لاه ابن عمك لا أفضلت في حسب عني ولا أنت دياني فتخزوني

قال القرطبي: بالخاء المعجمة، أي: فتسوسني، وقال الكسائي والفراء: أصله: الْإِلٰهِ حذفوا الهمزة وأدغموا اللام الأولى في الثانية، كما قال: ﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّي﴾ [الكهف: ٣٨] أي: لكن أنا، وقد قرأها

كذلك الحسن، قال القرطبي: ثم قيل: هو مشتق من وَلِهَ: إذا تحير، والوله ذهاب العقل، يقال: رجل واله، وامرأة ولهى، وماءٌ مولوه، إذا أرسل في الصحراء، فالله تعالى تتحَيِّر أولو الألباب والفكر في حقائق صفاته، فعلى هذا يكون أصله: وِلَاهٌ، فأبدلت الواو همزة، كما قالوا في وشاح: أشاح، ووسادة: إسادة.

وقال فخر الدين الرازي: وقيل: إنه مشتق من ألهت إلى فلان، أي: سكنت إليه، فالعقول لا تسكن إلا إلى ذكره، والأرواح لا تفرح إلا بمعرفته؛ لأنه الكامل على الإطلاق دون غيره، قال الله تعالى: ﴿أَلَا بِذِكْرِ ٱللَّهِ تَطْمَئِنُّ ٱلْقُلُوبُ ۝٢٨﴾ [الرّعد: ٢٨] قال: وقيل: من لاه يلوه: إذا احتجب.

وقيل: اشتقاقه من أله الفصيل، وُلع بأمه، والمعنى: أن العباد مألوهون مولعون بالتضرع إليه في كل الأحوال، قال: وقيل: مشتق من أله الرجل يأله: إذا فزع من أمر نزل به فآلهه، أي: أجاره، فالمجير لجميع الخلائق من كل المضار هو الله سبحانه؛ لقوله تعالى: ﴿وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيْهِ﴾ [المؤمنون: ٨٨] وهو المنعم لقوله: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ﴾ [النّحل: ٥٣] وهو المطعم لقوله: ﴿وَهُوَ يُطْعِمُ وَلَا يُطْعَمُ﴾ [الأنعَام: ١٤].

وهو الموجد لقوله: ﴿قُلْ كُلٌّ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ﴾ [النِّسَاء: ٧٨].

وقد اختار فخر الدِّين أنه اسم غير مشتق البتة، قال: وهو قول الخليل وسيبويه وأكثر الأصوليين والفقهاء، ثم أخذ يستدل على ذلك بوجوه:

منها: أنه لو كان مشتقًا لاشترك في معناه كثيرون، ومنها: أن بقية الأسماء تذكر صفات له، فتقول: الله الرَّحمن الرَّحيم الملك القدوس،

فدل أنه ليس بمشتق، قال: فأما قوله تعالى: ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ ۝١ ٱللَّهِ﴾ [إبراهيم: ١-٢] على قراءة الجر فجعل ذلك من باب عطف البيان، ومنها قوله تعالى: ﴿هَلۡ تَعۡلَمُ لَهُۥ سَمِيّٗا ۝٦٥﴾ [مريم: ٦٥]، وفي الاستدلال بهذا على كون هذا الاسم جامدًا غير مشتق نظر، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب: أنه مشتق، وأنه هنا من التأله والتعبد، وأن أصله الإله، بمعنى المعبود، فِعَال: بمعنى مفعول، ككتاب بمعنى مكتوب، بساط بمعنى مبسوط، وأن إجراءه بمعنى المألوه الذي تألهه القلوب، تضرع إليه وتحبه، وتشتاق إليه، وتعتمد عليه، حبًّا وتعظيمًا، شوقًا إليه، وخشوعًا، وطلبًا لمرضاته، وهذا هو الذي فصله الأئمة المحققون كأبي العباس ابن تيمية وابن لقيم في البدائع وغيرهم.

والمعنى واضح في ذلك، وتقدم قراءة ابن عباس وغيره «وَهُوَ إِلَهَكُم» وهو من تأله فهو إله، فِعَال بمعنى المألوه سمى نفسه بهذا لأنه المستحقّ للعبادة جلَّ وعلا، فالعباد يألهونه، يعبدونه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويضّرعون إليه، ويسألونه حاجاتهم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وحكى فخر الدِّين عن بعضهم: أنه ذهب إلى أن اسم الله تعالى عبراني لا عربي، ثم ضعفه، وهو حقيق بالتضعيف كما قال، وقد حكى فخر الدِّين هذا القول، ثم قال: واعلم أنَّ الخلائق قسمان: واصلون إلى ساحل بحر المعرفة، ومحرومون قد بقوا في ظلمات الحيرة وَتِيهِ الجهالة؛ فكأنهم قد فقدوا عقولهم وأرواحهم، وأمَّا الواجدون فقد

وصلوا إلى عرصة النور وفسحة الكبرياء والجلال، فتاهوا في ميادين الصَّمدية، وبادوا في عرصة الفردانية، فثبت أن الخلائق كلهم والهون في معرفته.

وروي عن الخليل بن أحمد أنه قال: لأن الخلق يألهون إليه بفتح اللام وكسرها لغتان، وقيل: إنه مشتق من الارتفاع، فكانت العرب تقول لكل شيء مرتفع: لاها، وكانوا يقولون إذا طلعت الشمس: لاهت. وقيل إنه مشتق من إله الرجل إذا تعبد وتأله إذا تنسك، قرأ ابن عباس «**ويذرك وإلاهتك**».

وأصل ذلك الإله، فحذفت الهمزة التي هي فاء الكلمة، فالتقت اللام التي هي عينها مع اللام الزائدة في أوّلها للتعريف فأدغمت إحداهما في الأخرى، فصارتا في اللفظ لامًا واحدة مشددة، وفخمت تعظيمًا، فقيل: الله».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

■ **سؤال: ما هو أصح شيء في أسماء الله وصفاته؟**

• **الجواب:** ما جاء في الكتاب والسنة «**الصحيحة**» هو أصح شيء.

■ **سؤال: هل أسماء الله هي محصورة في التسعة والتسعين؟**

• **الجواب:** لا، هذا منها، وليست هي كلها، وهي ليست محصورة إلَّا بدليل.

■ **سؤال: الرَّازي في تقسم الناس إلى قسمين: الواصلون، والتائهون في الفرد؟**

• **الجواب:** هذا مما دخل عليه من التصوف.

□ **السائل: أليس هذا من القول بالوحدة؟**

• **الجواب:** لا... لكن هذا يعني لسعة العلم، وعدم استطاعتهم كمال العلم يحصل بهذا المعنى.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

قوله: «﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١] اسمان مشتقان من الرحمة على وجه المبالغة، ورحمن أشد مبالغة من رحيم، وفي كلام ابن جرير ما يُفْهِم منه حكاية الاتفاق على هذا، وفي تفسير بعض السَّلف ما يدل على ذلك، كما تقدم في الأثر، عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أنه قال: «**الرَّحمنُ: رَحمنُ الدُّنيَا وَالآخرةِ، وَالرَّحِيم: رَحِيمُ الآخرةِ**»[(١)].

وزعم بعضهم أنَّه غير مشتق إذْ لو كان كذلك لا تصل بذكر المرحوم، وقد قال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزَاب: ٤٣] وحكى ابن الأنباري في الزاهر عن المبرد: أنَّ الرَّحمن: اسم عبراني ليس بعربي، وقال أبو إسحاق الزجاج في معاني القرآن: وقال أحمد بن يحيى: الرَّحيم عربي، والرَّحمن عبراني، فلهذا جمع بينهما، قال أبو إسحاق: «**وهذا القول مرغوب عنه**».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

والصواب: كما تقدم، مثل ما قال أبو إسحاق: كلاهما اسم عربي مشتق، الرَّحمن، الرَّحيم كلاهما اسمان عربيان نطق بهما العرب، وهما مشتقان بلا ريب، والرحمن أوسع من الرَّحيم، والأثر المروي عن

---

(١) أخرجه ابن جرير (١/ ٤١) وابن عدي في الكامل (١/ ٢٩٩) وابن الجوزي في الموضوعات (١/ ٢٠٣، ٢٠٤).

عيسى لا صحة له، الرَّحمن الرَّحيم، كلاهما في الدُّنيا، والآخرة، هو الرَّحمن في الدُّنيا والآخرة، ورحيم في الدُّنيا والآخرة ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزَاب: ٤٣] في دنياهم وفي أخراهم ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ [التّوبَة: ١١٧]، لما ذكر التوبة قال: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ [التّوبَة: ١١٧].

فالرَّحمن صيغة مبالغة، فِعْلان، لكثرة رحمته سبحانه وتعالى، وسعتها ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ﴾ [الأعرَاف: ١٥٦] وهو واسع المغفرة، عظيم الرحمة، واسع الرَّحمة، والرَّحيم أخص بالمرحومين؛ ولهذا قال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١٤٣﴾ [البَقَرَة: ١٤٣] وقال: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ٤٣﴾ [الأحزَاب: ٤٣] ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ١١٧﴾ [التّوبَة: ١١٧] فهو متعلق بالمرحومين، والرَّحمن وصف عام، وصف لله قائم به عام، يعم كل شيء.

القارئ: عندنا مكتوب، قال أحمد بن يحي: الرَّحيم عربي والرَّحمن عبراني؟

الشيخ: لا... الرَّحمن عبراني على ما عندك.. ماذا عندك، فأعاد قال أحمد بن يحي: الرَّحيم عربي والرَّحمن عبراني، فالرَّحيم عربي والرحمن عبراني .. فلهذا جمع بينهما.

الشيخ: على هذا اصلح الذي عندك.

القارئ: قال أبو إسحاق: «**وهذا القول مرغوب عنه**».

الشيخ: أبو إسحاق الزجاج.. يعني: أن القول بأن الرَّحمن عبراني والرَّحيم عربي قول مرغوب عنه، يعني ليس بشيء.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال القرطبي: والدليل على أنه مشتق ما خرجه الترمذي وصححه عن عبدالرَّحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: أَنَا الرَّحْمَنُ خَلَقْتُ الرَّحِمَ وَشَقَقْتُ لَهَا مِنَ اسْمًا مِن اسْمِي، فَمَنْ وَصَلَهَا وَصَلْتُهُ وَمَنْ قَطَعَهَا قَطَعْتُهُ**»(١) قال: وهذا نص في الاشتقاق فلا معنى للمخالفة والشقاق.

قال: وإنكار العرب لاسم الرَّحمن لجهلهم بالله وبما وجب له، قال القرطبي قيل: هما بمعنى واحد كندمان ونديم قاله أبو عبيد، وقيل: ليس بناء فعلان كفعيل، فإن فعلان لا يقع إلَّا على مبالغة الفعل نحو قولك: رجل غضبان للرجل الممتلئ غضبًا، وفعيل قد يكون بمعنى الفاعل والمفعول، قال أبو علي الفارسي: الرحمن: اسم عام في جميع أنواع الرَّحمة يختص به الله تعالى، والرَّحيم إنَّما هو من جهة المؤمنين، قال الله تعالى: ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣].

وقال ابن عباس: هما اسمان رقيقان، أحدهما أرق من الآخر، أي: أكثر رحمة، ثم حكي عن الخطابي وغيره: أنهم استشكلوا هذه الصِّفة، وقالوا: لعله أرفق كما جاء في الحديث: «**إِنَّ اللهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرِّفْقَ فِي الأَمْرِ كُلِّهِ**» وإنه «**يُعْطِي عَلَى الرِّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى العُنْفِ...**»(٢).

وقال ابن المبارك: الرَّحمن إذا سئل أعطى، والرَّحيم إذا لم يسأل يغضب، وهذا كما جاء في الحديث الذي رواه الترمذي، وابن ماجه من حديث أبي صالح الفارسي الخوزي

---

(١) أخرجه الترمذي برقم (١٩٠٧).

(٢) أخرجه مسلم من حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا برقم (٢٥٩٣).

عن أبي هريرة رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْهِ»[(١)].

وقال بعض الشعراء:

الله يغضب إن تركت سؤاله وبنيُ آدم حين يسأل يغضب».

قال المعلق رحمه الله:

بالرفع: وبُنيُ آدم ... الله أكبر، ثم طلب النظر في التقريب ترجمة أبو صالح الفارسي كذا الفارسي الخوزي؟.

القارئ: نعم. وأبو صالح الخوزي: هو أبو صالح الخوزي، لين الحديث من الثالثة، أخرج له البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وابن ماجه[(٢)].

الشيخ: بالزاي الحوزي.. أو بالذال الجوذي، وإن كانت الذال والزاي متقاربتان، يضل فيها كثير من الناس.

القارئ: أبو صالح الفارسي الخوزي...

الشيخ: أبو صالح وماذا؟ ما سماه؟

القارئ: ما سماه!!

الشيخ: يراجع في التهذيب، والميزان ...

القارئ: الشَّيخ مقبل علق على الحديث، يقول: حديث «مَنْ لَمْ يَسْأَلِ الله يَغْضَبْ عَلَيْه» رواه أحمد[(٣)] وفيه صالح الخوزي لين الحديث،

(١) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٧٣)، وابن ماجه برقم (٣٨٢٧).
(٢) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٦٤٩، ترجمة رقم ٨١٧٢).
(٣) أخرجه الإمام أحمد المسند (٢/ ٤٤٢، برقم ٩٦٩٩).

كما في التقريب[(١)].

الشيخ: ما هو صالح، أبو صالح، سقطة منه أبو، ويحتمل أن يكون صالح يراجع، التقريب أورده في الكنى عندك؟ في الكنى أبو. سقطة عنده، وزالت، النكارة عنه[(٢)].

قال المؤلف رحمه الله:

«قال ابن جرير: حدثنا السري بن يحيى التميمي، حدثنا عثمان بن زُفَر، سمعت العَرْزَميِّ...»[(٣)].

قال المعلق رحمه الله:

العرزمي.. الراء قبل الزاي، المهملة قبل المعجمة، القارئ: نعم العرزمي الراء قبل الزاي.

قال المؤلف رحمه الله:

«قال ابن جرير: حدثنا السري بن يحيى التميمي، حدثنا عثمان بن زُفَر، سمعت العَرْزَميِّ يقول: الرَّحمن الرَّحيم، قال: الرَّحمن لجميع الخلق، الرَّحيم، قال: بالمؤمنين. قالوا: ولهذا قال: ﴿ثُمَّ ٱسۡتَوَىٰ عَلَى ٱلۡعَرۡشِۚ ٱلرَّحۡمَٰنُ﴾ [الفرقان: ٥٩] وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ عَلَى ٱلۡعَرۡشِ ٱسۡتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥]، فذكر الاستواء باسمه الرَّحمن ليعم جميع خلقه برحمته، وقال:

(١) ينظر: تعليق الشيخ مقبل في تفسير القرآن العظيم للحافظ ابن كثير (١/ ٤٥، حاشية ٤٩).

(٢) أبو صالح الخوزي لين الحديث من الثالثة، أخرج له البخاري في الأدب، والترمذي وابن ماجه ينظر: التقريب (ص٦٤٩، ترجمة رقم ٨١٧٢).

(٣) في نسخة القارئ: [العزرمي] فصوبه سماحته [العرزمي] وهو كما قال سماحته في نسخة دار طيبة المحقق (١/ ١٢٦ سطرا).

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾ [الأحزاب: ٤٣] فخصهم باسمه الرَّحيم، قالوا: فدلَّ على أنَّ الرَّحمن أشد مبالغة في الرَّحمة لعمومها في الدارين لجميع خلقه، والرَّحيم خاصة بالمؤمنين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

لكن يُعكِّر على هذا قوله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ [البقرة: ١٤٣] فعمَّم، فهو رحيم بالمؤمنين، ورحيم بالنَّاس أيضًا، ولكن وصف الرَّحمن أوسع؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧﴾ [التوبة: ١١٧] أي: بالمؤمنين ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا ۝٤٣﴾، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١٤٣﴾ فهو ذو رحمة متعلقة بالمخلوقين، وذو رحمة واسعة للمخلوقين، من بني آدم، ومن غير بني آدم، من الجن والبهائم، وغير ذلك.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«لكن جاء في الدُّعاء المأثور: «**رَحْمَنَ الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ وَرَحِيمَهُمَا**»(١).

واسمه تعالى الرَّحمن خاص به لم يُسم به غيره كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسراء: ١١٠] وقال تعالى: ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ۝٤٥﴾ [الزخرف: ٤٥] ولما تجهرم مسيلمة الكذاب، وتسمى

---

(١) أخرجه الحاكم من حديث أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في المستدرك برقم (١٨٩٨) وقال: هذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبدالله الأيلي، وتعقبه الذهبي: الحكم ليس بثقة (١/ ٦٩٦) ومثله قال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/ ٢١٨ برقم ١٧٤٤٤) رواه البزار وفيه الحكم بن عبدالله الأيلي وهو متروك. وهو في مسند البزار (١/ ١٣١ برقم ٦٢) كما أخرجه الطبراني في المعجم الكبير من حديث معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ (٢٠/ ١٥٤ برقم ٣٢٣).

برحمن اليمامة كساه الله جلباب الكذب وشهر به، فلا يقال إلَّا مسيلمة الكذاب، فصار يُضرب به المثل في الكذب بين أهل الحضر من أهل المدر، وأهل الوبر من أهل البادية والأعراب».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

على سؤال: ما معنى قوله: «ولما تجهرم مسيلمة» يقول أحد الطلاب: لعلها يا شيخ ترحمن.

طالب آخر يقول: الشيخ محمَّد رشيد رضا، قال: لم نجد هذا الفعل في معاجم اللُّغة المعروفة، فلعله محرف؟.

قال سماحته المقصود: معناه معلوم من السياق، يعني: لما تجازف، وأسرف على نفسه بهذا الاسم، لما تعد الحدود؛ لكن بالنسبة لـ«**تجهرم**» يحتاج إلى مراجعة كتب اللُّغة، قد تكون مصحفة[(١)].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد زعم بعضهم: أن الرَّحيم أشدّ مبالغة من الرَّحمن؛ لأنَّه أكد به، والمؤكِّد لا يكون إلَّا أقوى من المؤكَّد، والجواب: أن هذا ليس من باب التوكيد، وإنَّما هو من باب النعت، ولا يلزم فيه ما ذكروه، وعلى هذا فيكون تقدير اسم الله الذي لم يسم به أحد غيره، ووصفه أولا بالرَّحمن الذي منع من التسمية به لغيره، كما قال تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدۡعُواْ ٱلرَّحۡمَٰنَۖ أَيّٗا مَّا تَدۡعُواْ فَلَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ﴾ [الإسراء: ١١٠] وإنَّما تجهرم مسيلمة اليمامة في التسمي به، ولم يتابعه على ذلك إلَّا من كان معه في الضلالة.

---

(١) وقد بحثت عنها في المعاجم اللغوية المتاحة بين يدي، فلم أجد لهذا أصلًا، كما قال الشيخ محمَّد أحمد شاكر فلعلها محرفة، أو مصحفة كما قال سماحته رَحِمَهُ اللَّهُ.

وأمَّا الرَّحيم، فإنه تعالى وصف به غيره حيث قال: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢٨﴾﴾ [التّوبَة: ١٢٨]، كما وصف غيره بذلك من أسمائه كما في قوله: ﴿إِنَّا خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن نُّطْفَةٍ أَمْشَاجٍ نَّبْتَلِيهِ فَجَعَلْنَٰهُ سَمِيعًۢا بَصِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الإنسَان: ٢].

والحاصل: أن من أسمائه تعالى ما يسمى به غيره، ومنها ما لا يسمى به غيره، كاسم الله والرَّحمن والخالق والرزاق ونحو ذلك، فلهذا بدأ باسم الله، ووصفه بالرَّحمن؛ لأنَّه أخص وأعرف من الرَّحيم؛ لأنَّ التَّسمية أولًا إنَّما تكون بأشرف الأسماء، فلهذا ابتدأ بالأخص فالأخص.

فإن قيل: فإذا كان الرَّحمن أشد مبالغة، فهلا اكتفى به عن الرَّحيم؟ فقد روي عن عطاء الخراساني ما معناه: أنه لما تسمى غيره تعالى بالرَّحمن، جيء بلفظ الرَّحيم ليقطع التوهم بذلك، فإنه لا يوصف بالرَّحمن الرَّحيم إلَّا الله تعالى، كذا رواه ابن جرير عن عطاء، ووجهه بذلك، والله أعلم.

وقد زعم بعضهم: أن العرب لا تعرف الرَّحمن، حتى ردّ الله عليهم ذلك بقوله: ﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُواْ ٱلرَّحْمَٰنَ أَيًّا مَّا تَدْعُواْ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الإسرَاء: ١١٠] ولهذا قال كفار قريش يوم الحديبية لما قال رسول الله ﷺ لعلي: «**اكتب** ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ فقالوا: «**لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ، وَلَا الرَّحِيمَ**»(١) رواه البخاري، وفي بعض الروايات: «**لَا نَعْرِفُ الرَّحْمَنَ إِلَّا رَحْمَنُ الْيَمَامَة**» وقال تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ

(١) أخرجه برقم (٢٧٣١، ٢٧٣٢) بلفظ: «**قَالَ سُهَيْلٌ: أَمَّا الرَّحْمَنُ فَوَاللهِ مَا أَدْرِي مَا هُوَ؛ وَلَكِنِ اكْتُبْ بِاسْمِكَ اللَّهُمَّ، كَمَا كُنْتَ تَكْتُبُ**» من حديث عروة بن الزبير، والمسور بن مخرمة.

ٱسۡجُدُواْ لِلرَّحۡمَٰنِ قَالُواْ وَمَا ٱلرَّحۡمَٰنُ أَنَسۡجُدُ لِمَا تَأۡمُرُنَا وَزَادَهُمۡ نُفُورٗا ﴿٦٠﴾ [الفُرقان: ٦٠].

والظاهر: أن إنكارهم هذا إنَّما هو جُحود وعناد وتعنت في كفرهم، فإنه قد وجد في أشعارهم في الجاهلية تسمية الله تعالى بالرَّحمن، قال ابن جرير: وقد أنشد لبعض الجاهلية الجُهَّال.

ألا ضَرَبَتْ تلك الفتاةُ هَجِينَها   ألا قَضَبَ الرحمنُ رَبي يمينها

وقال سلامة بن جندب الطهوي:

عَجِلتم علينا إذ عَجلْنَا عليكُمُ   وما يَشَأ الرّحْمَن يَعْقِد ويُطْلِق».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قَضَبَ: يعني: قطع، ثم يسأل الشيخ: جندي الطهوي، فيقول القارئ: سلامة بن جندب الطهوي، فيقول الشيخ: إيه نعم. ثم يطلب أعد البيت... ويصحح قراءة القارئ: عَجِلتم علينا إذ عَجْلَنَا عليكُمُ، كما يصحح: يَعْقِد ويُطْلِق.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقال ابن جرير**: حدثنا أبو كُرَيْب، حدثنا عثمان بن سعيد، حدثنا بشر بن عمارة، حدثنا أبو روق، عن الضحاك، عن عبدالله بن عباس، قال: الرَّحمن: الفعلان من الرَّحمة، وهو من كلام العرب، وقال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾﴾ [الفَاتِحَة: ١] الرقيق الرفيق بمن أحب أن يرحمه، والبعيد الشديد على من أحب أن يعنف عليه، وكذلك أسماؤه كلها، **وقال ابن جرير أيضًا**: حدثنا محمَّد بن بشار، حدثنا حماد بن مسعدة، عن عوف، عن الحسن قال: «الرَّحمن: اسم ممنوع»[(١)].

(١) تفسير ابن جرير الطبري (١/ ١٣٤).

وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان، حدثنا زيد بن الحباب، حدثني أبو الأشهب، عن الحسن، قال: «الرحمن: اسم لا يستطيع الناس أن ينتحلوه، تسمى به تبارك وتعالى»(١).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وقال: من...؟ القارئ: وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان...

الشيخ: لا، غلط. ابن أبي حاتم ما أدرك يحيى بن سعيد.. لعله عن محمَّد بن يحيى.. أبو سعيد محمَّد بن يحيى؟ أو ابن يحيى؟

القارئ: عندنا يحيى بن سعيد.

الشيخ: لا... غلط ابن أبي حاتم ما أدرك يحيى بن سعيد.

طالب آخر يقول: عندنا في الحاشية: وقال ابن أبي حاتم حدثنا أبو سعيد يحيى بن سعيد القطان.

قال الشيخ: بالسند سقط، فابن أبي حاتم روى عن أبيه، عن محمَّد بن بشار، عن القطان، فليراجع تفسير ابن أبي حاتم؟

القارئ: يعيد ما قرأ...

الشيخ: لا.. السند فيه سقط... لكن قد يكون أبو سعيد محمَّد؛ لأن يحيى بن سعيد أبوه محمَّد، قد يكون أدرك ابن أبي حاتم... ينظر: ترجمة محمَّد بن يحيى بن سعيد القطان؟ ومحمَّد بن يحيى بن سعيد؟.

القارئ: محمَّد بن يحيى بن سعيد القطان، أبو صالح البصري،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣، ٣٩).

وَلَدُ العالم الشهير، وأمَّا هو فثقة، من العاشرة، مات سنة ثلاث وثلاثين على الصحيح، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم في المقدمة، وأبو داود في المسائل[(١)].

الشيخ: ما ذكر وفاته؟

القارئ: ما ذكر.

الشَّيخ: عَلم عليه خت؟ القارئ: خت ولام[(٢)].

قال الشيخ: هذا غيره كناه بأبي صالح هذا مثل ما قال يوجد سقط في السند، في رواية أبي حاتم عن محمَّد بن بشار عن... ففي السند سقط إمَّا هذا، وإمَّا غيره؛ لأن يحيى بن سعيد من شيوخ أحمد والمشائخ البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي، و النَّسائي، وابن ماجه، ما أدرك ابن أبي حاتم، ولا أبوه.

قال المؤلف رحمه الله:

«وقد جاء في حديث أُمِّ سَلَمَةَ أنَّ رَسُولَ الله ﷺ كَانَ يُقَطِّعُ قِرَاءَته حَرْفًا، حَرْفًا ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفاتحة: ١-٤][(٣)] فقرأ بعضهم كذلك وهم طائفة، ومنهم من وصلها بقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥١٢، برقم ٦٣٨٤)، وأما أبوه: يحيى بن سعيد بن قيس الأنصاري، أبو سعيد القاضي، ثقة ثبت من الخامسة مات سنة أربع وأربعين ومائة أو بعدها، روى له الجماعة، ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٩١، برقم ٧٥٥٩).

(٢) خت: يعني أخرج له البخاري تعليقاً، ولام: يعني أبو داود في المسائل: ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ٤٨، ٥١٢ برقم ٦٣٨٤).

(٣) أخرجه الإمام أحمد في المسند (٦/ ٣٠٠، برقم ٢٦٦٠٦) وأبو داود برقم (١٤٦٦).

رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] وكسرت الميم لالتقاء الساكنين، وهم الجمهور.

وحكى الكسائي عن بعض العرب أنها تقرأ بفتح الميم وصلة الهمزة فيقولون: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿١﴾ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفَاتِحَة: ١-٢] فنقلوا حركة الهمزة إلى الميم بعد تسكينها، كما قرئ قوله تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ [آل عِمرَان: ١-٢] قال ابن عطية: ولم ترد هذه قراءة عن أحد فيما علمت.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٢] القراء السبعة على ضم الدال من قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ وهو مبتدأ وخبر.

وروي عن سفيان بن عيينة، ورؤبة بن العجاج أنهما قالا «الحمدَ لله» بالنصب وهو على إضمار فعل، وقرأ ابن أبي عبلة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] بضم الدال واللام إتباعًا للثاني الأول، وله شواهد لكنه شاذ، وعن الحسن وزيد بن علي: «الحمدِ لله» بكسر الدال اتباعًا للأول الثاني».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: بسمَ الله.. بالنقل.. نقل الفتحة التي على اللام ـ إلى الميم ـ بسمَ الله، أي نعم؛ لكن هذا شيء شاذ، أقول هذه ـ قراءة ـ شاذة. بسمَ، أي لكن هذا واضح.

والقراءة التي قرأ بها القراء السبعة، وهي الموافقة «الماشية» على قواعد العربية، وهي: الضم وكسر اللام؛ لأن لام الجر مكسورة، مع الاسم الظاهر، هذه لغة العرب المعروفة، والدال بالضم؛ لأنه مبتدأ؛ ولأن المعنى أن الله سبحانه أمرنا أن نقول: الحمد لله، فالمعنى فيه:

قولوا، فالمؤمنون يقولون: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] مبتدأ وخبر، هذه هي القراءة المعروفة التي عليها القراء السبعة، وهي الموافقة للقواعد العربية.

أمَّا من ضم اللام مع الدال، أو كسر الدال مع اللام اتباعًا، وفتح الدال على أنه مفعول به على تقدير اقرؤوا الحمد لله، كلها قراءات، وإن كان لبعضها أصل في لغة العرب؛ لكنها غير متوجهة هنا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«**قال أبو جعفر بن جرير**: معنى ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ [الفَاتِحَة: ٢] الشكر لله خالصًا دون سائر ما يعبد من دونه، ودون كل ما برأ من خلقه، بما أنعم على عباده من النعم التي لا يحصيها العدد، ولا يحيط بعددها غيره أحد، في تصحيح الآلات لطاعته، وتمكين جوارح أجسام المكلفين لأداء فرائضه، مع ما بسط لهم في دنياهم من الرزق، وغذَّاهم من نعيم العيش، من غير استحقاق منهم ذلك عليه، ومع ما نبههم عليه ودعاهم إليه، من الأسباب المؤدية إلى دوام الخلود في دار المقام في النعيم المقيم، فلربنا الحمد على ذلك كله أولًا وآخرًا.

قال ابن جرير: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ ثناء أثنى به على نفسه وفي ضمنه أمر عباده أن يثنوا عليه فكأنه قال: قولوا: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ قال: وقد قيل: إن قول القائل: الحمد لله، «ثناء عليه بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى، وقوله: «**الشُّكر لله ثناء عليه بنعمه وأياديه**»[(١)].

ثم شرع في ردِّ ذلك بما حاصله أن جميع أهل المعرفة بلسان

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٣٧).

العرب يوقعون كلًّا من الحمد والشكر مكان الآخر.

وقد نقل السلمي هذا المذهب أنهما سواء عن جعفر الصَّادق، وابن عطاء من الصوفية، وقال ابن عباس: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلمة كل شاكر، وقد استدل القرطبي لابن جرير بصحة قول القائل: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ شكرًا.

وهذا الذي ادعاه ابن جرير فيه نظر؛ لأنه اشتهر عند كثير من العلماء من المتأخرين: أن الحمد هو الثناء بالقول على المحمود بصفاته اللازمة والمتعدية، والشكر لا يكون إلَّا على المتعدية، ويكون بالجنان واللسان والأركان، كما قال الشاعر:

أفادتكم النعماء مني ثلاثةً   يدي ولساني والضمير المحجبا

ولكنهم اختلفوا: أيهما أعم، الحمد أو الشكر؟ على قولين، والتحقيق: أن بينهما عمومًا وخصوصًا، فالحمد أعم من الشُّكر من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون على الصفات اللَّازمة والمتعدية، تقول: حَمدته لفروسيته وحمدته لكرمه، وهو أخص لأنه لا يكون إلَّا بالقول، والشكر أعم من حيث ما يقعان عليه؛ لأنه يكون بالقول والفعل والنية، كما تقدم، وهو أخص؛ لأنه لا يكون إلَّا على الصفات المتعدية، لا يقال: شكرته لفروسيته، وتقول: شكرته على كرمه وإحسانه إليّ. هذا حاصل ما حرره بعض المتأخرين، والله أعلم.

وقال أبو نصر إسماعيل بن حَمَّاد الجوهري: الحمد نقيض الذم، تقول: حَمِدت الرجل أحمده حمدًا ومحمدةً، فهو حميد ومحمود، والتحميد أبلغ من الحمد، والحمد أعم من الشكر، وقال في الشكر: هو الثناء على المحسن بما أولاه من المعروف، يقال: شكرته،

وشكرت له، وباللام أفصح، وأمَّا المدح فهو أعم من الحمد؛ لأنه يكون للحي وللميت وللجماد أيضًا كما يمدح الطعام والمال ونحو ذلك، ويكون قبل الإحسان وبعده، وعلى الصِّفات المتعدية واللَّازمة أيضًا فهو أعم.

❊ ❊ ❊

ذكر أقوال السلف في الحمد

قال ابن أبي حاتم: حدثنا أبو معمر القطيعي، حدثنا حفص، عن حجاج، عن ابن أبي مُلَيْكة، عن ابن عباس ﭭ، قال: قال عمر ﭬ: قد عَلِمْنا سبحان الله، ولا إله إلا الله، فما الحمد لله؟ فقال علي: كلمة رضيها الله لنفسه(١).

ورواه غير أبي مَعْمَر، عن حفص، فقال: قال عمر لعلي، وأصحابه عنده: لا إله إلا الله، وسبحان الله، والله أكبر، قد عرفناها، فما الحمد لله؟ قال علي: كلمة أحبها الله لنفسه، ورضيها لنفسه، وأحبّ أن تقال»(٢).

قال المعلق ﷀ:

□ **سائل يقول:** قوله: عن عمر ﭬ عدم معرفته معنى الحمد لله، هل هذا صحيح؟

• **الجواب:** هذا الأثر يحتاج إلى النظر في سنده، يحتاج إلى النظر في حفص من هو؟ إذا كان حفص بن أبي داود ضعيف(٣) ما علق عليه عندك شيء؟ القارئ: علق عليه.

الشيخ: نعم هات.

أبو معمر القطيعي إسماعيل بن إبراهيم من رجال الشيخين، وحفص: هو ابن غياث، وحجاج: هو ابن أرطأة كلاهما ضعيف،

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٤).

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٥).

(٣) قال الحافظ ابن حجر: حفص بن أبي داود سليمان الأسدي القارئ: متروك الحديث (ص١٧٢برقم ١٤٠٥).

ومدلس[(١)].

الشيخ: إذا كان الحجاج بن أرطأة هو ضعيف، وحفص فيه نظر هل هو ابن غياث أو غيره؟ محل نظر، وإن كان حسنه أبو داود فضعيف أيضًا، وإن كان حفص هذا هو ابن غياث، وأن إسماعيل سمعه، فيكون علته الحجاج.

ويستبعد أن يقول عمر: ما معنى الحمد؟! الحمد معروف عند العرب، لا إشكال فيه، وهو الثناء على المحمود، وإظهار فضله؛ ولهذا تجد القرآن الكريم كرر فيه الحمد، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفاتحة: ٢] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ [الأنعام: ١] ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] في مواضع كثيرة.

وقيل: الحمد لله رب العالمين عند انتهاء الأمر، يعني: الثناء له سبحانه على كل شيء، وكونه جاء بلفظ الحمد ولم يأت بلفظ: الشُّكر يؤيد ما قاله ابن جرير: أنَّ المعنى واحد، الحمد لله، والشُّكر لله، كله ثناء، وإن كان يستعمل الشُّكر في مقابل النِّعم، فالحمد كذلك، فهو يستعمل في مقابل النِّعم، وفي مقابل الصفات الجميلة، والأعمال العظيمة.

المقصود: أن كلام ابن جرير في هذا عظيم، وهو يحكي عن أهل اللُّغة، والكلام في اللُّغة، لا في اصطلاح النَّاس، واصطلاح النَّاس كون الشُّكر في مقابل النِّعم، والحمد في مقابل النِّعم وغيرها، اصطلاح ما يعارض اللُّغة، اصطلاحات النَّاس لهم، فقول ابن جرير في هذا

(١) ينظر: تعليق الشيخ مقبل في تفسير الحافظ ابن كثير (١/ ٤٩، حاشية ٥٤) وينظر: أيضاً تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر: لترجمة أبي معمر (ص١٠٥ برقم ٤١٥) وحفص بن غياث (١٧٣ برقم١٤٣٠) وحجاج بن أرطأة (ص١٥٢ برقم ١١١٩).

أظهر، وأن الحامد شاكر، إذا أدى حقّ النِّعم، فإذا لم يؤدِ فهو حامد لا شاكر، فالشُّكر يكون باللِّسان، ويكون بالعمل، ويكون بالقلب، والحمد يكون باللِّسان ويكون بالقلب.

والمقصود: أن الحامِدَ لله، شاكر لله، مُثني عليه ﷻ، إذا صدق في ذلك، وأتبع القول العمل، كما قال تعالى: ﴿ٱعْمَلُوٓاْ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ [سَبَإ: ١٣] وقال تعالى: ﴿فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُواْ لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ١٥٢﴾ [البَقَرَة: ١٥٢] جعل الذِّكر، أولًا «**مقدمًا**» ثم أتى بالشَّكر، فذكر الله يكون بتسبيحه وتهليله، وتحميده، وغير ذلك من أنواع الذِّكر، والشكر يكون بأداء حقِّه، مع الثناء».

■ **سؤال: هل يقال: الحمد لفلان يا شيخ؟**

• **الجواب**: يحمد ـ الشخص ـ على قدر ما فيه من الصِّفات الحميدة، لا يقال: الحمد بهذه الصِّيغة؛ لكن يقال: يحمد فلان على فعله الطَّيِّب، وقدر كلامه.

■ **سؤال: هل يقال الشُّكر لفلان مثلًا؟**

• **الجواب**: ولا يقال الشكر لفلان.

■ **سؤال: أشكر فلانًا مثلًا؟**

• **الجواب**: أشكر فلانًا، وأحمده على كذا وكذا، هو يحمد على صفات يرضاها الله جلَّ وعلا، أمَّا على الإطلاق فهو لله وحده سبحانه.

■ **سؤال: أحسن كلمة تقولها للإنسان إذا أسدى إليك معروفًا لتشكره، ماذا تقول له؟**

• **الجواب**: جزاك الله خير، أثابك الله، مشكور على هذا العمل،

مثلما قال النَّبِيّ ﷺ: «مَنْ لَا يَشْكُرُ النَّاسَ لَا يَشْكُرُ اللهَ»(١).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال علي بن زيد بن جُدْعَان، عن يوسف بن مِهْرَان، قال: قال ابن عباس: «**الحمد لله كلمة الشكر، وإذا قال العبد: الحمد لله، قال: شكرني عبدي**». رواه ابن أبي حاتم(٢).

وروى أيضًا هو وابن جرير، من حديث بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: أنه قال: الحمد لله هو الشكر لله والاستخذاء له، والإقرار له بنعمته وهدايته وابتدائه وغير ذلك».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

الاستخذاء: التذلل والانكسار.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال كعب الأحبار: الحمد لله ثناء الله.

وقال الضحاك: الحمد لله رداء الرَّحمن، وقد ورد الحديث بنحو ذلك.

قال ابن جرير: حدثني سعيد بن عمرو السكوني، حدثنا بقية بن الوليد، حدثني عيسى بن إبراهيم، عن موسى بن أبي حبيب، عن الحكم بن عمير، وكانت له صحبة، قال: قال النَّبِيُّ ﷺ: «**إذا قلت:**

---

(١) أخرجه أبو داود من حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ برقم (٤٨١١)، والترمذي برقم (١٩٥٤) وقال حسن صحيح.

(٢) تفسير ابن أبي حاتم (١/ ١٣).

﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ فقد شكرت الله، فزادك»[(١)].

وقد روى الإمام أحمد بن حنبل: حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن، عن الأسود بن سريع، قال: قلت: يا رسول الله: ألا أنشدك محامد حمِدتُ بها ربي، تبارك وتعالى؟ فقال: «**أَمَا إِنَّ رَبَّكَ يُحِبُّ الحَمْدَ**»[(٢)].

ورواه النَّسائي، عن علي بن حجر، عن ابن علية، عن يونس بن عبيد، عن الحسن، عن الأسود بن سريع، به[(٣)].

وروى الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه، من حديث موسى بن إبراهيم بن كثير، عن طلحة بن خراش، عن جابر بن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ للهِ**»[(٤)] وقال الترمذي: حسن غريب».

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

هل علق عليه عندك حديث: أفضل الذكر؟ القارئ: لا، ما علق عليه.. فعلق الشيخ: تقريبًا موسى بن إبراهيم غير مرضي...

وهو: موسى بن إبراهيم بن كثير الأنصاري الحرمي بفتح المهملة والراء المدني صدوق يخطئ، من الثامنة، روى له الترمذي، والنَّسائي

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٣٦) قال الشيخ أحمد شاكر في تعليقه على هذا الحديث نقله ابن كثير بإسناد الطبري هذا، وهو إسناد ضعيف لا تقوم له قائمة.

(٢) أخرجه في المسند (٣/ ٤٣٥، برقم ١٥٦٢٤) وصححه الحاكم ووافقه الذهبي (٣/ ٧١٢، برقم ٦٥٧٥).

(٣) أخرجه في السنن الكبرى (٤/ ٤١٦، برقم ٧٧٤٥).

(٤) أخرجه الترمذي برقم (٣٣٨٣)، والنسائي في السنن الكبرى (٦/ ٢٠٨، برقم ١٠٦٦٧)، وابن ماجه برقم (٣٨٠٠).

في عمل اليوم واللَّيلة، وابن ماجه[١].

■ **سؤال**: **معنى الحرمي أحسن الله إليك؟**

• **الجواب**: يمكن أنه سكن الحرم تأكد من عندك.

■ **سؤال**: **مكتوب هنا الحرامي فيه ألف؟**

• **الجواب**: الحرامي نسبة إلى الأنصار، يقال ابن حرام، لكن المؤلف؟

ما أذكر فيه ألف بعد الراء، حرام بفتح الحاء والراء، كأنه ليس فيه ألف، يراجع[٢].

الشَّيخ: انظر: ترجمة طلحة بن خراش؟ هو طلحة بن خراش بمعجمتين بن عبدالرَّحمن الأنصاري المدني صدوق من الرَّابعة، روى له الترمذي، والنَّسائي، وابن ماجه[٣].

الشيخ: طيب ...

القارئ: يا شيخ في الأول، قال: قال الإمام أحمد: حدثنا عوف، عن الحسن، وعندنا يقول: حدثنا روح؟

الشيخ: روح... وماذا عندك بعد روح؟

القارئ: حدثنا عوف عن الحسن عن الأسود ...

الشيخ: ما الذي عندك يا إبراهيم؟ الذي عندك؟

---

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٤٩ برقم ٦٩٤٢) وهو فيه بالألف (الحرامي).

(٢) تمت مراجعة التهذيب (ص ٥٤٩ برقم ٦٩٤٢).

(٣) ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٢ برقم ٣٠١٩).

قال الإمام أحمد: حدثنا روح، حدثنا عوف، عن الحسن عن الأسود بن سريع...

هذا الصواب: روح عن عوف، الأعرابي، روح بن القاسم هذا شيخهم روى عن عوف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وروى ابن ماجه عن أنس بن مالك رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**مَا أَنْعَمَ الله عَلَى عَبْدٍ نِعْمَةً، فَقَالَ: الحَمْدُ لله إِلَّا كَانَ الَّذِي أُعْطَى أَفْضَلَ مِمَّا أَخَذَ**»(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أَعْطَى، ثم قال: هذا الحديث، يؤيد ما قاله ابن جرير أن الحمد بمعنى الشكر أيضًا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال القرطبي في تفسيره، وفي نوادر الأصول عن أنس عن النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**لَوْ أَنَّ الدُّنيَا بِحَذَافِيرِهَا فِي يَدِ رَجُلٍ مِن أُمَّتِي، ثم قَالَ: الحَمْدُ لله، لَكَانَ الحَمْدُ لله أَفْضَلَ مِنْ ذَلِكَ**»(٢).

قال القرطبي وغيره: أي: لكان إلهامه الحمد لله أكبر نعمة عليه من نعم الدنيا؛ لأن ثواب الحمد لا يفنى ونعيم الدنيا لا يبقى، قال الله تعالى: ﴿ٱلْمَالُ وَٱلْبَنُونَ زِينَةُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱلْبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيْرٌ عِندَ رَبِّكَ

(١) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٠٥).
(٢) تفسير القرطبي (١/ ١٣١) وأخرجه الديلمي في مسنده (٣/ ٣٥٩، رقم ٥٠٨٣).

ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا ﴿٤٦﴾﴾ [الكهف: ٤٦][(١)].

وفي سنن ابن ماجه عن ابن عمر: أن رسول الله ﷺ حدثهم: «أَنَّ عَبْدًا مِنْ عِبَادِ الله، قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ وَلِعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَعَضَّلَتْ بِالمَلَكَيْنِ، فَلَمْ يَدْرِيَا كَيْفَ يَكْتُبَانِهَا، فَصَعِدَا إِلَى الله وَقَالَا يَا رَبَّنَا إِنَّ عَبْدَكَ قَدْ قَالَ مَقَالَةً لَا نَدْرِي كَيْفَ نَكْتُبُهَا. قَالَ اللهُ ـ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا قَالَ عَبْدُهُ ـ: مَاذَا قَالَ عَبْدِي؟ قَالَا: يَا رَبِّ إِنَّهُ قد قَالَ: يَا رَبِّ لَكَ الحَمْدُ، كَمَا يَنْبَغِي لِجَلَالِ وَجْهِكَ، وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ، فَقَالَ اللهُ لَهُمَا: اكْتُبَاهَا كَمَا قَالَ: عَبْدِي حَتَّى يَلْقَانِي فَأَجْزِيَهُ بِهَا»[(٢)].

وحكى **القرطبي** عن طائفة أنهم قالوا: قول العبد: الحمد لله رب العالمين، أفضل من قول: لا إله إلا الله؛ لا شتمال الحمد لله ربّ العالمين على التوحيد مع الحمد.

وقال آخرون: لا إله إلا الله أفضل؛ لأنَّها تفصل بين الإيمان والكفر، وعليها يقاتل النَّاس حتى يقولوا: «لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ»، كما ثبت في الحديث المتفق عليه[(٣)].

وفي الحديث الآخر: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا والنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»[(٤)].

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٣١).

(٢) أخرجه ابن ماجه برقم (٣٨٠١).

(٣) من حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أخرجه البخاري برقم (٢٥)، ومسلم برقم (٢٠).

(٤) أخرجه الترمذي من حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده برقم (٣٥٨٥)، والبيهقي في سننه (٢/ ٤٢٣، برقم (٨٦٥١) واللَّفظ له.

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الأصح، أن أفضل الذكر لا إله إلَّا الله، فهي كلمة التوحيد، وهي العروة الوثقى، وهي التي يقاتل عليها النَّاس، وهي أساس الملة، وهي أصرح شيء في توحيد الله والإخلاص له، وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «**الإِيمَانُ بِضْعٌ وَسَبْعُونَ، أَوْ بِضْعٌ وَسِتُّونَ شُعْبَةً، فَأَفْضَلُهَا قَوْلُ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ...**»(١) فكلمة لا إله إلا الله هي أفضل الكلام، وأعظم الكلام، وهي أس الملة وأصلها.

أمَّا الحمد لله، فهو مجرد ثناء على الله بما هو أهله، ليس فيها تخصيصه بالعبادة، لكن تخصيصه بالثناء العام، والعبادة من الثناء العام، ولكنها ليست بصراحة لا إله إلَّا الله؛ لأنَّ لا إله إلَّا الله صريحة في النفي والإثبات، فهي أصرح وأوضح معنىً في تخصيص الله في العبادة.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقد تقدم عن جابر مرفوعًا: «**أَفْضَلُ الذِّكْرِ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، وَأَفْضَلُ الدُّعَاءِ الحَمْدُ لله**»(٢) وحسنه الترمذي.

والألف واللام في الحمد لاستغراق جميع أجناس الحمد، وصنوفه لله تعالى، كما جاء في الحديث: «**اللَّهُمَّ لَكَ الحَمْدُ كُلُّهُ وَلَكَ المُلْكُ كُلُّهُ بِيَدِكَ الخَيْرُ كُلُّهُ إِلَيْكَ يُرْجَعُ الأَمْرُ كُلُّهُ**»(٣) الحديث. قوله:

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٣٠).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (١٤٧).

(٣) أخرجه الإمام احمد في المسند (٥/ ٣٩٥ برقم ٢٣٤٠٣) من حديث حذيفة بن اليمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] والرب هو: المالك المتصرف، ويطلق في اللُّغة على السيد، وعلى المتصرف للإصلاح، وكل ذلك صحيح في حق الله تعالى.

ولا يستعمل الرب لغير الله، بل بالإضافة تقول: رب الدار، وأمَّا الرب فلا يقال: إلا لله عَزَّ وَجَلَّ، وقد قيل: إنه الاسم الأعظم.

و﴿ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] جمع عالم: وهو كل موجود سوى الله عَزَّ وَجَلَّ، والعالم جمع لا واحد له من لفظه، والعوالم أصناف المخلوقات في السماوات والأرض في البر والبحر، وكل قرن منها وجيل يسمى عالمًا أيضًا.

قال بشر بن عمارة، عن أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] الحمد لله الذي له الخلق كله، السَّموات والأرضون، ومن فيهن وما بينهن، مما نعلم، وما لا نعلم. وفي رواية سعيد بن جبير، وعكرمة، عن ابن عباس: ربّ الجن والإنس. وكذلك قال سعيد بن جبير، ومجاهد وابن جريج، وروي عن علي نحوه.

قال ابن أبي حاتم: بإسناد[(١)] لا يعتمد عليه.

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قال ابن أبي حاتم... أو رواه ابن أبي حاتم.. أو قاله ابن أبي حاتم..؟ يجيبه القارئ: قال ابن أبي حاتم بإسناده... الشيخ يسأل

(١) في نسخة القاري: [بإسناده] فصوبه سماحته: بإسناد، وهو اللفظ الموافق للنسخ المحققه. ينظر: نسخة دار طيبة (١/ ١٣٢).

الطلاب وأنتم ماذا عندكم؟ قالوا: قال ابن أبي حاتم بإسناد: بدون هاء في قال: لعلها ساقطة قاله ابن أبي حاتم.. أو قال ابن أبي حاتم بإسناده.. هذا من كلامه لعله (الحافظ) ينقل عن ابن أبي حاتم، وقال ابن أبي حاتم: بإسناد لا يعتمد عليه. طالب يسأل: بإسناده يا شيخ؟ **الشيخ**: تشطب الهاء.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«واستدل القرطبي لهذا القول بقوله: ﴿لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ۝١﴾ [الفُرقان: ١] وهم الجن والإنس.

وقال الفراء، وأبو عبيدة: العالم عبارة عما يعقل وهم الإنس والجن والملائكة والشَّياطين، ولا يقال للبهائم: عالم، وعن زيد بن أسلم، وابن محيصن(١) العالم كل صنف. وقال قتادة: رب العالمين، كل صنف عالم».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وأبي محيصن، أو وابن محيصن؟ أي شيء عندكم أنتم؟ للطلاب، فقالوا: وأبي محيصن.

فقال الشيخ: ضع عليه إشارة؟ المعروف ابن محيصن؟ ويكلف بالنظر في ترجمته.

فقال القارئ: **ابن محيصن**: عمر بن عبدالرَّحمن، وقال عند عمر بن عبدالرَّحمن بن محيصن بمهملتين، مصغرة آخره نون، السهمي، قارئ أهل مكة، ويقال اسمه محمَّد، مقبول من الخامسة، مات

(١) في نسخة القارئ: [وأبي محيصن] فصوبه الشيخ: [وابن محيصن] كما سيأتي في تعليقه.

سنة ثلاث وعشرين، ومائة، روى له مسلم، والترمذي، والنسائي[(١)] ذكره في التقريب عند ابن.

الشيخ: ولا كناه.. ما كناه؟ القارئ: لا.

الشيخ: إذًا هو المعروف عند أهل النقل ابن محيصن، فإن كان يكنى أبا محيصن فلا إشكال، يقال ابن محيصن أو يقال أبو محيصن، إذا كان يكنى بذلك، يراجع مثل التهذيب[(٢)].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللهُ:

«وقال الحافظ ابن عساكر في ترجمة مروان بن الحكم، وهو أحد خلفاء بني أمية، وهو يعرف بالجعد، ويلقب بالحمار، أنه قال: «**خلق الله سبعة عشر ألف عالم أهل السَّموات وأهل الأرض عالم واحد، وسائر هم ذلك لا يعلمهم إلَّا الله** عَزَّ وَجَلَّ»[(٣)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللهُ:

■ **مداخلة**: هنا عليه تعليق؟

الشيخ: هاته.

---

(١) تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٦٩٩، بعد برقم ٨٤٨٧، وأحال إلى رقم ٤٩٣٨ في ص ٤١٥).

(٢) وبمراجعة تهذيب الكمال للمزي (١٤/ ٤٢٩ برقم ٤٢٧٥) تبين أنه يكنى بأبي حفص، وانظر أيضًا تهذيب التهذيب للحافظ ابن حجر (٧/ ٤١٧ برقم ٧٨٩).

(٣) أخرجه ابن عساكر في تاريخ دمشق (٥٧/ ١٧٩) وأورد الخبر في ترجمة (مخلص بن موحد) وليس في ترجمة مروان، كما وهم ابن كثير، ساق الخبر بسنده، قال: أخبرنا مخلص بن موحد حدثني إسحاق بن عبد المؤمن قال كنت عند مروان بن محمَّد فعطس رجل فقال: الحمد لله رب العالمين، فقال له مروان تدري ما العالمين.. فذكره...

قال القارئ: في أصل المطبوع ترجمة ابن مروان بن الحكم.. إلى أخره، ومروان الحمار المسمى بالجعد، ليس بابن الحكم، وذلك والد عبدالملك، وهو الرابع من خلفاء أو ملوك بني أمية، والملقب بالحمار آخرهم، وهو مروان بن محمَّد بن مروان، ولا ندري لم عني بنقل قوله، وقول غيره في مثل هذه المسألة التي لا يمكن العلم بها إلَّا بالوحي من الله تعالى.

الصواب: مروان بن محمَّد الأخير، هو الجعدي، وهو الحمار، أمَّا ذاك مروان بن الحكم والد عبدالملك، وهو معروف، ولا يقال له: الجعدي، ولا يقال له الحمار.. وماذا قال عندك؟

وقال ابن عساكر: مروان بن الحكم..؟

الشيخ: هذا غلط...

طالب يقول: عندنا مروان بن محمَّد.

الشيخ: أنتم عندكم ابن محمَّد نسخة أخرى؟ تحت هذا يكتب: نسخة، مروان بن محمَّد، بدل مروان بن الحكم، وبهذا يزول الإشكال، وهذا لا يشكل على ابن كثير، ولا ابن عساكر جميعًا لا يشكل عليهم، يكتب مروان بن محمَّد بدل مروان بن الحكم، وهو الصواب، تحت كلام ابن كثير في الحاشية.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال أبو جعفر الرَّازي: عن الربيع بن أنس، عن أبي العالية في قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] قال: الإنس عالم، والجن عالم، وما سوى ذلك ثمانية عشر ألف، أو أربعة عشر ألف عالم، هو يشك، الملائكة على الأرض، وللأرض أربع زوايا، في كل زاوية ثلاثة آلاف عالم، وخمسمائة عالم، خلقهم الله لعبادته. رواه ابن جرير وابن أبي حاتم[(١)] وهذا كلام غريب يحتاج مثله إلى دليل صحيح».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

العوالم ما يحصيها إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ، وهو ربّ العالمين، والعالمون: أنواع المخلوقات ولا يحصي عددها إلَّا الله عَزَّ وَجَلَّ، هو الذي يحصي عدد المخلوقات سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، الذي في البحر، والذي في البر، والذي في السَّماء، والذي في داخل الأرض، لا يعلمه إلَّا الله جلَّ وعلا، فالعوالم لا يحصيها إلَّا هو، هو ربها، وخالقها جلَّ وعلا.

- **سؤال: الأثر الذي فيه حصر عدد خلق الله العالم، بكذا عالم؟**

- **الجواب:** ضعيف ليس بصحيح.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال ابن أبي حاتم: حدثنا أبي، حدثنا هشام بن خالد، حدثنا الوليد بن مسلم، حدثنا الفرات، يعني ابن الوليد، عن معتب بن سمي،

(١) ينظر: تفسير ابن جرير الطبري (١/ ١٤٦) وتفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٥).

عن تُبَيع[(١)]، يعني الحميري، في قوله: ﴿رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] قال: العالمين ألف أمة، فستمائة في البحر، وأربعمائة في البر، وحكي مثله عن سعيد بن المسيب[(٢)] وقد روي نحو هذا مرفوعًا».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

▪ **مداخلة:** عندنا سُبيع يا شيخ، بدل تُبيع.

الشيخ: وماذا عندك؟

القارئ: تُبيع، بالتاء.

الشيخ: ابن من؟

القارئ: تبيع الحميري.

الشيخ: وسُبيع بالسين الحميري؟

القارئ: نعم.

الشيخ: ضع عليه إشارة، وانظر في التقريب؟ ثم سأل هل لقيت سُبيع، أو تُبيع؟.

القارئ: نعم يوجد سُبيع، لكن لم يذكر فيه الحميري، ذكر البصري، سُبيع بن خالد، ويقال خالد بن سُبيع، ويقال خالد بن خالد اليشكري البصري مقبول من الثانية، روى له أبو داود[(٣)].

---

(١) في نسخى القارئ: [سُبيع] فصوبه سماحة الشيخ إلى [تبيع] كما سيأتي في تعليقه، وهو الموافقة للنسخ المحققة. ينظر: نسخة دار طيبة (١/ ١٣٢).

(٢) ينظر: تفسير ابن أبي حاتم (٣/ ٩٨).

(٣) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٢٩ برقم ٢٢١٠).

الشيخ: غيره؟ والثاني؟

القارئ: قال: تُبيع الحميري ابن امرأة كعب، يكنى: أبا عبيدة، صدوق، عالم بالكتب القديمة، من الثانية، مخضرم، روى له النَّسائي[(١)].

الشيخ: أصلح الذي عندك، بدل سُبيع، تُبيع... هذا ربيب كعب الأحبار.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«كما روى الحافظ أبو يعلى أحمد بن علي بن المثنى في مسنده: حدثنا محمَّد بن المثنى، حدثنا عبيد بن واقد القيسي، أبو عبّاد، حدثني محمَّد بن عيسى بن كيسان، حدثنا محمَّد بن المنْكَدِر، عن جابر بن عبد الله، قال: «قلّ الجراد في سنة من سني عمر التي ولي فيها فسأل عنه، فلم يخبر بشيء، فاغتم لذلك، فأرسل راكبًا يضرب إلى اليمن، وآخر إلى الشام، وآخر إلى العراق، يسأل: هل رئي من الجراد شيء أم لا؟ قال: فأتاه الراكب الذي من قبل اليمن بقبضة من جراد، فألقاها بين يديه، فلما رآها كبر، ثم قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**خَلَقَ اللهُ أَلْفَ أُمَّةٍ، سُتُمَائَةٍ فِي البَحْرِ، وأربعمائة في البر، فأول شيء يهلك من هذه الأمم الجراد، فإذا هلك تتابعت مثل النظام إذا قطع سلكه**»[(٢)] محمَّد بن عيسى هذا، وهو الهلالي ضعيف».

---

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٣٠ برقم ٧٩٤).

(٢) قال الهيثمي في المجمع (٧/ ٤٤١ برقم١٢٤٣٣) رواه أبو يعلى في الكبير، وفيه عبيد بن واقد القيسي وهو ضعيف. وعزاه السيوطي في جامع الأحاديث (٢٨/ ٤٦، برقم ٣٠٦٥٠) لنعيم بن حماد في الفتن (١/ ٢٣٨ برقم ٦٧٤) والحكيم (٢/ ١٢)وابن عدى (٦/ ٢٤٥) وأبو الشيخ في العظمة (٥/ ١٧٨٣ برقم ١٢٨٥١).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المقصود: أن هذا الخبر لا يصح عن النَّبِيِّ ﷺ، ليس بصحيح.

قال الحافظ في التقريب: عبيد بن واقد القيسي، أو الليثي أبو عباد، ضعيف من التاسعة، روى له الترمذي(١)، وقال في الخلاصة: ضعفه أبو حاتم، وقال في الميزان، قال البخاري، والفِلاس.

الشيخ: والفَلاس: عمرو بن علي الفلاس(٢) في محمَّد بن عيسى المذكور: منكر الحديث، وقال أبو زرعة: لا ينبغي أن يحدث عنه، وقال الدار قطني: ضعيف.

وبهذا يُعلم ضعف الحديث المذكور؛ لضعف عبيد، ومحمَّد المذكورين، والله أعلم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وحكى البغوي عن سعيد بن المسيب أنه قال: «لله ألف عالَم، ستمائة في البحر وأربعمائة في البر، وقال وهب بن منبه: لله ثمانية عشر ألف عالَم الدنيا عالم منها.

وقال مقاتل: العوالم ثمانون ألفًا.

وقال كعب الأحبار: لا يعلم عدد العوالم إلَّا الله ﷻ. نقله كله البغوي»(٣).

---

(١) ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ٣٧٨، برقم ٤٣٩٩).

(٢) أبو حفص، ثقة حافظ من العاشرة روى له الجماعة. ينظر: تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٤٢٤، برقم ٥٠٨١).

(٣) في تفسيره، معالم التنزيل (١/ ٥) طبعة دار طيبة للنشر والتوزيع بالرياض، الإصدار الثاني، الطبعة الأولى عام ١٤٢٣هـ، بتحقيق مجموعة من العلماء.

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا هو الصواب، وكل هذه الأشياء تخرصات عن بني إسرائيل، وأشباههم، لا وجه لها ولا أساس لها، هذه الأمور لا تضبط، ولا تحصى إلَّا من جهة الله عَزَّ وَجَلَّ، أو من جهة خبر عن رسوله ﷺ ثابت، وإذا لم يكن موضع آية كريمة، أو نص من رسول الله ﷺ صحيح، فلا يجب أن يلزمنا بشيء؛ بل يقال: لا يعلمها إلَّا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.

▪ **سؤال: العالم يطلق على الواحد وعلى الأمة؟**

• **الجواب:** نعم هو اسم جنس لا واحد له من لفظه.

▪ **سؤال: لكن يطلق معناه على الأمَّة، وعلى الواحد؟**

• **الجواب:** نعم على جنس الواحد المستقل، يعني: ما دام هو مخلوق مستقل، إذا لم يبق منه إلَّا واحد، فهو عالم، وفي الغالب أن العالم له أفراد كثيرة، النمل عالم، وأنواع الطيور عوالم، وأنواع الحيوانات عوالم، وأنواع الذر عوالم، وهكذا..

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وحكى القرطبي عن أبي سعيد الخدري أنه قال: «**إن لله أربعين ألف عالم، الدنيا من شرقها إلى مغربها عالم واحد منها**»، وقال الزجاج: «العالم كل ما خلق الله في الدنيا والآخرة»، قال القرطبي: وهذا هو الصحيح أنه شامل لكل العالمين كقوله: ﴿قَالَ فِرْعَوْنُ وَمَا رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٣﴾ قَالَ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٢٤﴾﴾ [الشُّعَرَاء: ٢٣-٢٤]»[(١)].

---

(١) تفسير القرطبي (١/ ١٣٨، ١٣٩).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني: يشمل العوالم الحية التي لها روح، والعوالم الجامدة؛ لأنها كلها عوالم، السماء عالم، والسَّموات عالم والأرض عالم والجبال عالم.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والعالم مشتق من العلامة، قلت: لأنه عَلم دال على وجود خالقه وصانعه ووحدانيته كما قال ابن المعتز:

فيا عجبًا كيف يعصى الإله ... أم كيف يجحده الجاحد
وفي كل شيء له آية ... تدل على أنه واحد

وقوله تعالى: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١﴾ [الفَاتِحَة: ١] تقدم الكلام عليه في البسملة بما أغنى عن الإعادة. قال القرطبي: إنما وصف نفسه، بـ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفَاتِحَة: ٣] بعد قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] ليكون من باب قرن الترغيب بعد الترهيب، كما قال تعالى: ﴿نَبِّئۡ عِبَادِيٓ أَنِّيٓ أَنَا ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٤٩ وَأَنَّ عَذَابِي هُوَ ٱلۡعَذَابُ ٱلۡأَلِيمُ ۝٥٠﴾ [الحِجر: ٤٩-٥٠]».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

في قوله: ﴿رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ إشارة إلى أنه المتصرف فيهم، ومالكهم، ومدبر أمورهم، وفيه ترهيب لهم من عصيانه، وأنه قادر على إهلاك من يشاء، وتعذيب من يشاء، ثم قال: ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفَاتِحَة: ٣] ترغيبًا لهم في رحمته، واللجأ إليه والاستقامة على أمره وطاعته سبحانه، رجاء أن تحصل لهم الرحمة، ثم جاء مالك يوم الدِّين للجمع بين الرجاء والخوف.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ سَرِيعُ ٱلْعِقَابِ وَإِنَّهُۥ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٦٥﴾﴾ [الأنعَام: ١٦٥] قال: فالرّب فيه ترهيب، و﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣﴾﴾ ترغيب.

وفي صحيح مسلم عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: **«لَوْ يَعْلَمُ الْمُؤْمِنُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الْعُقُوبَةِ مَا طَمِعَ بِجَنَّتِهِ أَحَدٌ، وَلَوْ يَعْلَمُ الْكَافِرُ مَا عِنْدَ الله مِنَ الرَّحْمَةِ مَا قَنِطَ مِن جَنَّتِهِ أَحَدٌ»**(١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

ما قَنِطَ من باب فَرِحَ، والمقصود: من هذا الحث على الخوف والرجاء، وأنه ينبغي للمؤمن أن يكون جامعًا بينهما، يخاف الله، ويخشى غضبه، ويخشى الذنوب وعواقبها الوخيمة، فيجتهد في طاعة ربه جلَّ وعلا، والحذر من معاصيه، كما أنه يرجو رحمته، ويحسن به الظن حتى لا ييأس، فيكون قلبه متسعًا لهذا وهذا، متسعًا للرجاء، وحسن الظن بالله، فلا ييأس ولا يقنط، ومتسعًا للخوف، والحذر والخشية، فلا يأمن، ولا يخرج إلى البطالة، والمحارم، بل يكون بين هذا وهذا.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ﴿٤﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٤] قرأ بعض القراء «مَلِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وقرأ آخرون: «مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ» وكلاهما صحيح متواتر في السبع، ويقال: ملْك بكسر اللام وبإسكانها، ويقال مليك أيضًا، وأشبع نافع كسرة الكاف فقرأ: «ملكي يوم الدين» وقد رجحَّ كلا من القراءتين مرجحون من حيث المعنى، وكلاهما صحيحة حسنة.

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٢٧٥٥).

ورجح **الزمخشري** ملك؛ لأنها قراءة أهل الحرمين، ولقوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] وقوله: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣]».

وحكي عن أبي حنيفة أنه قرأ «**مَلَكَ يومَ الدين**» على أنه فعل وفاعل ومفعول، وهذا شاذ غريب جدًا.

وقد روى أبو بكر بن أبي داود في ذلك شيئًا غريبًا حيث قال: حدثنا أبو عبدالرَّحمن الأزدي، حدثنا عبدالوهاب بن عدي بن الفضل عن أبي المطرف، عن ابن شهاب: أنه بلغه أنَّ رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر وعثمان ومعاوية وابنه يزيد بن معاوية كانوا يقرءون: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤] قال ابن شهاب: وأول من أحدث «**مَلِك**» مروان.

قلت: مروان عنده علم بصحة ما قرأه، لم يطلع عليه ابن شهاب، والله أعلم.

وقد روي من طرق متعددة أوردها ابن مَرْدُويه أن رسول الله ﷺ كان يقرؤها: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكلها قراءات صحيحة «﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾»، و﴿مَلَكْ يَوْمَ الدِّينِ﴾ قراءتان صحيحتان معروفتان.

ينظر ترجمة: أبو عبدالرحمن في الكنى هل هو الأزدي، أو الأزرمي. القارئ: لا يوجد في التقريب، لا الأزدي ولا الأذرمي.

سأل الشيخ القارئ: عبدالوهاب بن عدي بن الفضل. القارئ: نعم.

الشيخ: يحتاج إلى بحث، قد يكون له ولد اسمه عبدالوهاب، تراجع ترجمة عبد الوهاب.

▪ مداخلة يا شيخ: للشَّيخ مقبل تعليق على قوله: حدثنا

عبدالوهاب بن عدي بن الفضل، يقول: صوابه: حدثنا عبدالوهاب، عن عدي بن الفضل، كما في كتاب المصاحف لأبي داود، وعدي بن الفضل، قال ابن معين وأبو حاتم متروك الحديث، وقال يحي: لا يكتب حديثه، وقال غير واحد ضعيف(١). انتهى من الميزان.

قال المؤلف رحمه الله:

«ومالك مأخوذ من المِلْك، كما قال: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَرِثُ ٱلْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا وَإِلَيْنَا يُرْجَعُونَ ﴿٤٠﴾﴾ [مريم: ٤٠] وقال: ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ﴿٢﴾﴾ [النَّاس: ١-٢] ومَلِك: مأخوذ من المُلك، كما قال تعالى: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦] وقال: ﴿قَوْلُهُ ٱلْحَقُّ وَلَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ [الأنعام: ٧٣] وقال: ﴿ٱلْمُلْكُ يَوْمَئِذٍ ٱلْحَقُّ لِلرَّحْمَٰنِ وَكَانَ يَوْمًا عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ عَسِيرًا ﴿٢٦﴾﴾ [الفرقان: ٢٦].

وتخصيص الملك بيوم الدِّين لا ينفيه عما عداه؛ لأنه قد تقدم الإخبار بأنه رب العالمين، وذلك عام في الدنيا والآخرة، وإنما أضيف إلى يوم الدِّين؛ لأنه لا يدعي أحد هنالك شيئًا، ولا يتكلم أحد إلَّا بإذنه، كما قال: ﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلرُّوحُ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ صَفًّا لَّا يَتَكَلَّمُونَ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَقَالَ صَوَابًا ﴿٣٨﴾﴾ [النبإ: ٣٨] وقال تعالى: ﴿وَخَشَعَتِ ٱلْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَٰنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا ﴿١٠٨﴾﴾ [طه: ١٠٨] وقال: ﴿يَوْمَ يَأْتِ لَا تَكَلَّمُ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ فَمِنْهُمْ شَقِىٌّ وَسَعِيدٌ ﴿١٠٥﴾﴾ [هود: ١٠٥]».

قال المعلق رحمه الله:

وقال تعالى: ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٧﴾ ثُمَّ مَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٨﴾

(١) قاله في تعليقه على أحاديث تفسير الحافظ ابن كثير. ينظر: (١/ ٥٣، حاشية ٧٠).

﴿يَوۡمَ لَا تَمۡلِكُ نَفۡسٞ لِّنَفۡسٖ شَيۡـٔٗاۖ وَٱلۡأَمۡرُ يَوۡمَئِذٖ لِّلَّهِ ١٩﴾ [الانفطار: ١٧-١٩] فهو مالك يوم الدِّين، لا أحد يدعي الملك ذلك اليوم، كل خائف وجل مشفق، أمَّا في الدُّنيا، فهناك من يدعي الملك، وهناك من ينازع، ومع هذا قال سبحانه: ﴿فَلِلَّهِ ٱلۡأٓخِرَةُ وَٱلۡأُولَىٰ ٢٥﴾ [النّجم: ٢٥] له الملك في الدُّنيا والآخرة سبحانه، وهو المتصرف في عباده كيف يشاء جلَّ وعلا، وإن ادعوا في الدُّنيا ما يدعون، فهم مقهورون مغلوبون.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال الضحاك عن ابن عباس: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤] يقول: لا يملك أحد في ذلك اليوم معه حكمًا، كملكهم في الدُّنيا. قال: «**مَالِكِ يَوْمِ الدِّين**» يوم الحساب للخلائق، وهو يوم القيامة يدينهم بأعمالهم إن خيرًا فخير وإن شرًا فشر، إلا من عفا عنه. وكذلك قال غيره من الصحابة والتابعين والسلف، وهو ظاهر.

وحكى ابن جرير عن بعضهم أنه ذهب إلى أن تفسير ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ٤﴾ أنه القادر على إقامته، ثم شرع يضعفه.

والظَّاهر: أنَّه لا منافاة بين هذا القول وما تقدم، وأن كلا من القائلين بهذا وبما قبله يعترف بصحة القول الآخر، ولا ينكره، ولكن السياق أدل على المعنى الأول من هذا، كما قال: ﴿ٱلۡمُلۡكُ يَوۡمَئِذٍ ٱلۡحَقُّ لِلرَّحۡمَٰنِۚ﴾ [الفُرقان: ٢٦] والقول الثاني: يشبه، قوله: ﴿وَيَوۡمَ يَقُولُ كُن فَيَكُونُۚ﴾ [الأنعَام: ٧٣]، والله أعلم.

والمَلِكُ في الحقيقة: هو الله عَزَّ وَجَلَّ، قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ﴾ [الحَشر: ٢٣] وفي الصحيحين

عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ مرفوعًا: «إِنَّ أَخْنَعَ اسْمٍ عِنْدَ اللهِ رَجُلٌ تَسَمَّى مَلِكَ الأَمْلَاك، وَلَا مَالِكَ إِلَّا اللهُ»(١).

وفيهما عنه عن رسول الله ﷺ قال: «يَقْبِضُ اللهُ الأَرْضَ يَوْمَ القِيَامَةِ، وَيَطْوِي السَّمَاءَ بِيَمِينِهِ، ثم يَقُولُ: أَنَا المَلِكُ أَيْنَ مُلُوكُ الأَرْضِ»(٢) «أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ»(٣).

وفي القرآن العظيم: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿١٦﴾﴾ [غافر: ١٦]، فأمَّا تسمية غيره في الدنيا بملك فعلى سبيل المجاز كما قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا﴾ [البقرة: ٢٤٧]، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٌ﴾ [الكهف: ٧٩]، ﴿إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا﴾ [المائدة: ٢٠] وفي الصحيحين: «مِثْلُ المُلُوكِ عَلَى الأَسِرَّةِ»(٤)».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: ناس من أمته ﷺ يدخلون الجنَّة مثل الملوك على الأسرة.

■ **سؤال: بالنسبة لقضية الملك لما قال: مجاز تسمية الملك في الدنيا قال هذا له ملك خاص به وهذا له ملك خاص به؟**

• **الجواب:** الصواب: أن كل شيء على حقيقته، هذا ملك على حقيقته، وهذا ملك على حقيقته، لكن يتسامحون في العبارات هذه، مما يجوز في اللغة، أي: أن له ملكًا حقيقيًا، ملكه الله إيَّاه يتصرف فيه

(١) أخرجه البخاري برقم (٦٢٠٥، ٦٢٠٦)، ومسلمبرقم (٢١٤٣).
(٢) أخرجه البخاري برقم (٤٨١٢)، ومسلم برقم (٢٧٨٧).
(٣) هذا الجزء من الحديث: «أَيْنَ الجَبَّارُونَ أَيْنَ المُتَكَبِّرُونَ» رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا برقم (٢٧٨٨).
(٤) أخرجاه من حديث أنس بن مالك رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ البخاري برقم (٢٧٨٩)، ومسلم برقم (١٩١٢).

تصرفا مقيدًا.

■ **سؤال: الجمادات من العالم؟**

• **الجواب:** نعم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«والدِّين الجزاء والحساب، كما قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ ٱللَّهُ دِينَهُمُ ٱلْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]، وقال: ﴿أَءِنَّا لَمَدِينُونَ ۝٥٣﴾ [الصافات: ٥٣] أي: مجزيون محاسبون، وفي الحديث: «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ المَوْتِ**»(١) أي: حاسب نفسه، كما قال عُمَرَ بْنِ الخَطَّاب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**حَاسِبُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُحَاسَبُوا، وَزِنُوا أَنْفُسَكُمْ قَبْلَ أَنْ تُزَيَّنُوا وَتَأَهَّبُوا لِلْعَرْضِ الأَكْبَرِ عَلَى مَن لَا تَخْفَى عَلَيْهِ أَعْمَالُكُم**: ﴿يَوْمَئِذٍ تُعْرَضُونَ لَا تَخْفَىٰ مِنكُمْ خَافِيَةٌ ۝١٨﴾ [الحاقة: ١٨](٢)».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

المعنى: أنه مالك يوم الحساب والجزاء، ويطلق الدِّين على الطاعة: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ﴾ [آل عمران: ١٩] أي: الطاعة، والعبادة عند الله الإسلام، ولكن هنا يراد به الحساب، أنَّ الله يجازيهم بأعمالهم، ويحاسبهم بأعمالهم، إن خيرًا فخير، وإن شرًا فشرًا.

(١) أخرجه الترمذي عن شداد بن أوس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ برقم (٢٤٥٩)، وابن ماجه برقم (٤٢٦٠) والحاكم برقم (٧٦٣٩) وصححه ووافقه الذهبي التلخيص مع المستدرك (٤/ ٢٨٠).

(٢) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٨/ ١٤٩، برقم ١٨)، والإمام أحمد (ص١٢١) وابن المبارك (١/ ١٠٣ برقم ٣٠٦)، وذكره الترمذي عقب الحديث السابق ذكره عن شداد بدون سند.

▪ **سؤال: عندنا زيادة لفظة هنا «لنفسه»**حاسب نفسه لنفسه؟

• **الجواب:** لا. فقط حاسب نفسه «**الكَيِّسُ مَنْ دَانَ نَفْسَهُ**» أي: حاسبها.

▪ **سؤال: عندنا كلمة «لنفسه»** هل زيادة هذه اللفظة يا شيخ؟

الشيخ: باللام؟

القارئ: إي نعم.

الشيخ: ليس بلازم حاسبها على ما فعلت، أقول: لـ«**نَفْسه**» ليس فيها منافاة إن حاسبها إنما يحسبها لمصلحتها.

▪ **سؤال: يقول: ما معنى الكيس؟**

• **الجواب:** الحازم، الجيد القوي.

▪ **سؤال: يقول: إسناده ضعيف يا شيخ؟**

• **الجواب:** نعم فيه ضعف؛ لكنه مشهور، رواه الحاكم والجماعة، أبو داود والترمذي. وغيرهم. ما علق عليه عندكم؟

القارئ: إلَّا الشيخ مقبل له تعليق.

الشيخ: اقرأه.

يقول: حديث «**الكَيِّسُ**» رواه الترمذي وحسنه، وقال الحاكم: صحيح على شرط البخاري، وتعقبه الذهبي، فقال: لا والله، في سنده أبو بكر بن أبي مريم واه[(١)] يعني: ليس على شرط البخاري كما قال الحاكم.

(١) قاله الشيخ مقبل في تعليقه على أحاديث تفسير الحافظ ابن كثير. ينظر: (١/ ٥٤ حاشية ٧٢) وينظر: التلخيص مع المستدرك (١/ ١٢٥ عقب حديث رقم ١٩١) ففيها التعقب، وفي موضع آخر وافقه على التصحيح (٤/ ٢٨٠ رقم ٧٦٣٩).

• **الجواب:** واضح.. ينظر: هل له طرق أخرى؛ لأن بعض الأئمة جزم بصحته، والظاهر غفلة، والمعروف أنه من هذا الطريق؛ لكن ربما له طريق آخر ينبغي أن يلاحظ، وينظر في طرقه الأخرى[(١)].

▪ **سؤال: أبو بكر ضعيف؟**

• **الجواب:** أبو بكر بن عبدالله بن أبي مريم ضعيف، وهناك سعيد بن أبي مريم ثقة إمام، أحد شيوخ البخاري، أمَّا هذا ابن أبي مريم اختلط واختل[(٢)]، والله المستعان.

▪ **سؤال: من حيث المعنى؟**

• **الجواب:** المعنى صحيح.. لكن المقصود من جهة الرواية.

▪ **سؤال: يقال: أنه ضعيف؟**

• **الجواب:** بهذا السند ضعيف، بهذا السند الذي فيه أبو بكر بن أبي مريم ضعيف... ورأيت لبعض العلماء تعبير، وقد ثبت عن رسول الله ﷺ: «**الكيس...**» من الأئمة المعروفين؛ لكن لعله وجد له طرق أخرى أو غفل عن هذا الشيء.

▪ **سؤال: قال الشيخ ناصر، يقول: النَّسائي هذا الحديث ضعيف[(٣)].**

• **الجواب:** يمكن ولو أنه.. ما يكفي هذا طالب العلم يلتمس؛

---

(١) له طرق أخر من غير طريق أبو بكر بن أبي مريم، فيها شواهد ومتابعات له.

(٢) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٦٢٣، برقم ٧٨٧٤) وينظر لترجمة: سعيد بن أبي مريم بن الحكم بن محمد (ص ٢٣٤، برقم ٢٢٨٦).

(٣) ينظر: حكم الشيخ الألباني: ضعيف سنن ابن ماجه برقم (٩٣٠)، وضعيف الجامع الصغير برقم (٤٣٠٥).

لأن النسائي يضف على حسب ما بلغه؛ ولهذا يقولون: إذا وجدت هذا الحديث ضعيف بهذا السند، يقول الحافظ العراقي:

وَإِنْ تَجِدْ مَتْنًا ضَعِيْفَ السَّنَدِ فَقُلْ ضَعِيْفٌ، أيْ: بِهَذَا فَاقْصِدِ
وَلَا تُضَعِّفْ مُطْلَقًا بِنَاءَ عَلَى الطَّرِيْقِ إذْ لَعَلَّ جَاءَ بِسَنَدٍ مُجَوَّدٍ(١)

فلا بد من مراعاة الطرق الأخرى والعناية، بذلك.

- **سؤال: عندنا ما ذكر له سند؟**

- **الجواب:** عندك أشار إليه فقط.

- **سؤال: ما تعلقكم عليه؟**

- **الجواب:** بعدما يراجع سنده(٢).

(١) ينظر: ألفية الحافظ العراقي في علوم الحديث (ص١٩، البيت برقم ٢٤٩).

(٢) وبمراجعة سنده وجمع طرقه حكم عليه الشيخ الألباني بالضعف. ينظر: سلسلة الأحاديث الضعيفة برقم (٥٣١٩).

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«قوله تعالى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥] قرأ السبعة والجمهور بتشديد الياء من ﴿إِيَّاكَ﴾ وقرأ عمرو بن فايد بتخفيفها مع الكسر، وهي قراءة شاذة مردودة؛ لأن «**إيا**» ضوء الشمس، وقرأ بعضهم: «أَيَّاك» بفتح الهمزة، وتشديد الياء، وقرأ بعضهم: «**هياك**» بالهاء بدل الهمزة، كما قال الشَّاعر:

فهياك والأمرَ الذي إن تراحبت   موارده ضاقت عليك مصادره».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أمَّا فهياك: هذه لها معنى آخر، فهياك: يعنى: احذر.

فهياك والأمرَ الذي إن تراحبت   موارده ضاقت عليك مصادره

أمَّا هنا فمعناها التخصيص، وليس معناها التحذير، معناها التخصيص، أي: إيَّاك نعبد وحدك، وإيَّاك نستعين بكسر الهمزة وتشديد الياء هذه قراءة السبعة، والجمهور، وهي القراءة الصحيحة المعتمدة، وما عداها شاذ، فالقراءة بالتخفيف قراءة شاذة، كما قال المؤلف لا وجه لها، وأياك بفتح الهمزة، أو كسر الهمزة، أو بزيادة الهاء بدل الهمزة، أو بالهمزة مفتوحة أيضًا كذلك شاذة، ولا محل لها هنا إذْ محلها التحذير.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«و﴿نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥] بفتح النون أول الكلمة في قراءة الجميع سوى يحيى بن وثاب والأعمش، فإنهما كسراها وهي لغة بني أسد وربيعة وبني تميم».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

إلى الآن بعض العرب يقولون: نِستعين بكسر النون، نِفعل كذا وكذا، نِقول: يكسرون النون، إلى الآن هي لغة بعض العرب العامة، ولكن اللغة الفصيحة، التي قرأ بها السبعة، والجمهور نَستعين نقول، نذهب، يأتي بفتح حرف المضارعة من الثلاثي قام يقوم، وهكذا من الخماسي، والسداسي، استعان يستعين، واستخرج يستخرج، وإنما تضم في الرباعي، أعلم يعلم، أخرج يخرج، أطعم يطعم.

وأمَّا الثلاثي والسداسي والخماسي بالفتح كاستخرج يستخرج، استعلم يستعلم استعان يستعين، نظم ينظم، قام يقوم.

■ **سؤال: القراءة الشاذة هل تجزئ في الصَّلاة؟**

• **الجواب:** الظاهر أنها لا تجزي ولا تجوز، لكن لو فعلها جاهل صحت منه للجهل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«العبادة في اللغة من الذلة، يقال: طريق مُعَبّد، وبعير مُعَبّد، أي: مذلل، وفي الشرع: عبارة عما يجمع كمال المحبة والخضوع والخوف».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

يعني غاية الخضوع مع غاية الذل وأصل العبادة في اللغة: الخضوع والتذلل، سواء عن محبة أو عن غير محبة، يقال طريق معبد مذلل، وطئته الأقدام، حتى أثرت فيه، وبعير معبد كذلك، وفلان عبد فلان؛ لأنه يذل له ويخضع له، ويأتمر بأوامره.

أمَّا في الشرع: فالعبادة التي لها الأثر وعليها الأجر، هي الصادرة

عن خوف، وعن محبة، وعن خضوع للمعبود، فإن كان لله فله في هذا الخير العظيم، وإن كان لغيره ﷻ، يقول ابن القيم في هذا المعنى:

وعبادة الرحمن غاية حبه   مع ذل عابديه هما قطبان
وعليهما فلك العبادة دائر   ما دار حتى قامت القطبان
ومداره بالأمر أمر رسوله   لا بالهوى والنَّفس والشَّيطان[(١)]

فالعبادة التي رتب الله عليها الجزاء هي التي تصدر عن العبد امتثالًا لأمر الله وإخلاصًا له، ومحبة له وخضوعًا له، واستئناسا به سبحانه وتعالى.

قال المؤلف رحمه الله:

«وقدم المفعول وهو ﴿إِيَّاكَ﴾ وكرر؛ للاهتمام والحصر، أي: لا نعبد إلَّا إيَّاك، ولا نتوكل إلَّا عليك، وهذا هو كمال الطاعة، والدين يرجع كله إلى هذين المعنيين، وهذا كما قال بعض السَّلف: الفاتحة سر القرآن، وسرها هذه الكلمة: ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥] فالأول: تبرؤ من الشرك، والثاني: تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله ﷻ».

قال المعلق رحمه الله:

أي: نعبدك وحدك لا بقوتنا؛ ولكن بحولك وقوتك، وإعانتك يا ربنا، والمعنى نعبدك وحدك، مستعينين بك، لا حول لنا ولا قوة على الفعل إلَّا بك ربنا، فهو المعين، وهو الموفق والهادي سبحانه وتعالى.

(١) ينظر: للأبيات القصيدة النونية لابن القيم في الكافية الشافية في الانتصار للفرقة الناجية (ص٣٢)، وتوضيح المقاصد وتصحيح القواعد شرح النونية (ص٢٥٣) لأحمد بن إبراهيم بن عيسى، طبعة المكتب الإسلامي، بيروت، تحقيق زهير الشاويش، الطبعة الثالثة عام ١٤٠٦هـ.

□ **سائل يقول:** يوجد تعليق للشيخ محمَّد رشيد رضا على قوله: **«والتفويض إلى الله ﷻ» يقول: كذا في الأصل، وينبغي أن يكون: «وتفويض» بالتنكير؛ لأنه معطوف على تبرؤ، وتعريفه يجعله معطوفًا على ما قبله مباشرة؛ لأنه معرفة، وحينئذٍ يفسد المعنى؛ لأنه تبرؤ من التفويض.**

• **الجواب:** نعم. هو مثل ما قال؛لأنه يوهم تبرؤ من الحول والقوة، والتفويض إلى الله، ويوهم العطف على المعرفة الذي قبله مباشرة، والمراد العطف على «**تبرؤ**» فهو مثل ما قال الشيخ محمَّد رشيد؛ لكن مراد المؤلف واضح، وهو العطف على «**تبرؤ**» ويجوز العطف إذا فهم المعنى جاز عطف المعرفة على النكرة، والعكس، تقول: قام زيد ورجل آخر لكذا وكذا تعطف نكرة على معرفة، وتقول: قام رجل يساعد فلان، وعمرو بن فلان، يعني: معه، عطف المعرفة على النكرة، وعطف النكرة على المعرفة، ليس من شرطهما التطابق.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وهذا المعنى في غير آية من القرآن، كما قال تعالى: ﴿فَٱعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿١٢٣﴾﴾ [هُود: ١٢٣] ﴿قُلْ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ءَامَنَّا بِهِۦ وَعَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا﴾ [المُلك: ٢٩] ﴿رَّبُّ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَٱتَّخِذْهُ وَكِيلًا ﴿٩﴾﴾ [المُزّمل: ٩] وكذلك هذه الآية الكريمة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٥].

وتحول الكلام من الغيبة إلى المواجهة بكاف الخطاب، وهو مناسب؛ لأنه لما أثنى على الله فكأنه اقترب وحضر بين يدي الله تعالى، فلهذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٥] وفي هذا دليل

على أن أول السورة خبر من الله تعالى بالثناء على نفسه الكريمة بجميل صفاته الحسنى، وإرشاد لعباده بأن يثنوا عليه بذلك؛ ولهذا لا تصح صلاة من لم يقل ذلك، وهو قادر عليه، كما جاء في الصحيحين».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هو ثناء على الله، بمعنى: أنه مأمور بهذا، أخبر عن نفسه، آمرًا لعباده بأن يثنوا عليه بهذا، كأنه قال لهم: قولوا: الحمد لله؛ ولهذا قال بعده: إيَّاك نعبد، فتحول العبد من الثناء إلى المخاطبة للمثنى عليه، إيَّاك نعبد، بعدما أثنى عليه، وحمده سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، توجه إليه بهذا التوجه ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«عن عبادة بن الصَّامت قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الكِتَابِ**»(١) وفي صحيح مسلم من حديث العلاء بن عبدالرَّحمن، مولى الحُرَقَة، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «**قَالَ اللهُ تَعَالَى: قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ العَبْدُ:** ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ [الفَاتِحَة: ٢] **قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي وَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣﴾ [الفَاتِحَة: ٣] **قَالَ اللهُ: أَثْنَى عَلَيَّ عَبْدِي وَإِذَا قَالَ:** ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ [الفَاتِحَة: ٤] **قَالَ اللهُ: مَجَّدَنِي عَبْدِي فَإِذَا قَالَ:** ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفَاتِحَة: ٥] **قَالَ: هَذَا بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ فَإِذَا قَالَ:** ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧٤).

عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ﴿٧﴾ [الفاتحة: ٦-٧] **قال: هذا لعبدي ولعبدي ما سأل»**(١).

وقال الضحاك، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ [الفاتحة: ٥] يعني: إيَّاك نوحد ونخاف ونرجوك يا ربنا لا غيرك ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على طاعتك وعلى أمورنا كلها.

وقال قتادة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] يأمركم أن تخلصوا له العبادة، وأن تستعينوه على أموركم.

وإنَّما قدم: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ على ﴿وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ لأن العبادة له هي المقصودة، والاستعانة وسيلة إليها، والاهتمام والحزم تقديم ما هو الأهم فالأهم.

فإن قيل: فما معنى النون في قوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ فإن كانت للجمع فالداعي واحد، وإن كانت للتعظيم فلا يناسب هذا المقام؟ وقد أجيب: بأن المراد من ذلك الإخبار عن جنس العباد والمصلي فرد منهم، ولا سيما إن كان في جماعة أو إمامهم، فأخبر عن نفسه وعن إخوانه المؤمنين بالعبادة التي خلقوا لأجلها، وتوسط لهم بخير.

ومنهم من قال: يجوز أن تكون للتعظيم، كأن العبد قيل له: إذا كنت داخل العبادة، فأنت شريف وجاهك عريض، فقل: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴿٥﴾﴾ [الفاتحة: ٥] وإن كنت خارج العبادة فلا تقل: نحن ولا فعلنا، ولو كنت في مائة ألف أو ألف ألف لاحتياج الجميع إلى الله عَزَّ وَجَلَّ وفقرهم إليه.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧١).

ومنهم من قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ﴾ ألطف في التواضع من إيَّاك عبدنا، لما في الثاني من تعظيمه نفسه من جعله نفسه وحده أهلًا لعبادة الله تعالى الذي لا يستطيع أحد أن يعبده حق عبادته، ولا يثني عليه، كما يليق به، والعبادة مقام عظيم يشرف به العبد لانتسابه إلى جناب الله تعالى، كما قال بعضهم:

لا تدعني إلا بيا عبدها فإنه أشرف أسمائي»

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

والمعتمد في هذا هنا هو ما قاله عن أهل العلم في المعنى الأول، وأن المقام مقام إخبار العبد عن نفسه، مع إخوانه المؤمنين، الذين يصلون معه، وهكذا غيرهم، ولهذا ناسب أن يأتي بالنون، ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ ما قال إيَّاك أعبد وإيَّاك أستعين يخبر عن نفسه، جاءت الآية بالنون؛ لأن القارئ، والمصلي، يخبر عن نفسه، وعن إخوانه المؤمنين ولهذا جاء السياق، إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، يعني إيَّاك نعبد معشر المسلمين معشر المؤمنين، وإيَّاك نستعين كذلك، فالنون هنا ألطف بالمقام، وأحسن؛ لأن الإمام يخبر عن نفسه، وعن المؤمنين، والقارئ كذلك، والمصلي كذلك، فالمسلمون شيء واحد، ويخبر عنهم بقوله: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾.

■ **سؤال: في خطبة الحاجة، ونشهد أن لا إله إلا الله، الذي ورد في الحمد لله أن الإنسان يخبر عن نفسه بالشهادة أشهد أن لا إله إلا الله لا يأتي هذا المعنى هنا؟**

• **الجواب:** لعله ما يأتي؛ لأن هناك يخبر عن نفسه بالتوحيد الذي هو وسيلة حاجته، أمَّا الأول: يخبر عن جميع الحضور بـ«**نَحْمَدُهُ**

وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِالله مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا»(١) كأن المقام الأول أنه من الجميع، والثاني يخبر عن نفسه بهذه الوحدانية.

قال المؤلف رحمه الله:

«وقد سمى الله رسوله بعبده في أشرف مقاماته، فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ﴾ [الكهف: ١] وقال: ﴿وَأَنَّهُۥ لَمَّا قَامَ عَبْدُ ٱللَّهِ يَدْعُوهُ﴾ [الجن: ١٩]، ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] فسماه عبدًا عند إنزاله عليه وعند قيامه في الدعوة وإسرائه به، وأرشده إلى القيام بالعبادة في أوقات يضيق صدره من تكذيب المخالفين له، حيث يقول: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ﴿٩٧﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٩٨﴾ وَٱعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ ٱلْيَقِينُ ﴿٩٩﴾﴾ [الحجر: ٩٧-٩٩].

وقد حكى **فخر الدين** في تفسيره عن بعضهم: أن مقام العبودية أشرف من مقام الرسالة؛ لكون العبادة تصدر من الخلق إلى الحق والرسالة من الحق إلى الخلق، قال: ولأن الله يتولى مصالح عباده، والرسول يتولى مصالح أمته، وهذا القول خطأ، والتوجيه أيضًا ضعيف لا حاصل له، ولم يتعرض له فخر الدين بتضعيف ولا رد.

وقال بعض الصوفية: العبادة إمَّا لتحصيل ثواب أو درء عقاب، قالوا: وهذا ليس بطائل إذْ مقصوده تحصيل مقصوده، وإمَّا للتشريف بتكاليف الله تعالى، وهذا أيضًا عندهم ضعيف، بل العالي أن يعبد الله لذاته المقدسة الموصوفة بالكمال، قالوا: ولهذا يقول المصلي: أصلي

---

(١) هذا لفظ إحدى صيغ خطبة الحاجة أخرجها ابن ماجه من حديث ابن مسعود رضي الله عنه برقم (١٨٩٣).

لله، ولو كان لتحصيل الثواب ودرء العقاب لبطلت الصَّلاة، وقد رد ذلك عليهم آخرون، وقالوا: كون العبادة لله ﷻ، لا ينافي أن يطلب معها ثوابًا، ولا أن يدفع عذابًا، كما قال ذلك الأعرابي: أمَا إني لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ، إنما أسأل الله الجنَّة وأعوذ به من النَّار، فقال النَّبِيّ ﷺ: «**حَوْلَهَا نُدَنْدِنُ**»(١).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

قول الصوفية هنا قول فاسد، ولو كان وجيهًا ليس بشيء؛ لأن الله جلَّ وعلا شرع لعباده أن يعبدوه، وحثهم على أن يرجوه، ورغبهم في الخوف منه، وخشيته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فخوفه، ورجاؤه لا ينافي الإخلاص؛ ولهذا قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴿٩٠﴾﴾ [الأنبياء: ٩٠]، يعني: الأنبياء، وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَى رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُورًا ﴿٥٧﴾﴾ [الإسراء: ٥٧].

فهو سبحانه يعبد لذاته، وأسمائه وصفاته، وخوفًا من عقابه، وحذر غضبه ورجاء رحمته وإحسانه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، وليس خوفه ورجاؤه مضادًا أو معاكسًا للإخلاص له سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، ويخلص له العبادة لهذه الأمور لمحبته له وتعظيمه له، وخوفه منه ورجائه إلى غير هذا من صفاته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

(١) أخرجه أبو داود برقم (٧٩٢)، وابن ماجه برقم (٩١٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦] قراءة الجمهور بالصاد، وقرئ: «السراط» وقرئ بالزاي، قال الفراء: وهي لغة بني عذرة وبني كلب».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى أن الصاد والزاي والسين أخوات والأفصح الصاد، وهو الطريق الواضح، إذًا فالفصيح الصراط، بالصاد، ثم السين، السراط، ثم الزاي، الزراط، وأفصحها في لغات قريش الصراط بالصاد، وهو الطريق الواضح الذي قد وطئته الأقدام، واتضح للناس.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«لما تقدم الثناء على المسؤول، تبارك وتعالى، ناسب أن يعقب بالسؤال، كما قال: «**فنصفها لي ونصفها لعبدي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**» وهذا أكمل أحوال السائل، أن يمدح مسئُوله، ثم يسأل حاجته وحاجة إخوانه المؤمنين، بقوله: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ لأنه أنجح للحاجة وأنجع للإجابة؛ ولهذا أرشد الله تعالى إليه لأنه الأكمل، وقد يكون السؤال بالإخبار عن حال السائل واحتياجه، كما قال موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ: ﴿رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلۡتَ إِلَيَّ مِنۡ خَيۡرٖ فَقِيرٞ ٢٤﴾ [القَصَص: ٢٤]».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وكما قال: ﴿رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي﴾ [القَصَص: ١٦]، وكما في السؤال الذي علمه النَّبِيّ للصديق «**قُلِ اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا**

كَثِيرًا»[(١)] فالضراعة للمسؤول والانكسار بين يديه من أعظم الأسباب، وإن جمع بينهما فأثنى على المسؤول بصفاته وانكسر له وتذلل، ثم سأل كان أقرب أيضًا إلى الإجابة، وهنا شرع الله الحمد والثناء، ثم الاعتراف بأن العبد عبد لله، وأنه في حاجة إليه، وأنه المستعان سبحانه.

ثم أرشد إلى السؤال، فقال: اهدنا الصراط المستقيم، بعد الثناء المناسب، وبعد اعتراف العبد بأنه عبدالله، والفقير إليه والذليل بين يديه، شرع له أن يسأل حاجته، وهي طلب الهداية إلى الطريق الموصل إليه، فكأنه يقرأ ويقول: يا رب عرفت أسماءك وصفاتك، وأنك المعبود بالحقِّ، وأني عبدك، فهدنا الطريق الموصل إليك.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد يتقدمه مع ذلك وصف المسؤول، كقول ذي النون: ﴿أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧﴾ [الأنبياء: ٨٧] وقد يكون بمجرد الثناء على المسؤول، كقول الشاعر:

أأذكر حاجتي أم قد كفاني حباؤك[(٢)] إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء»

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

حِباؤك بالباء.. حباؤك العطف بالباء. أم فد كفاني.. حباؤك إن شيمتك الحباء.

□ **سائل يقول: ما يكون هنا الحياء هو المراد، كما في الحديث:**

(١) أخرجه البخاري برقم (٨٣٤) ومسلم برقم (٢٧٠٥).

(٢) قرأ القارئ: [حياؤك] فصحح سماحته القراءة: [حباؤك] كما سيأتي في تعليق رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

«إِنَّ اللهَ يَسْتَحِي»[(١)]؟

• **الجواب:** لا.. الحياء، لا. نعرف الرواية أنها الحباء، يعني: كفاني سخاؤك وجودك، إن شيمتك العطاء والجود.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«والهداية هاهنا: الإرشاد والتوفيق، وقد تعدى الهداية بنفسها، كما هنا ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦] فتضمن معنى ألهمنا أو وفقنا، أو ارزقنا، أو أعطنا ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ ۝١٠﴾ [البَلَد: ١٠] أي: بينا له الخير والشر، وقد تعدى بإلى، كقوله تعالى: ﴿ٱجْتَبَىٰهُ وَهَدَىٰهُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝١٢١﴾ [النّحل: ١٢١] ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ۝٢٣﴾ [الصَّافات: ٢٣]، وذلك بمعنى الإرشاد والدلالة، وكذلك قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ۝٥٢﴾ [الشّورىٰ: ٥٢]، وقد تعدى باللام، كقول أهل الجنة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا﴾ [الأعرَاف: ٤٣] أي: وفقنا لهذا وجعلنا له أهلًا.

وأمَّا الصراط المستقيم، فقال الإمام أبو جعفر بن جرير: أجمعت الأمة من أهل التأويل جميعًا على أن ﴿ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ هو الطريق الواضح الذي لا اعوجاج فيه[(٢)] وكذلك ذلك في لغة جميع العرب، فمن ذلك قول جرير بن عطية الخَطَفي:

أميرُ المؤمنين على صِراطٍ   إذا اعوج الموردُ مُسْتَقيمِ»

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

إذا اعوجت الموارد، إذا اعوجت الموارد مستقيمِ، نعت للصراط ...

(١) أخرجه الحاكم في المستدرك عن سلمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، برقم (١٨٣٠، ١/ ٦٧٥).

(٢) تفسير ابن جرير (١/ ١٧٠).

■ **مداخلة سائل يقول: بالتاء يكسر البيت...؟**

الشيخ: يعيد قراء البيت: أمير المؤمنين على صراطٍ إذا اعوج الموارد مستقيم نعت للصراط بدون تاء هذا من الوافر «مفاعلتن، مفاعلتن فعول» إذا اعوج الموارد مستقيمِ.. يعني: إذا اعوج الطرق.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«قال: والشواهد على ذلك أكثر من أن تحصر، قال: ثم تستعير العرب الصراط فتستعمله في كل قول وعمل، وصف باستقامة أو اعوجاج، فتصف المستقيم باستقامته، والمعوج باعوجاجه.

ثم اختلفت عبارات المفسرين من السلف والخلف في تفسير الصراط، وإن كان يرجع حاصلها إلى شيء واحد، وهو المتابعة لله وللرسول، فروي أنه كتاب الله.

قال ابن أبي حاتم: حدثنا الحسن بن عرفة، حدثني يحيى بن يمان، عن حمزة الزيات، عن سعيد، وهو أبو المختار الطائي، عن ابن أخي الحارث الأعور،عن الحارث الأعور، عن علي بن أبي طالب رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ، قال: قال رسول الله ﷺ: «**الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ: كِتَابُ الله** عَزَّ وَجَلَّ»[(١)].

وكذلك رواه ابن جرير، من حديث حمزة بن حبيب الزيات، وقد تقدم في فضائل القرآن فيما رواه أحمد والترمذي من رواية الحارث الأعور، عن علي مرفوعًا: «**وَهُوَ حَبْلُ الله المَتِينُ، وَهُوَ الذِّكْرُ الحَكِيمُ وَهُوَ الصِّرَاطُ المُسْتَقِيمُ**»[(٢)].

---

(١) تفسير ابن أبي حاتم (١٤/ ١٢٦) وتفسير ابن جرير (١/ ١٧٣).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٠٦) أما الرواية الموقوفة فقد أوردها الطبري في تفسيره (١/ ١٧٢).

وقد روي هذا موقوفًا عن علي، وهو أشبه، والله أعلم.

قال الثوري، عن منصور، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: «**الصراط المستقيم. كتاب الله، وقيل: هو الإسلام**»».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

ولا منافاة بين الأقوال؛ لأن من التزم كتاب الله، فقد هدي إلى الصراط المستقيم، أقوال السلف في هذا متقاربة؛ لأن الصراط: هو الدِّين الذي بعث الله به رسوله ﷺ، وبعث به جميع الرُّسل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هو الصراط المستقيم، بعث الله به رسله، وأنزل به كتبه، وهو توحيده، والإخلاص له، وطاعة أوامره، وترك نواهيه، والوقوف عند حدوده، ومدار كلام السلف يرجع إلى هذا.

- سؤال: **الحارث الأعور؟**

- **الجواب:** ضعيف[(١)].

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وقال الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال جبريل لمحمَّدٍ، عَلَيْهِ السَّلَامُ: قل يا محمد اهدنا الصراط المستقيم. يقول: ألهمنا. الطريق الهادي، وهو دين الله الذي لا عوج فيه.

وقال ميمون بن مِهْرَان، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦] قال: ذاك الإسلام، وقال إسماعيل بن عبد الرَّحمن السدي الكبير، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٤٦، برقم ١٠٢٩).

عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب النَّبِيِّ ﷺ: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قالوا: هو الإسلام.

وقال عبدالله بن محمَّد بن عقيل، عن جابر: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو الإسلام، قال: هو أوسع مما بين السماء والأرض، وقال ابن الحنفية في قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو دين الله، الذي لا يقبل من العباد غيره.

وقال عبدالرَّحمن بن زيد بن أسلم: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو الإسلام.

وفي [معنى] هذا الحديث الذي رواه الإمام أحمد في مسنده، حيث قال: حدثنا الحسن بن سوَّار أبو العلاء، حدثنا ليث، يعني: ابن سعد، عن معاوية بن صالح، أن عبدالرَّحمن بن جبير بن نفير، حدثه عن أبيه، عن النواس بن سَمعان، عن رسول الله ﷺ قال: «**ضَرَبَ اللهُ مَثَلًا صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا، وَعَلَى جَنْبَتَيْ الصِّرَاطِ سُورَانِ فِيهِمَا أَبْوَابٌ مُفَتَّحَةٌ وَعَلَى الأَبْوَابِ سُتُورٌ مُرْخَاةٌ، وَعَلَى بَابِ الصِّرَاطِ دَاعٍ، يَقُولُ: يَا أَيُّهَا النَّاسُ ادْخُلُوا الصِّرَاطَ جَمِيعًا وَلَا تَتَفَرَّجُوا، وَدَاعِي يَدْعُو مِنْ جَوْفِ الصِّرَاطِ، فَإِذَا أَرَادَ أَنْ يُفْتَحَ شَيْئًا مِنْ تِلْكَ الأَبْوَابِ، قَالَ: وَيْحَكَ لَا تَفْتَحْهُ فَإِنَّكَ إِنْ تَفْتَحْهُ تَلِجْهُ، فالصِّراطُ الإِسْلَامُ وَالسُّورَانِ حُدُودُ الله تَعَالَى وَالأَبْوَابُ المُفَتَّحَةُ مَحَارِمُ الله تَعَالَى وَذَلِكَ الدَّاعِي عَلى رَأْسِ الصِّرَاطِ كِتَابُ الله ﷻ، وَالدَّاعِي مِنْ فَوْقِ الصِّرَاطِ وَاعِظُ الله فِي قَلْبِ كُلِّ مُسْلِمٍ**»[1] وهكذا رواه ابن أبي حاتم، وابن جرير: من حديث اللَّيث بن سعد به».

(١) المسند (٤/ ١٨٢، برقم ١٧٦٧١)، والترمذي برقم (٢٨٥٩) والنسائي في السنن الكبرى برقم (١١٢٣٣) وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩) وتفسير ابن جرير (١/ ١٧٦).

قال المعلق رحمه الله:

أعد التفسير: عن النواس بن سمعان ... فأعاد القارئ: السند والمتن.

■ **سؤال: سَمعان ولا سِمعان يا شيخ؟**

• **الجواب:** لغتين، يقال: سِمعان، ويقال: سَمعان.

ترجمة ابن سوَّار: هو الحسن بن سَوَّار بفتح المهملة وتشديد الواو البغوي أبو العلاء المروزي، صدوق من التاسعة، مات سنة ست عشر أو سبع عشرة بعد [٢٠٠] أخرج له أبو داود والترمذي والنَّسائي(١).

■ **سؤال: ما الفرق بين السدي الكبير، والسدي الصغير؟**

• **الجواب:** السدي الكبير ثقة يروي له مسلم، وهو إسماعيل بن عبدالرَّحمن(٢) والصغير: هو محمَّد بن مروان السدي كذّاب ضعيف(٣)، ليس بشيء، أقول ليس بشيء عند هم؛ لكن يستشهد به من باب الاستشهاد.

قال المؤلف رحمه الله:

«ورواه الترمذي والنَّسائي جميعًا، عن علي بن حجر عن بقية، عن بحير بن سعد، عن خالد بن مَعْدَان، عن جبير بن نفير، عن النواس بن سمعان، به، وهو إسناد حسن صحيح».

---

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر(ص ١٦١ برقم ١٢٤٧).

(٢) ابن أبي كريمة السُّدِّي، أبو محمَّد الكوفي صدوق يَهِم ورمي بالتشيع، من الرابعة، مات سنة سبع وعشرين بعد المائة، أخرج له مسلم وأهل السنن. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ١٠٨ برقم ٤٦٣).

(٣) ابن عبدالله بن إسماعيل. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٠٦، برقم ٦٢٨٤) أو رده للتميز.

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

□ **سائل يقول: يا شيخ هنا في نسخة: وهو إسناد حسن فقط ليس فيها صحيح؟**

● **الجواب:** يمكن نسخة أخرى، ويسأل طالب آخر: عندك حسن صحيح؟ فيجبه: نعم حسن صحيح، يمكن سقط.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال مجاهد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفاتحة: ٦] قال: الحقّ، وهذا أشمل، ولا منافاة بينه وبين ما تقدم.

وروى ابن أبي حاتم وابن جرير، من حديث أبي النضر هاشم بن القاسم، حدثنا حمزة بن المغيرة، عن عاصم الأحول، عن أبي العالية: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ قال: هو النَّبِيّ ﷺ، وصاحباه من بعده، قال عاصم: فذكرنا ذلك للحسن، فقال: صدق أبو العالية ونصح»(١).

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

أي: أن من اتبع النَّبِيّ ﷺ واتبع صاحبيه، فقد اتبع الصراط المستقيم.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وكل هذه الأقوال صحيحة، وهي متلازمة، فإن من اتبع النَّبِيّ ﷺ، واقتدى باللَّذين من بعده أبي بكر وعمر، فقد اتبع الحقّ، ومن اتبع الحقّ فقد اتبع الإسلام، ومن اتبع الإسلام فقد اتبع القرآن، وهو

---

(١) تفسير ابن جرير (١/ ١٧٥)، وتفسير ابن أبي حاتم (١/ ٩).

كتاب الله وحبله المتين، وصراطه المستقيم، فكلها صحيحة يصدق بعضها بعضًا، ولله الحمد.

وقال الطبراني: حدثنا محمَّد بن الفضل السقطي، حدثنا إبراهيم بن مهدي المِصِّيصي، حدثنا يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: الصراط المستقيم الذي تركنا عليه رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

ولهذا قال الإمام أبو جعفر بن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ: والذي هو أولى بتأويل هذه الآية عندي ـ أعني: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ أن يكون معنيًا به، وفقنا للثبات على ما ارتضيته ووفقت له مَنْ أنعمت عليه مِنْ عبادك، من قول وعمل، وذلك هو الصراط المستقيم؛ لأن مَن وفق لما وُفق له من أنعم الله عليهم مِن النبيين والصديقين والشهداء والصالحين، فقد وُفق للإسلام، وتصديق الرسل، والتمسك بالكتاب، والعمل بما أمره الله به، والانزجار عما زجره عنه، واتباع منهاج النَّبِي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومنهاج الخلفاء الأربعة، وكل عبد صالح، وكل ذلك من الصراط المستقيم»[(٢)].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أي: واتِّباع كل عبد صالح، والعبد الصالح: هو المستقيم على أمر الله ورسوله، مؤدي حقّ الله، وحق عباده.

■ **سؤال: يقول: المصيصي: بالتخفيف أو بالتشديد؟**

• **الجواب**: إن كان من المدينة السورية بالتخفيف مصيصي، وإن

---

(١) معجم الطبراني الكبير (١٠/ ١٩٩ برقم ١٠٤٥٤).
(٢) تفسير ابن جرير (١/ ١٧١).

يكن من مدينة في تركيا بالتشديد مصِّيصه، وقد يشتبه الإنسان بالنسبة إلى هذا وإلى هذا، والأمر سهل من عرف أنه من سوريا فهو مصيصي بالتخفيف، وإن عرف أنه من تلك التي في تركيا، فهو مصِّيصي بالتشديد، ومن جهل فالأمر سهل.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«فإن قيل: كيف يسأل المؤمن الهداية في كل وقت من صلاة وغيرها، وهو متصف بذلك؟ فهل هذا من باب تحصيل الحاصل أم لا؟

فالجواب: أن لا، ولولا احتياجه ليلًا ونهارًا إلى سؤال الهداية لما أرشده الله إلى ذلك، فإن العبد مفتقر في كل ساعة وحالة إلى الله تعالى في تثبيته على الهداية، ورسوخه فيها، وتبصره، وازدياده منها، واستمراره عليها، فإن العبد لا يملك لنفسه نفعًا ولا ضرًا إلَّا ما شاء الله، فأرشده تعالى إلى أن يسأله في كلِّ وقت أن يمده بالمعونة والثبات والتوفيق.

فالسعيد من وفقه الله تعالى لسؤاله، فإنه تعالى قد تكفل بإجابة الداعي إذا دعاه، ولا سيما المضطر المحتاج المفتقر إليه آناء الليل وأطراف النهار، وقد قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ ءَامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِى نَزَّلَ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَٱلْكِتَٰبِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ مِن قَبْلُ﴾ [النِّسَاء: ١٣٦] فقد أمر الذين آمنوا بالإيمان، وليس في ذلك من باب تحصيل الحاصل؛ لأن المراد الثبات والاستمرار والمداومة على الأعمال المعينة على ذلك.

وقال تعالى آمرًا لعباده المؤمنين أن يقولوا: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ

إِذۡ هَدَيۡتَنَا وَهَبۡ لَنَا مِن لَّدُنكَ رَحۡمَةًۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ ﴿٨﴾﴾ [آل عِمرَان: ٨] وقد كان الصدِّيق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ يقرأ بهذه الآية في الركعة الثالثة من صلاة المغرب بعد الفاتحة سرًا، فمعنى قوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ﴿٦﴾﴾ [الفَاتِحَة: ٦] استمر بنا عليه ولا تعدل بنا إلى غيره».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

وهذا كما قال المؤلف ليس من باب تحصيل الحاصل، إن كانوا مؤمنين قد هداهم الله إلى الصراط المستقيم، فهم يدعون الله في صلواتهم، ويطلبونه الهداية، فليس هذا من باب تحصيل الحاصل، ولكنه من باب الافتقار إلى الله وطلب الثبات على هذا الصراط، وطلب المزيد من البصيرة فيه، والفقه فيه، فكل إنسان بحاجة إلى أن يثبت على هذا الصراط، وأن يستقيم عليه، وأن يثبت عليه، وأن يزداد علمًا فيه وبصيرة، فإنه ذو شعب، وأعمال، وأقوال فعلًا وتركًا، فالعبد في حاجة إلى المزيد من العلم والبصيرة، في هذا الصراط مع الثبات عليه، والبقاء عليه، والاستمرار عليه، وهذا شرع الله لنا طلب الهداية، دائمًا لهذا الصراط، نسأله الثبات عليه والإرشاد إلى ما قد يخفي علينا منه، وأن يستمر بنا عليه، وأن لا يزغ قلوبنا عن هذه الهداية، فالعبد في أشد الحاجة دائمًا إلى طلب هذه الهداية، والله المستعان.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ٧﴾ [الفاتحة: ٧] قد تقدم الحديث فيما إذا قال العبد: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦﴾ [الفاتحة: ٦] إلى آخرها أن الله يقول: «**هَذَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ**»(١) وقوله: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ مفسر للصراط المستقيم، وهو بدل منه عند النحاة، ويجوز أن يكون عطف بيان، والله أعلم.

والذين أنعم الله عليهم: هم المذكورون في سورة النِّساء، حيث قال: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ٦٩ ذَٰلِكَ ٱلۡفَضۡلُ مِنَ ٱللَّهِۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ عَلِيمٗا ٧٠﴾ [النِّساء: ٦٩-٧٠].

وقال الضحاك، عن ابن عباس: صراط الذين أنعمت عليهم بطاعتك وعبادتك، من ملائكتك، وأنبيائك، والصديقين، والشهداء، والصالحين؛ وذلك ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [النِّساء: ٦٩].

وقال أبو جعفر، عن الربيع بن أنس: ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ قال: هم النَّبيون، **وقال ابن جُرَيْج**، عن ابن عباس: هم المؤمنون. وكذا قال مجاهد. وقال وكيع: هم المسلمون. وقال عبدالرحمن بن زيد بن أسلم: هم النَّبي ﷺ ومن معه، والتفسير المتقدم، عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أعم، وأشمل، والله أعلم».

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧١).

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

أقول: لاشك أن هذا تفسير لقوله تعالى: ﴿ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ۝٦﴾ [الفَاتِحَة: ٦] فإنه جلَّ وعلا أرشد عباده إلى أن يسألوه الهداية إلى صراطه المستقيم، ثم بين ذلك، فقال: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: ٧] فأوضح سبحانه أن الصِّراط المستقيم، هو صراط المنعم عليهم، وهم الذين وفقهم الله للعلم والعمل.

المنعمُ عليهم: هم أهل العلم النافع والعمل الصَّالح، وهم النبيون والصديقون، والشهداء والصالحون، المذكورون في سورة النِّساء في قوله: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَۚ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقٗا ۝٦٩﴾ [النِّسَاء: ٦٩] هؤلاء هم المنعم عليهم، وهم أهل العلم والعمل، الذين وفقهم الله فعرفوا الحقَّ وعملوا به وساروا عليه، فصاروا بذلك موصوفين بهذا الوصف العظيم، المنعم عليهم، ويدخل فيهم النَّبِي ﷺ والنبيون جميعًا والرُّسل، ويدخل فيهم المؤمنون، في كل أمة، ويدخل فيهم من يسمى بالمسلمين، المسلم أعم من المؤمن، وصراط المنعم عليهم هم الذين عرفوا الحقَّ، واستقاموا عليه، تسأل ربَّك أن يهديك صراطهم، حتى تكون سائرًا في سبيلهم، ومرافقًا لهم، في طريقهم.

ثم استثنى المغضوب عليهم، ولا الضالين؛ لأنَّهم ليسوا كذالك، المغضوب عليهم عرفوا ولم يعملوا، فحادوا عن الطريق، والضالون: جهلوا ولم يعلموا فتعبدوا على جهالة، هؤلاء ليسوا من أهل الصراط المستقيم، ليسوا من المنعم عليهم.

أمَّا اليهود وأشباههم من علماء السوء فلأنهم عرفوا ولم يعملوا

فلم يوفقوا للنعمة الكاملة، أعطوا نعمة ناقصة، نعمة العلم دون عمل، نعوذ بالله، فصار حُجَّة عليهم، وصار وبالًا عليهم.

والقسم الثاني: تعبدوا وعملوا، ولكن على جهل، وعلى غير هدى كالنصارى وأشباههم من الرُّهبان وعُبَّاد السوء، هؤلاء ليسوا من المنعم عليهم، وإنَّما المنعم عليهم هم الذين تفقهوا في الدِّين، وتبصروا فيه، وعرفوا دين الله وحقّه، ثم عملوا به، نسأل الله أن يجعلنا وإيَّاكم منهم».

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧] قرأ الجمهور: ﴿غَيۡرِ﴾ بالجر على النعت، قال الزمخشري: وقرئ بالنصب على الحال، وهي قراءة رسول الله ﷺ وعمر بن الخطاب، ورويت عن ابن كثير، وذو الحال الضمير في ﴿عَلَيۡهِمۡ﴾ والعامل: ﴿أَنۡعَمۡتَ﴾ والمعنى اهدنا الصراط المستقيم، صراط الذين أنعمت عليهم ممن تقدم وصفهم ونعتهم، وهم أهل الهداية والاستقامة والطاعة لله ورسله، وامتثال أوامره وترك نواهيه وزواجره، غير صراط المغضوب عليهم، وهم الذين فسدت إرادتهم، فعلموا الحقّ وعدلوا عنه، ولا صراط الضالين وهم الذين، فقدوا العلم فهم هائمون في الضلالة لا يهتدون إلى الحقِّ، وأكد الكلام بلا ليدل على أن ثَمّ مسلكين فاسدين، وهما طريقتا اليهود والنصارى.

وقد زعم بعض النحاة أن ﴿غَيۡرِ﴾ هاهنا استثنائية، فيكون على هذا منقطعًا لاستثنائهم من المنعم عليهم وليسوا منهم، وما أوردناه أولى، لقول الشاعر:

كأنَّك من جِمال بني أقَيش يُقَعْقَعُ عند رِجْلَيْه بشَنِّ

أي: كأنك جمل من جمال بني أقيش، فحذف الموصوف واكتفى بالصفة، وهكذا، ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفَاتِحَة: ٧] أي: غير صراط المغضوب عليهم، اكتفى بالمضاف إليه عن ذكر المضاف، وقد دل عليه سياق الكلام، وهو قوله تعالى: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ﴾ [الفَاتِحَة: ٦-٧] ثم قال تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ ومنهم من زعم أن «لا» في قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧] زائدة، وأن تقدير الكلام عنده: غير المغضوب عليهم والضالين، واستشهد ببيت العجاج:

في بئرٍ لا حُورٍ سرى وما شَعَر

أي: في بئر حور».

والصحيح ما قدمناه؛ ولهذا روى أبو عبيد القاسم بن سلَّام في كتاب فضائل القرآن، عن أبي معاوية، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أنه كان يقرأ: «**غَيْرِ المَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ، وَغَيْرِ الضَّالِّين**». وهذا إسناد صحيح»[١].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

هذا من باب التفسير، تفسير اللام بغير لإيضاح المعنى، والسند وإن قال المؤلف: إسناد صحيح، لكن فيه الأعمش[٢]، وقد عنعن.

---

(١) فضائل القرآن (٢/ ٢٧)، وأخرجه أبو داود في المصاحف (ص١٤٦)، وسعيد بن منصور في التفسير (١/ ١٨١).

(٢) وهو سليمان بن مهران أبو محمَّد ثقة حافظ عارف بالقراءات، لكنه يدلس. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٥٤، برقم ٢٦١٥).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وكذا حكي عن أبي بن كعب أنه قرأ كذلك، وهو محمول على أنه صدر منهما على وجه التفسير، فيدل على ما قلناه من أنه إنما جيء بلا لتأكيد النفي، لئلا يتوهم أنه معطوف على ﴿ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: ٧]، وللفرق بين الطريقتين لتجتنب كل منهما، فإن طريقة أهل الإيمان مشتملة على العلم بالحقِّ والعمل به، واليهود فقدوا العمل، والنصارى فقدوا العلم؛ ولهذا كان الغضب لليهود، والضلال للنصارى؛ لأنَّ من علم وترك استحقّ الغضب، بخلاف من لم يعلم، والنصارى لما كانوا قاصدين شيئًا لكنهم لا يهتدون إلى طريقه؛ لأنهم لم يأتوا الأمر من بابه، وهو اتِّباع الحق، ضلوا، وكل من اليهود والنصارى ضال مغضوب عليه، لكن أخص أوصاف اليهود الغضب، كما قال فيهم: ﴿مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيۡهِ﴾ [المَائدة: ٦٠] وأخص أوصاف النصارى الضلال، كما قال: ﴿قَدۡ ضَلُّواْ مِن قَبۡلُ وَأَضَلُّواْ كَثِيرٗا وَضَلُّواْ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ٧٧﴾ [المَائدة: ٧٧] وبهذا جاءت الأحاديث والآثار، وذلك واضح بين.

قال الإمام أحمد: **حدثنا** محمَّد بن جعفر، حدثنا شعبة، قال: سمعت سِماك بن حرب، يقول: سمعت عبَّاد بن حُبَيش، يحدث عن عدي بن حاتم، قال: جاءت خيل رسول الله ﷺ، فأخذوا عمتي وناسًا، فلما أتوا بهم إلى رسول الله ﷺ صفُّوا له، فقالت: يا رسول الله، ناء الوافد وانقطع الولد، وأنا عجوز كبيرة، ما بي من خدمة، فمُنّ عليَّ مَنّ الله عليك، قال: «**مَنْ رافدك؟**» قالت: عدي بن حاتم، قال: «**الذي فَرَّ مِنَ الله وَرَسُولِه**» قالت: فمنَّ عليَّ، فلما رجع، ورجل إلى جنبه، ترى أنه علي، قال: سليه حُمْلانًا، فسألته، فأمر لها، قال: فأتتني فقالت:

لقد فعل فعلة ما كان أبوك يفعلها، فإنه قد أتاه فلان فأصاب منه، وأتاه فلان فأصاب منه، فأتيته فإذا عنده امرأة وصبيان، وذكر قربهم من النَّبيّ ﷺ، قال: فعرفت أنه ليس بملك كسرى ولا قيصر.

فقال: «**يَا عَدِيُّ مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَهَلْ مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللهُ**» قال: «**مَا أَفَرَّكَ أَنْ يُقَالَ: اللهُ أَكْبَرُ فَهَلْ شَيْءٌ هُوَ أَكْبَرُ مِنَ اللهِ** عَزَّ وَجَلَّ» قَالَ: فَأَسْلَمْتُ فَرَأَيْتُ وَجْهَهُ اسْتَبْشَرَ، وقال: «**إِنَّ الْمَغْضُوبَ عَلِيهِمُ الْيَهُودُ، وَإِنَّ الضَّالِّينَ النَّصَارَى**»(١) وذكر الحديث.

ورواه الترمذي، من حديث سِماك بن حرب، وقال: حسن غريب لا نعرفه إلَّا من حديثه(٢).

قلت: وقد رواه حماد بن سلمة، عن سِماك، عن مُرِّيّ بن قَطَريّ، عن عدي بن حاتم، قال: سألت رسول الله ﷺعن قول الله تعالى: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ قال: هم اليهود ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧] قال: النصارى هم الضالون، وهكذا رواه سفيان بن عيينة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم به».

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

وهذا أصح الأسانيد الثلاثة، هذا ـ الأخير ـ أصحها. والله المستعان.

---

(١) المسند (٤/٣٧٨، برقم١٩٤٠٠)، والطبراني في المعجم الكبير (١٢/١٩، برقم١٣٦٩١) قال الهيثمي في مجمع الزوائد (٦/٢١٧، برقم ١٠٣٥٢) رواه أحمد، والطبراني ورجاله رجال الصحيح غير عباد بن حبيش وهو ثقة. قال: وقد تقدم حديث عدي في المسند (٥/٤٠١، برقم ٩٧١٩).

(٢) أخرجه الترمذي برقم (٢٩٥٣، ٢٩٥٤).

والنظر التقريب في ترجمة عباد بن حبيش، ومُري بن قَطَري؟

القارئ هو: عباد بن حبيش، بمهملة وموحدة ومعجمة مصغرة الكوفي مقبول من الثالثة، أخرج له الترمذي(١).

و«مُري» بالتصغير النسب ابن قَطَرِي بفتحتين وكسر الراء مخففا الكوفي، مقبول من الثالثة، روى له الأربعة(٢).

ومن هذا يعلم أن هذا الحديث عن عدي ثابت من هذه الطرق، وأحسنها طريق الشعبي عن عدي.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد روي حديث عدي هذا من طرق، وله ألفاظ كثيرة يطول ذكرها.

وقال عبدالرزاق: أخبرنا مَعْمَر، عن بُدَيْل العُقَيْلي، أخبرني عبدالله بن شَقِيق، أنه أخبره من سمع رسول الله ﷺ، وهو بوادي القُرَى، وهو على فرسه، وسأله رجل من بني القين، فقال: يا رسول الله، من هؤلاء؟ قال: «**المغضوب عليهم ـ وأشار إلى اليهود ـ والضالون هم النصارى**»(٣).

وقد رواه الجُرَيري وعروة، وخالد الحَذَّاء، عن عبدالله بن شقيق، فأرسلوه، ولم يذكروا من سمع النَّبِي ﷺ، ووقع في رواية عروة تسمية عبدالله بن عمر، فالله أعلم.

---

(١) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٩، برقم ٣١٢٤).
(٢) ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٥٢٦، برقم ٦٥٧٨).
(٣) تفسير عبدالرزاق (١/ ٣٧).

وقد روى ابن مَرْدُويه: من حديث إبراهيم بن طَهْمان، عن بديل بن ميسرة، عن عبدالله بن شقيق، عن أبي ذر قال: سألت رسول الله ﷺ عن المغضوب عليهم، قال: «**اليهود**»، قال قلت: الضآلين، قال: «**النصارى**».

وقال السُّدِّي، عن أبي مالك، وعن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مرة الهمداني، عن ابن مسعود، وعن أناس من أصحاب النَّبِيّ ﷺ: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ هم اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هم النصارى.

قال الضحاك، وابن جُرَيْج، عن ابن عباس: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ اليهود، ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ هم النصارى».

قال المعلق رحمه الله:

المعنى، وإن كان الأمر فيهم، أي: اليهود والنصارى، فاليهود أخص بالغضب، والنصارى اخص بالضلالة؛ لأن اليهود علموا ولم يعملوا، فاستحقوا الغضب، كما قال عز وجل: ﴿فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ﴾ [البَقَرَة: ٩٠] والنَّصارى غلبت عليهم الجهالة في التعبد فصاروا ضالين، وكل منهم له نصيب من الغضب والضلال، كل منهم مغضوب عليه وضال، لكن اليهود أخص بوصف الغضب؛ لأن ذنبهم أعظم وهو أنهم لم يعملوا بعلمهم، والنصارى أخص باسم الضلالة لجهلهم، وهذا يشمل أمثالهم، كما قال سفيان بن عيينة من فسد من علمائنا ففيه شبه من اليهود، ومن فسد من عُبادنا ففيه شبه من النصارى، فمن تعبد على الجهالة أشبه النصارى، ومن خالف العلم أشبه اليهود، فهذا يكون له نصيبه من الغضب، وهذا له نصيبه من الضلال، نسأل الله العافية.

فليحذر طالب العلم، يحذر غاية الحذر أن يشبه اليهود، يعلم ويتبصر ويتفقه، ثم يخالف عمله علمه، فهذه مشابهة ظاهرة لأعداء الله اليهود، وليحذر العباد، من التعبد على جهالة، وليتعلموا وليتبصروا، حتى لا يكونوا مشبهين للنصارى.

قال المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ:

«وكذلك قال الربيع بن أنس، وعبدالرَّحمن بن زيد بن أسلم، وغير واحد، وقال ابن أبي حاتم: ولا أعلم بين المفسرين في هذا اختلافًا.

وشاهد ما قاله هؤلاء الأئمة من أن اليهود مغضوب عليهم، والنصارى ضالون، الحديث المتقدم، وقوله تعالى في خطابه مع بني إسرائيل في سورة البقرة: ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ ۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٍ ۚ وَلِلْكَٰفِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩٠﴾﴾ [البَقَرَة: ٩٠] وقال في المائدة: ﴿قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المَائدة: ٦٠].

قال المعلق رَحِمَهُ اللَّهُ:

جمع لهم بين الغضب والضلال، نسأل الله العافية.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقال تعالى: ﴿لُعِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ لِسَانِ دَاوُۥدَ وَعِيسَى ٱبۡنِ مَرۡيَمَۚ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَواْ وَّكَانُواْ يَعۡتَدُونَ ۝٧٨ كَانُواْ لَا يَتَنَاهَوۡنَ عَن مُّنكَرٖ فَعَلُوهُۚ لَبِئۡسَ مَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ۝٧٩﴾ [المائدة: ٧٨-٧٩].

وفي السيرة: عن زيد بن عمرو بن نفيل، أنه لما خرج هو وجماعة من أصحابه إلى الشام يطلبون الدين الحنيف، قالت له اليهود: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من غضب الله، فقال: أنا من غضب الله أفر، وقالت له النصارى: إنك لن تستطيع الدخول معنا حتى تأخذ بنصيبك من سَخَط الله، فقال: لا أستطيعه، فاستمر على فطرته، وجانب عبادة الأوثان ودين المشركين، ولم يدخل مع أحد من اليهود ولا النصارى، وأمَّا أصحابه فتنصروا ودخلوا في دين النصرانية؛ لأنهم وجدوه أقرب من دين اليهود إذ ذاك، وكان منهم ورقة بن نوفل، حتى هداه الله بنبيه لما بعثه آمن بما وجد من الوحي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ(١).

مسألة:

والصحيح من مذاهب العلماء أنه يغتفر الإخلال بتحرير ما بين الضاد والظاء لقرب مخرجيهما؛ وذلك أن الضاد مخرجها من أوَّل حافة اللسان وما يليها من الأضراس، ومخرج الظاء من طرف اللسان وأطراف الثنايا العليا؛ ولأن كلًا من الحرفين من الحروف المجهورة ومن الحروف الرخوة ومن الحروف المطبقة، فلهذا كله اغتفر استعمال أحدهما مكان الآخر لمن لا يميز ذلك، وأمَّا حديث: «**أَنَا أَفْصَحُ مَن**

---

(١) ينظر: السيرة النبوية لابن هشام (١/ ٢٢٤)، والسيرة النبوية لابن كثير (١/ ١٥٦).

نَطَقَ بِالضَّاد» فلا أصل له[(١)]».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

كثير من الناس قد يتكلف في الضاد والظاء، والمؤلف يبين أن الأمر في هذا واسع؛ لأنَّ مخرجيهما متقارب، فيغتفر تحرير ذلك، في ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧] فلا ينبغي التشديد في ذلك.

* * *

(١) وإن كان معناه صحيحًا، قال سماحته في مجموع فتاوى ومقالات متنوعة: «لا يعرف له إسناد» (٢٦/ ٣٨٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصل

«اشتملت هذه السورة الكريمة، وهي سبع آيات، على حمد الله وتمجيده والثناء عليه، بذكر أسمائه الحسنى المستلزمة لصفاته العليا، وعلى ذكر المعاد وهو يوم الدين، وعلى إرشاد عبيده إلى سؤاله والتضرع إليه، والتبرؤ من حولهم وقوتهم، وإلى إخلاص العبادة له وتوحيده بالألوهية تبارك وتعالى، وتنزيهه أن يكون له شريك أو نظير أو مماثل، وإلى سؤالهم إيَّاه الهداية إلى الصَّراط المستقيم، وهو الدِّين القويم، وتثبيتهم عليه حتى يُفضي لهم ذلك إلى جواز الصَّراط الحسي يوم القيامة، المفضي بهم إلى جنات النعيم في جوار النَّبيِّين، والصِّديقين، والشهداء، والصَّالحين.

واشتملت على الترغيب في الأعمال الصَّالحة؛ ليكونوا مع أهلها يوم القيامة، والتحذير من مسالك الباطل؛ لئلا يحشروا مع سالكيها يوم القيامة، وهم المغضوب عليهم والضالون، وما أحسن ما جاء إسناد الإنعام إليه في قوله تعالى: ﴿صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمۡتَ عَلَيۡهِمۡ﴾ وحذف الفاعل في الغضب في قوله تعالى: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: ٧] وإن كان هو الفاعل لذلك في الحقيقة، كما قال تعالى: ﴿أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوۡاْ قَوۡمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم﴾ [المجَادلة: ١٤].

وكذلك إسناد الضلال إلى من قام به، وإن كان هو الذي أضلهم بقدَره، كما قال تعالى: ﴿مَن يَهۡدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلۡمُهۡتَدِۖ وَمَن يُضۡلِلۡ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيّٗا مُّرۡشِدٗا ١٧﴾ [الكهف: ١٧] قال: ﴿مَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ فَلَا هَادِيَ لَهُۥۚ وَيَذَرُهُمۡ فِي طُغۡيَٰنِهِمۡ يَعۡمَهُونَ ١٨٦﴾ [الأعرَاف: ١٨٦] إلى غير ذلك من الآيات الدالة على

أنه سبحانه هو المتفرد بالهداية والإضلال، لا كما تقوله الفرقة القدرية ومن حذا حذوهم، من أن العباد هم الذين يختارون ذلك ويفعلونه، ويحتجون على بدعتهم بمتشابه من القرآن، ويتركون ما يكون فيه صريحًا في الرد عليهم، وهذا حال أهل الضلال والغي.

وقد ورد في الحديث الصَّحيح: «**إِذَا رَأَيْتَم الذينَ يَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ، فَأُولَئِكَ الذينَ سَمَّى اللهُ، فَاحْذَرُوهُمْ**»(١) يعني: في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ﴾ [آل عِمرَان: ٧] فليس بحمد الله لمبتدع في القرآن حُجَّة صحيحة؛ لأنَّ القرآن جاء ليفصل الحقّ من الباطل مفرقًا بين الهدى والضلال، وليس فيه تناقض ولا اختلاف؛ لأنه من عند الله، تنزيل من حكيم حميد».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

يعني: وإنَّما المصيبة تقع من فهم بعض الناس.

وكم من عائبٍ قولًا صحيحًا   وآفته من الفهم السقيم

فهذه السورة العظيمة، سورة الفاتحة اشتملت على هذه المقاصد التي ذكرها المؤلف الحافظ، اشتملت على ثناء الله على نفسه، وتوجيه عباده إلى أن يثنوا عليه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، فقد وجههم في أولها إلى الثناء عليه بأنَّه ربهم وإلههم، وأنه الرَّحمن الرَّحيم، وأنَّه المستحق للحمد، وأنه مالك يوم الدِّين، حتى تستقر هذه الصِّفات في قلوب عباده، ويعرفوا بها ربهم عَزَّ وَجَلَّ، فتعرف إليهم بهذا، أنه المحمود على كل حال، وأنه الرَّحمن، وأنه الرَّحيم، وأنه مالك يوم الدين.

(١) متفق عليه من حديث عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهَا أخرجه البخاري برقم (٤٥٤٧)، ومسلم برقم (٢٦٦٥).

ثم وجههم بعد ذلك إلى أن يقولوا: إيَّاك نعبد وإيَّاك نستعين، فيخصوه بالعبادة، ويستعينوا به على كل المهمات؛ لأنهم عبيده، وهم فقراء إليه، وهو معبود هم الحقّ، فأرشدهم إلى أن يثنوا عليه، وإلى أن يقروا بأنه معبودهم الحقّ، وأنَّه المستعان، ثم وجههم إلى طلب الهداية؛ لأنهم بأشد الحاجة إلى الهداية، فأرشدهم إلى أن يطلبوها منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، الهداية إلى صراطه المستقيم، وهو طريق واضح الذي نصبه لعباده، على أيد الرُّسل عليهم الصلاة والسلام.

ثم أوضح أنه هو صراط المنعم عليهم، ليس هناك صراط آخر، فهو صراط الله المستقيم، وهو صراط الرُّسل وأتباعهم، وهم المنعم عليهم، ثم أرشدهم إلى أن يستعيذوا من طريق المغضوب عليهم، والضالين، وأن يبتعدوا عنه، وعن أسبابه، حتى لا يحشروا معهم، فمن سلك الطريق القويم حشر مع المنعم عليهم، وهم النَّبيون والصِّديقون الشهداء والصَّالحون، ومن حاد عن هذا صار مع المغضوب عليهم والضالين، مع اليهود والنصارى وأشبههم.

هذا كله من رحمة الله وإحسانه إلى عباده، أن وجههم إلى هذا الخير، وأرشدهم إليه، وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى الذي يهدي من يشاء، ويضل من يشاء، فقد غضب على اليهود وأشباههم؛ لأنَّهم عرفوا وعلموا ولم يعملوا، وأضل النَّصارى لجهلهم وابتعادهم عن الهدى، وعدم عنايتهم بأسباب النجاة، فصاروا ضالين، فهو يهدي من يشاء فضلًا منه، ويضل من يشاء عدلًا منه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فبيده تصريف الأمور.

وأمَّا قول المعتزلة القدرية النفاة: أن العبد يخلق فعله هذا من جهلهم وضلالهم؛ ولهذا شابهوا المجوس، ولو تدبروا وعقلوا لعرفوا

ما بين الله لهم في كتابه العظيم؛ لكونه يهدي من يشاء ويضل من يشاء، والعبد له اختيار، أي: ليس مجبورًا، له اختيار، وله إرادة، في هذه الحالة لاختيار هذه الإرادة، وهذا العمل، تعلق به الثواب والعقاب، وهو لا يخرج عن قدر الله، وعن ما سبق بعلمه سبحانه وتعالى، فالتبست عليهم الأمور فصاروا إلى الباطل، وظنوا أنهم على هدى، وأن هذه الأعمال التي فعلوها ليست عن قدر، وأنها باختيارهم ومشيئتهم، فأخطأوا الصَّواب، وحادوا عن الطريق الحق، وهي باختيارهم، وهي بمشيئتهم، وهم مؤاخذون عليها، فقد أصابوا في هذا؛ لكن أخطأوا في إخراجها عن قدر الله، وعن علمه السابق، وعن مشيئته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ.

وهكذا كل الطوائف تجدها إذا تأملتها أصابت في شيء وأخطأت في شيء، فالموفقون يأخذون بصواب ما مع الفرق، ويتبرؤون من خطئه وضلاله، وهم أهل السنة والجماعة، جمعوا بين الحق، وابتعدوا عن الباطل، فأخذوا ما عند أولئك الفرق من الحقّ والصواب، ودانوا به، وتبرؤوا مما هم فيه من الباطل وما هم عليه من الباطل وابتعدوا عنه وحذروا منه.

❊ ❊ ❊

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

فصل

«يستحب لمن يقرأ الفاتحة أن يقول بعدها: آمين مثل: يس، ويقال: أمين. بالقصر أيضًا، ومعناه: اللَّهم استجب، والدليل على ذلك ما رواه الإمام أحمد وأبو داود، والترمذي، عن وائل بن حجر، قال: سمعت النَّبيَّ ﷺ قرأ: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ﴾ [الفَاتِحَة: ٧] فقال: «**آمين**» مدَّ بها صوته، ولأبي داود: رفع بها صوته، وقال الترمذي: هذا حديث حسن[(١)]. وروي عن علي، وابن مسعود وغيرهم.

وعن أبي هريرة، قال: كان رسول الله ﷺ إذا تلا ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧]. قال: «**آمين**» حتى يَسمع من يليه من الصف الأول، رواه أبو داود، وابن ماجه، وزاد: «**فَيَرْتَجُّ بِهَا المَسْجِدُ**»، والدارقطني، وقال: هذا إسناد حسن[(٢)].

وعن بلال أنه قال: يا رسول الله، لا تسبقني بآمين. رواه أبو داود[(٣)]. ونقل أبو نصر القشيري: عن الحسن وجعفر الصَّادق أنهما شددا الميم من آمين مثل: ﴿ءَآمِّينَ ٱلۡبَيۡتَ ٱلۡحَرَامَ﴾ [المَائدة: ٢].

قال أصحابنا وغيرهم: ويستحب ذلك لمن هو خارج الصَّلاة، ويتأكد في حقِّ المصلِّي، وسواء كان منفردًا أو إمامًا أو مأمومًا، وفي جميع الأحوال، لما جاء في الصحيحين، عن أبي هريرة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُ، أنَّ

---

(١) أخرجه الإمام أحمد (٤/ ٣١٥، ٣١٨، برقم ١٨٨٦٢، ١٨٨٩٣) وأبو داود برقم (٩٣٢) والترمذي برقم (٢٤٩).

(٢) أخرجه أبو داود برقم (٩٣٤) وابن ماجه برقم (٨٥٣)، والدارقطني برقم (١).

(٣) أخرجه أبي داود برقم (٩٣٧).

رَسُول الله ﷺ قال: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا، فَإِنَّهُ مَنْ وَافَقَ تَأْمِينُهُ تَأْمِينَ المَلَائِكَةِ غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**»»[(١)].

ولمسلم: أن رسول الله ﷺ قال: «**إِذَا قَالَ: أَحَدُكُمْ فِي الصَّلَاةِ آمِينَ، وَالمَلَائِكَةُ فِي السَّمَاءِ آمِينَ، فَوَافَقَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَى غُفِرَ لَهُ مَا تقدم مِنْ ذَنْبِهِ**»[(٢)].

قيل: بمعنى من وافق تأمينه تأمين الملائكة في الزمان، وقيل: في الإجابة، وقيل: في صفة الإخلاص.

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب الأول: لظاهر النص أنه الزمان، فإذا توافقا في الزمان صار هذا من أسباب المغفرة، في الحديث إذا قال الإمام ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ فقولوا: آمين، هذه هي السنة أن يقال: آمين، واللغات ثلاث: آمين كـ«يس»، وأمين كـ«أمير»، وآمّين بالشديد من القصد، والأفصح هو الأول، والأرجح هو الأول آمين بالتخفيف والمد، بمعنى: استجب يا ربنا، وأمين لغة، ولكنها ليست فصيحة في هذا، وأمَّا آمّين فليس لها معنى هنا؛ لأن معنى آمّين يعنى قاصدين كذا وكذا، أمّ كذا أي قصد، وقد تؤل على معنى آمّين، يعني: قاصدين وجهك، ولكن ليس المراد هنا، إنما المراد هنا طلب الإجابة، فآمين هو أفصحها بالمد والتخفيف، بمعنى استجب يا ربنا.

---

(١) أخرجه البخاري برقم (٧٨٠)، ومسلم برقم (٤١٠).

(٢) أخرجه مسلم برقم (٤١٠) وقد أخرجه البخاري أيضًا برقم (٧٨١).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وفي صحيح مسلم عن أبي موسى مرفوعًا: «**إِذَا قَالَ، يعني: الإِمَام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝﴾ [الفَاتِحَة: ٧] فَقُولُوا: «آمِين. يُجِبْكُم الله**»[(١)].

وقال جُوَيبر عن الضحاك عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا، قال: قلت: يا رسول الله، ما معنى آمين؟ قال: «**رب افعل**».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

جويبر عن الضحاك هذا ليس بشيء سند في غاية السقوط[(٢)] نعم ليس بشيء، والعجب من المؤلف كيف يسوقه ويسكت، وهو ممن يعرف هذا الشأن رحمة الله عليه.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«**وقال الجوهري**: معنى آمين: كذلك فليكن، وقال الترمذي: معناه: لا تخيب رجاءنا، وقال الأكثرون: معناه: اللهم استجب لنا، وحكى القرطبي عن مجاهد وجعفر الصادق وهلال بن كيسان: أن آمين اسم من أسماء الله تعالى وروي عن ابن عباس مرفوعًا ولا يصح، قاله أبو بكر بن العربي المالكي[(٣)].

قال أصحاب مالك: لا يؤمن الإمام ويؤمن المأموم، لما رواه

---

(١) أخرجه مسلم برقم (٤٠٤).

(٢) قال الحافظ ابن حجر: جويبر تصغير جابر، ويقال اسمه جابر، وجويبر لقب، بن سعيد الأزدي، أبو القاسم البلخي، نزيل الكوفة راوي التفسير، ضعيف جدًا من الخامسة مات بعد الأربعين بعد [٢٠٠] أخرج له البخاري تعليقًا، وابن ماجه. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص ١٤٣ برقم ٩٨٧).

(٣) ينظر: تفسيره الجامع لأحكام القرآن للقرطبي (١/ ١٢٨).

مالك عن سُمَيّ، عن أبي صالح عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: «**وَإِذَا قَالَ، يعني: الإمام** ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **فقولوا: آمين**». الحديث[١]. واستأنسوا أيضًا بحديث أبي موسى عند مسلم: «**وإذا قرأ:** ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾، **فقولوا: آمين**».

وقد قدمنا في المتفق عليه: «**إِذَا أَمَّنَ الإِمَامُ فَأَمِّنُوا**»[٢] وأنه عليه الصَّلاة والسَّلام كان يؤمن إذا قرأ ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧]».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والمعنى لا منافاة بين الأحاديث قوله: «**إذا قال:** ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ **فقولوا: آمين**» معناه: لا ينتظروا، لو لم يؤمن أمن المأمومون، وقوله: «**إذا أمن فأمنوا**» دليل على أنه يؤمن أيضًا هو معهم، وقول مالك هنا ومن وافقه، ليس بجيِّد، بل هو ضعيف، والصواب: أنه يؤمن الإمام والمأموم، والمنفرد، سنة، في الصَّلاة وخارجها.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد اختلف أصحابنا في الجهر بالتأمين في العموم في الجهرية، وحاصل الخلاف: أن الإمام إن نسي التأمين جهر المأموم به قولًا واحدًا، وإن أمَّن الإمام جهرًا فالجديد أنه لا يجهر المأموم وهو مذهب أبي حنيفة، ورواية عن مالك؛ لأنه ذكر من الأذكار فلا يجهر به كسائر أذكار الصَّلاة، والقديم أنه يجهر به، وهو مذهب الإمام أحمد بن حنبل،

---

(١) أخرجه في الموطأ برقم (٤٥) وعن طريقه البخاري برقم (٧٨٢)، ومسلم برقم (٤١٠).

(٢) سبق تخريجه في صفحة (٢٠٧).

والرواية الأخرى عن مالك، لما تقدم «**فَيَرْتَجُّ بِهَا الْمَسْجِدُ**»[(١)].

ولنا قول آخر ثالث: أنه إن كان المسجد صغيرًا لم يجهر المأموم؛ لأنهم يسمعون قراءة الإمام، وإن كان كبيرًا جهر ليبلغ التأمين مَنْ في أرجاء المسجد، والله أعلم».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

والصواب: هو القول الأول: أن الكل يجهر الإمام والمأموم يجهرون، وهكذا المنفرد إذا صلى وحده؛ لكونه مريضًا أو فاتته الصَّلاة مع الجماعة، في الجهرية.

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وقد روى الإمام أحمد في مسنده، عن عائشة رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهَا أن رسول الله ﷺ ذكرت عنده اليهود، فقال: «**إِنَّهُم لَن يَحْسُدُونَا عَلَى شَيْءٍ كَمَا يَحْسُدُونَا عَلَى الجُمُعَةِ التي هَدَانَا الله لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى القِبْلَةِ التي هَدَانَا اللهُ لَهَا وَضَلُّوا عَنْهَا، وَعَلَى قَوْلِنَا خَلْفَ الإِمَامِ آمِينَ**»[(٢)].

ورواه ابن ماجه ولفظه: «**مَا حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى السَّلَامِ وَالتَّأْمِينِ**»[(٣)]، وله عن ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا أن رسول الله ﷺ قال: «**مَا حَسَدَتْكُمُ اليَهُودُ عَلَى شَيْءٍ مَا حَسَدَتْكُمْ عَلَى قول: آمِينَ، فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: آمِينَ**»[(٤)] وفي إسناده طلحة بن عمرو، وهو

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٠٦).
(٢) أخرجه في المسند (٦/ ١٣٤، برقم ٢٥٠٧٣).
(٣) أخرجه ابن ماجه برقم(٨٥٦).
(٤) أخرجه ابن ماجه في الموضع السابق، برقم (٨٥٧) دون قوله: «فَأَكْثِرُوا مِنْ قَوْلِ: آمِينَ».

ضعيف[(١)].

وروى ابن مَرْدُويه، عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «آمين: **خاتم رب العالمين على عباده المؤمنين**»[(٢)].

قال المعلق رحمه الله:

مفردات ابن مردويه في الغالب ضعيفة، وهو متأخر، له تفسير يجمع فيه الغث والسمين، ولهذا غالب على مفرداته الضعف[(٣)].

قال المؤلف رحمه الله:

«وعن أنس، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أعطيت آمين في الصَّلاة وعند الدعاء، لم يعط أحد قبلي إلَّا أن يكون موسى، كان موسى يدعو، وهارون يؤمن، فاختموا الدعاء بآمين، فإن الله يستجيب لكم»[(٤)].

قلت: ومن هنا نزع بعضهم في الدلالة بهذه الآية الكريمة، وهي قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبَّنَآ إِنَّكَ ءَاتَيْتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَهُۥ زِينَةً وَأَمْوَٰلًا فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا رَبَّنَا لِيُضِلُّوا۟ عَن سَبِيلِكَ ۖ رَبَّنَا ٱطْمِسْ عَلَىٰٓ أَمْوَٰلِهِمْ وَٱشْدُدْ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُوا۟ حَتَّىٰ يَرَوُا۟ ٱلْعَذَابَ ٱلْأَلِيمَ ﴿٨٨﴾ قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾﴾ [يونس: ٨٨-٨٩].

---

(١) قال فيه الحافظ ابن حجر: طلحة بن عمرو بن عثمان متروك. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٢٨٣، برقم ٣٠٣٠).

(٢) أخرجه ابن عدي في الكامل في الضعفاء (٦/ ٤٤٠، برقم ١٩١٦) مؤمل بن عبدالرحمن، وقال: عامة أحاديثه غير محفوظة، و الطبراني في الدعاء (١/ ٨٩، برقم ٢١٩).

(٣) وهذا الخبر مما انفرد به. ينظر: في المسند (٦/ ١٣٤، برقم ٢٥٠٧٣).

(٤) أخرجه في المسند (٦/ ١٣٤، برقم ٢٥٠٧٣).

فذكر الدعاء عن موسى وحده، ومن سياق الكلام ما يدل على أن هارون أمَّن، فنزل منزلة من دعا؛ لقوله تعالى: ﴿قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا﴾ فدلّ ذلك على أن من أمَّن على دعاء، فكأنما قاله؛ فلهذا قال من قال: إن المأموم لا يقرأ؛ لأنَّ تأمينه على قراءة الفاتحة بمنزلة قراءتها؛ ولهذا جاء في الحديث: «مَنْ كَانَ لَهُ إِمَامٌ فَقِرَاءَةَ الإِمَامِ لَهُ قِرَاءَةٌ»(١) رواه أحمد في مسنده».

قال المعلق رحمه الله:

ولكنه ضعيف؛ ولهذا كان الصَّواب: قول من قال: بوجوب القراءة على الجميع، وهذا مما احتج به الجمهور على عدم وجوب القراءة على المأموم، ولكنه ضعيف؛ ولهذا لم يلتفت إليه من قال: بوجوبها كالبخاري، والشَّافعي رحمهما الله على العموم، والعجب من المؤلف كيف سكت عنه، وهو معروف لديه ولدى غيره، وهو خلاف مذهب الشَّافعيّ الذي هو مذهب المؤلف رحمه الله، فهذا من الغرائب.

▪ **سؤال: ما سبب ضعف الحديث؟**

• **الجواب:** رواية ضعفاء في سنده ضعفاء، قد دلسهم بعض الرواة.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٧٩) من حديث جابر رضي الله عنه، كما أخرجه الطبراني في الأوسط (٨/ ٢٨٤، برقم ٧٥٧٥) من حديث أبي سعيد، وعبدالرزاق عن عبدالله بن شداد (٢/ ١٣٦، برقم ٢٧٩٧) وابن أبي شيبة (١/ ٣٣٠، برقم ٣٧٧٩) والحديث ضعيف.

كما قال سماحة الشيخ ففي إسناده جابر الجعفي ضعيف ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص١٣٧، برقم ٨٧٨) وفيه أبو هارون العبدي عمارة بن جوين متروك. ينظر: ترجمته في تقريب التهذيب (ص٤٠٨، برقم ٤٨٤٠).

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

«وكان بلال يقول: «لا تسبقني بآمين يا رسول الله ﷺ»، **فدل هذا المنزع على أن المأموم لا قراءة عليه في الجهرية؛ ولهذا قال ابن مَرْدُويه**: حدثنا أحمد بن الحسن، حدثنا عبدالله بن محمَّد بن سلَّام، حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا جرير، عن ليث عن أبي سليم، عن كعب، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: «**إِذَا قَالَ الإِمَام**: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾ [الفَاتِحَة: ٧] **فقال: آمِينَ، فَوَافَقَ آمِينُ أَهْل الأَرْضِ آمِينَ أَهلِ السَّمَاءِ، غُفِرَ اللهُ لِلْعبْدِ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه**»[(١)].

ومثل من لا يقول: آمين، كمثل رجل غزا مع قوم، فاقترعوا، فخرجت سهامهم، ولم يخرج سهمه، فقال: لِمَ لَمْ يخرج سهمي؟ فقيل: إنك لم تقل: آمين».

قال المعلق رَحِمَهُ ٱللَّهُ:

سلَّام... بن سلَّام بالتَّشديد، عن ليث بن أبي سليم عن غلط. ليث بن أبي سليم.

وهذا من رواية الليث، والليث ضعيف، الليث بن أبي سليم من الضعفاء[(٢)].

وبهذا التعليق تم تعليق سماحة الشيخ عبدالعزيز بن عبدالله بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ على مقدمة الحافظ ابن كثير رَحِمَهُ ٱللَّهُ مع تفسير سورة الفاتحة.

---

(١) سبق تخريجه في صفحة (٢٠٧).

(٢) قال عنه الحافظ ابن حجر في تقريب التهذيب: «الليث بن أبي سُليم بن زنيم، بالزاي والنون، مصغر، واسم أبيه أيمن، وقيل: أنس، وقيل: غير ذلك، صدوق اختلط جدًا، ولم يتميَّز حديثه، فترك، من السادسة، مات سنة ثمان وأربعين ومائة، أخرج له البخاري تعليقًا، ومسلم مقرونًا بغيره، وأصحاب السنن الأربعة». ينظر: ترجمته في التقريب التهذيب للحافظ ابن حجر (ص٤٦٤، برقم ٥٦٨٥).

الخلاصة

هذه خلاصة موجزة لبعض أهم وقفات وترجيحات سماحة الشيخ رَحِمَهُ اللهُ واختياراته وهي:

* يقرر سماحته: عمومية رسالة نبينا محمد ﷺ للثقلين الإنس والجن، وأن الواجب عليهم الإيمان به، والعمل بما جاء به من القرآن والسنة، وعدم الإعراض عن ذلك، وأن المقصود من معرفة تفسير القرآن هو تيسير العمل به.

* كما يؤكّد سماحته: أن المؤمن عليه ألَّا ييأس ولا يقنط، بسبب ضعف إيمانه وقسوة قلبه؛ بل يبادر بالتوبة والإقبال على الله ليحيي الله قلبه، كما يحيي الأرض بعد موتها.

* ينبه سماحته: إلى أن أصح طرق التفسير: هو تفسير القرآن بالقرآن، ثم بصحيح السنة، ثم بدلالة اللغة العربية، ثم بأقوال الصحابة، ثم بأقوال التابعين، وأن من أخذ بهذا، فقد أتى الأمر من بابه واتبع أحسن الطرق المأثورة.

* يرى سماحته: أن تفسير القرآن بالرأي المعتمد على الأدلة الشرعية كدلالة اللغة ونحوها هو أخذ للتفسير برأي صحيح، وإنما المذموم المحرم: هو تفسير القرآن بمجرد الرأي.

* ويرى سماحته: أن من التفسير ما استأثر الله بعلمه، لحكمة يعلمها هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ، فلا ينبغي التكلف لمعرفة حقيقة ما أبهمه الله؛ والغالب

فيما أبهمه الله أنه لا يترتب عليه حكم شرعي.

* يؤكّد سماحته: أن الواجب على العلماء وطلاب العلم: إذا أشكل عليهم أمر أن يتوقفوا ويقولوا: لا ندري، أو لا نعلم، فهذا من تمام العلم.

* يرجح سماحته: أن الأفضل أن يُخَتمْ القرآن في كل أسبوع مرةً أي في الشهر أربع مرات.

* ينبه سماحته: إلى أن الخاص والمقيد يقضيان على عام الكتاب والسنة ومطلقهما، فيخصان عمومهما ويقيدان مطلقهما.

* يرى سماحته: أن أخبار بني إسرائيل والحسابين والفلكين والفلاسفة وأشباههم، نصدق منها ما علمنا صحته مما عندنا، ونكذب منها ما علمنا كذبه مما عندنا، ونتوقف فيما دون ذلك لا نكذب ولا نصدق، ولكن لا بأس أن نخبر به ونحدِّث به عنهم.

* يؤكد سماحته: أن سورة الفاتحة أعظم سورة في القرآن وأنفع سورة لما اشتملت عليه من المعاني العظيمة التي يرجع إليها القرآن، والمشهور أنها سورة مكية، وآياتها سبع، وقد ورد في فضلها أحاديث كثيرة.

* ذكر سماحته: أن الاستعاذة: هي الالتجاء إلى الله من شر شياطين الإنس والجن، ولها صيغتان مشهورتان، وأن موضعها ومكانها الصحيح قبل بدء القراءة، وهي سنة مؤكدة.

* ويرى سماحته: أن البسملة سنة، وهو قول جمهور العلماء، وعند بدء القراءة يتعوذ ثم يبسمل حتى يجمع بين السنتين، ثم يقرأ.

* صوب سماحته: قول من قال: بأن البسملة آية مستقلة فصلًا للسور وفتحًا لها، وتبركًا باسمه سبحانه، ما عدا سورة براءة، وأنها بعض آية من سورة النمل باتفاق القراء.

* يرى سماحته: أن السنة الإسرار بالبسملة، ولو جهر بها أحيانًا للتعليم، فلا بأس بذلك، وأن البسملة تشرع في بدء كل أمر ولها مواضع تتأكد فيه.

* وعند تفسير: «الحمد»: تناول الحافظ: مسألة هل الذكر بالحمد أفضل أو التهليل؟ فرجح سماحته: أن لا إله إلا الله أفضل لأنها كلمة التوحيد وأساس الملة، أما مجرد الحمد، فهو ثناء على الله بما هو أهله.

* عند تفسير: «بسم الله»: تناول الحافظ: مسألة هل الاسم هو المسمى أو غير المسمى؟

وقد رجح سماحته التفصيل في ذلك، فقال الاسم إذا أريد به الألفاظ ومشتقاتها وتصريفاتها فهو غير المسمى، وإذا أريد بالاسم ما دل عليه من المعنى، فالمراد به المسمى.

* أن لفظ: «الله» مشتق من التأله وهو التعبد، وكذا «الرحمن الرحيم» اسمان عربيان مشتقان من الرحمة، وأن الرحمن أشد مبالغة وأوسع من الرحيم.

* رجّح سماحته قول من قال: إن اسم الله الأعظم غير معين بالتحديد، وأن أسماء الله كلها حسنى وكلها عظمى؛ ولذا جاء إطلاق اسم الله الأعظم على أكثر من اسم.

* وعند تفسير: «العالمين» صوب سماحته: أن العوالم لا يحصيها إلا خالقها ﷻ، وما ورد في تحديد ها كلها تخرصات عن بني إسرائيل وأشباههم غير صحيحة.

* رجّح سماحته: القول بوجوب قراءة الفاتحة في الصلاة على الإمام والمأموم والمنفرد، في الجهرية والسرية. وأن المأموم إذا فاتته الفاتحة لعذر كإدراكه الإمام في الركوع، أو نسيانها، أو مقلد عمل باجتهاد من يرى عدم وجوبها فصلاته صحيحة إن شاء الله.

* نبه سماحته إلى أن سورة الفاتحة اشتملت على ثناء الله على نفسه، وإرشاد العباد للثناء عليه، وطلب الهداية منه إلى صراطه القويم، والاستعاذة به من طريق المغضوب عليهم والضالين.

* أكّد سماحته: أن مما يستحب عند الفراغ من قراءة الفاتحة التأمين، وأن من وافق تأمينه تأمين الملائكة في السماء غفر له وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

فهرس الموضوعات

الموضوع	الصفحة